المعتمد

ابن عباد

THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

NOV 6 1975

جميع حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

الف نسخة من هذا الكتاب

طبع
بمطبعة القضاء
النجف

سماحة العلامة الجليل الأديب الشهير الشيخ عبد المنعم الفرطوصي دام عزه عندما اعترض كتابنا فقرظه بهذه الابيات الثمينة ولله دره :

معز الدين قد ألفت سفراً ... معزا للفطاحل والعلوم
اشدت لنا بفضل العلم فيه ... منارا قد سما فوق النجوم
وقد بينت للعلماء قدرا ... بهم يعلو على القدر العظيم
امت الجهل والجهلاء فيه ... بما احييت من فضل عميم
فنال العلم والعلماء فيه ... ونلت اجل عنوان جسيم
فابقيت الثنا لك خير عمر ... بمحمود من الذكر الكريم

صورة تقريظ سماحة العلامة حجة الاسلام آية الله فى الانام الاستاذ الكبير فضيلة السيد مرتضى الحسينى الفيروزآبادى ادام الله تعالى ظله الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الاولين والآخرين محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى عترته الطيبين الطاهرين المعصومين واللعنة الدائمة على اعدائهم ومعادى اوليائهم وموالى اعدائهم اجمعين من الآن الى يوم الدين (اما بعد) فقد ساعدنى التوفيق لمطالعة الوارد المهمة من الجزء الاول فى العلم والعالم من كتاب المعز لمن يروم العز وهو من تاليف العلامة المتفضل السيد السند والمؤيد المسدد جناب السيد محمود معز الدين دامت بركاته ورأيته كتاباً جليلاً ثميناً مشتملاً على مطالب رائقة ومواضيع عالية وعناوين مهمة فى فضل العلم وشرفه وفضيلته واصالته من غيره ومحمودكثير من العناوين القيمة وقد ذكر المؤلف ايده الله تعالى فى ذيل كل عنوان ما يناسبه من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة بل وكلمات بعض الحكماء الاخلاء وأسئل الله تعالى أن يديم توفيقه وأن يزيده شوقه ورغبته الى تاليف أمثال هذا الكتاب وأشاهده وأيوفق اخواننا المؤمنين من أهل العلم وغيرهم لمطالعة هذا الكتاب لينتفعوا بما فيه من الآيات والحكم فيكون لأهل العلم تذكرة ولغيرهم عبرة والله ولى التوفيق ١٢ رجب ١٣٨٦ الاحقر مرتضى الحسينى الفيروزآبادى

صورة اجازة سماحة العلامة الكبير حجة الاسلام والمسلمين فضيلة الشيخ اغا بزرگ الطهراني ادام الله تعالى ظله الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لوليه والصلاة والسلام على سيد انبيائه ومولانا ابي القاسم محمد نبيه وعلى الاثني عشر المعصومين اوصياء نبيه

وبعد فان الفاضل البارع الماهر البارع الملقب بعز الدين السيد محمود بن السيد حسين الحسيني زيد فضاله وكثر في خدام العلم والدين امثاله قد اراد الناسي بالسلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين في نقل الاحاديث الشريفة بالاسناد الى الائمة السادة الامجاد وحسن ظنه استجازني في ذلك وكان له اهلاً فبادرت الى اجابته واجزته ان يروي عني جميع ما صح لي روايته عن كافة مشايخي الاعلام من الخاص والعام بجميع طرقهم ولا سيما الطرق التي طولته في خاتمة المستدرك ومواقع النجوم فليروه بعد فضله عني عن مشايخي لمن شاء واحب بشرائط الرواية وتذكاري بالغفران جاد وسنا حرره بيده المرتضى في مكتبته العامرة الغناء الشهير بآغا بزرك الطهراني في عاشر رجب المرجب عام (١٣٨٧)

صورة تقريظ سماحة العلامة حجة الاسلام والمسلمين آية الله في الانام الامام الورع فضيلة السيد محمد تقي آل بحر العلوم ادام الله تعالى بقائه الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تبارك وتعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد المصطفى ومن لاذ بحماه من الجلالة وجبرة الضلالة وعلى آله الذين اذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ائمة الهدى ومصابيح الدجى صلوات الله عليهم اجمعين وردنا شفاعتهم يوم الدين (وبعد) فان السيد الشريف العالم الفاضل والتقي الكامل السيد محمود بن السيد حسين المجتبى زيد فضله قد اطلعني على الجزء الأول من كتابه النفيس المسمى بـ (المتلمس بردم العس) فتصفحت فصوله فوجدته قد انتخب نفيس جواهر وانتقى الغوالي التي هي غرة في جبين الدهر ولا يجب اذا صدر مثل هذا الكتاب من قلم الشريف فانه دام فضله قد كرس حياته وايامه في تحصيل العلوم الدينية والاحكام الشرعية نال قسطا وافرا من العلم كثر الله تعالى امثاله في رجالنا الاعلام ونفع به وسدد خطاه وجعل مستقبل امره خيرا من ماضيه وزاد في توفيقه لنشر علوم اهل البيت عليهم السلام والصالح الاعمال حفظه الله ولحد بامداد الله ولي التوفيق / حرره الراجي رحمة الباري تقي ال بحر العلوم في ١٠ / ١٢ / شهر رجب المرجب ١٣٢٩ هـ

محمد تقي آل بحر العلوم
الطباطبائي

صورة اجازة سماحة العلامة حجة الاسلام والمسلمين آية الله العظمى المرجع الكبير المرحوم السيد جواد الطباطبائي التبريزي رضوان الله تعالى عليه المتوفى يوم الجمعة ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٨٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الائمة المعصومين واللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين من الآن الى قيام يوم الدين وبعد لا يخفى ان العالم الفاضل غرة جبهة الشرف والسيادة مروج الاحكام مظهر الاسلام فضيلة السيد محمود الذي لقبناه بعز الدين صانه الله تعالى وحماه قد بذل شطرا من عمره الشريف في تحصيل العلوم الدينية والكتاب المعارف الالهية وقد حاز من المراتب العلمية ما ينبغي لجنابه ويليق لامثاله حسب قابليته واستعداده ثم انه استجازني انا سيا بالسلف الصالحين رضوان الله عليهم اجمعين فاستخرت الله جل جلاله واجزته ان يروي عني جميع ما صحت لي روايته وصلحت على اجازته من تصانيف الاصحاب قديما وحديثا لا سيما الاصول الاربعة الاول التي عليها المعول اعني الكافي والفقيه والتهذيبين والاستبصار والجوامع الاربعة المتأخرة الوافي والوسائل ومستدركها والبحار ونهج البلاغة الى غير ذلك من كتب الاصحاب اسانيدي المتصلة الى المشايخ العظام المنتهية منهم الى اهل بيت الوحي المعصوم واوصيه بتقوى الله وان يجعل الموت نصب عينيه ويتحذر من ان تغره الدنيا فان الدنيا غما قريب كأن لم تكن والاخرة عما قليل كأن لم تزل عصمنا الله جميعا ان نكون ممن غرته الدنيا فاخلد الى الارض واتبع هواه وكان امره فرطا ووفقنا الصالح الاعمال وفاصل السجايا بالنبي والعترة بيمناه الدائرة في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب المرجب ١٣٨٥

العبد الفاني محمد الجواد الطباطبائي التبريزي

ولقد ظفرت بأشعار لطيفة وأبيات ثمينة تناسب اللكتاب ومواضيعه البديعة للشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه ، كأنه رحمه الله ، رأى كتاب (المعز لمن يروم العز) ونظر اليـه . بقلبه وعينيه ، ويقلبه بيديه ويقول في حقه مخاطبا لطالبه العـزيز :

اشتر العـز بما شئت فما العز بغالى
بقصار الصفر ان شئت او السمر الطـوال
ليس بالمغبون عقلا من شرى عزاً بمال
انما يدخر المـال لأثمـان المعـالى

العلم والعالم

من كتاب

المعز

لمن يروم العز

من اراد الغنى بلا مال ، والعز بلا عشيرة
والطاعة بلا سلطان ، فليخرج من ذل
معصية الله الى عز طاعته فانه واجد
ذلك كله (الامام امير المؤمنين علي عليه السلام)

الجزء الاول

تأليف

العالم الفاضل

السيد محمود معز الدين

BP
193
.M7
v.1

الإهداء

اليك ، يامن فتحت ابواب السموات والاقاليم السبعة من المعارف والعلوم على وجه البشر عاما :

ونجيتهم من الكفر ، والالحاد ، والطغيان، والظلم ،والجهل،والحيرة و . :

وهديتهم الى دين هو الحق ، وصراط هو المستقيم، وطريق هو الرشاد والسعادة :

وجئت بكتاب هو المميز بين الحق والباطل يارسول الله(ص) يارحمة للعالمين .

والى ولدك ،ولد العلم والعدالة الذي استمسك بالعروة الوثقى التي لاانفصام لها ،

واحيى دين جده بكتابه القيم المستمسك، لنا الفخر ولحضرته الاجر ،

واضاء بلمعات انوار علومه الزاخرة العالم الاسلامي في هذا العصر المظلم، المرجع الو يد لامام السيد الطباطبائي الحكيم دام ظله العالي :

اقدم كتابي هذا الى سماحته راجياً القبول ،والله ولي التوفيق :

المؤلف

السيد محمود معز الدين

NOP 10-23-25 135718

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، باري الخلائق اجمعين ، باعث الانبياء والمرسلين ، فاطر السموات والأرضين ، ملكنا ومالك يوم الدين ، والصلوة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وامام الانبياء والمقربين ، وسند الاصفياء والمرسلين ، ورسول الله على الخلق اجمعين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ولعنة الله على اعدائهم الى يوم الدين :

اما بعد فهذه سطور تبين فيها الأشياء « الاول » :

ان الارض المقدسة (النجف الأشرف) ارض طيبة ومكانتها واضحة لاتحتاج الى الدليل ، وتكفي في شرافتها انه قد تضمنت جثمان شخصية كانت نادرة الوجود بين جميع المخلوقات الأرضية والسماوية ، والدهر بمثله لعقيم وقال الشاعر :

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لعقيم

وهو قائد الاسلام لراية التوحيد ، والمعرفة ، والعلم ، والحكمة ، والامامة ، والسياسة والحق ، والمروءة ، والعدالة ، والانصاف ، والفتوة ، والشجاعة و ... وبهذه المناسبة صارت هذه الارض المباركة منبعا للعلوم وجامعا للفنون ، ومركزا التعليم والتعلم ، واساسا للدين والتدين ، ومكتبا للفضل والكمال ، وكلية لتفقه جميع اجيال المسلمين في انحاء اقطار العالم ، ومن المعلوم ان هذا كله من الطاف الخالق تعالى جل شأنه ، ببركة اعجوبة خلقة الدهر ، مولانا الاعظم وامامنا الاول وقائدنا من عند الله تعالى سيدنا وسيد الكونين ابي الحسنين علي عليهم افضل الصلوة والسلام :

فحينئذ الواجب على كل فرد من افراد الانسان إذا اراد ان يحصل له العلم والمعرفة باحكام الله تعالى فعليه ان يقدم بهذه البلدة المباركة لان هذه المدينة المنورة كما قلنا صارت محلا لتربية رجال الفكر والعقيدة وشخصيات الفضيلة والانسانية ، فمن جملة ادلة النقلية المكتفية لنا قول نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله ، الذي روى عن أبي حمزة ابن أبي سعيد الخدري عن ابيه . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول : انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليقتبسه من علي عليه السلام (١) وفي رواية اخرى عن جابر بن عبدالله الأنصاري (ره) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنا خزانة العلم وعلي مفتاحه . فمن أراد الخزانة فليات المفتاح (٢) وايضا روى عن ابن عباس (ره) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، انا دار الحكمة وعلي بابها فمن اراد الحكمة فليأت الباب (٣) فبمفاد هذه الاحاديث الشريفة ، يجب على كل جاهل اوعالم يريد ان يتكمل دراسته نهائيا ان يتشرف بهذا المكان الشريف حتى يحصل مقاصده ، وايضا يلزم على كل حكيم ان يقدم بهذا المكان المقدس لتكميل دراسته الحكمية وابوغه الفلسفية الى نهاية منوياته ، فبنص النبي صلى الله عليه وآله صارت هذه الارض المباركة خزينة للعلوم الالهية ، والحكم الربانية والمعارف البارية ، والفضائل الانسانية ، والثاني ،

فانني كنت من العمر تقريباً ثمانية عشر سنة قدمت من بلاد خراسان في هذه البلدة المقدسة والارض المنورة التي صارت مدرسا للتعاليم القيمة السماوية والمعارف الراقية الآلهية ، ومحلا لتدريس علوم اهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام . وكان اول دخولي بهذا المكان الشريف في سنة ١٣٧٧ هـ وبهذا التاريخ ايضا وفقت بتحصيل العلوم الدينية الآلهية في كنف مولانا امير المؤمنين عليه السلام فمن رحمة الله تعالى التي لانهاية لها

---

(١) بحار الانوار ج ٩ ص ٥٤٤ (٢) بحار الانوار ج ٩ ص ٥٤٤

(٣) بحار الانوار ج ٩ ص ٥٤٥

ومن لطفه وكرمه ، اجتنيت من بساتين علوم اهل بيت الوحي والنبوة وردة ، وذقت من بحار فضائلهم العلمية قطرة من قطرات الحيات التي يرزقها المؤمن خاصة ولانصيب بها لكل كافر وفاجر لان العلم هو نور الهي يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء ، والله تعالى لايجعله في كل قلب ، لان العلم نور من انوار الله تعالى وكل قلب لاقابلية له ان يخزن فيه نور الله ، بل يليق به كل من أتى الله بقلب سليم ، الثالث .

رأيت واجباً على نفسي في مقابل هذه النعمة العظمى والفضيلة الكبرى من قبل الله عز وجل حتى ابلغ ماعلمت من المعلومات الدينية والمعارف الربانية التي رزقني الله وافخرني به (اللهم زدني علما وعملا) بالكتابة والبيان ، لان الكتابة والبيان احسن وسيلة لابلاغ احكام الله تعالى على كافة البشرية ودنيا الانسانية ، خصوصا في هذا العصر الذي قد امتلئت الدنيا من الكفر والالحاد والظلم والجور والخيانة والغدر والمكر والحيلة و . . وفي هذه الاوقات التي قد غلى طغيان الملحدين والظالمين على المسلمين وانهم قد ابتلوا المسلمين بمصيبة دينهم العزيز وافسدوا مكارم اخلاقهم بخبث طينتهم وفسادادابهم وقد اخذوا الجواهر الغالية الدينية الاسلامية من يدهم واخذوا ماارادوا ان ياخذوه ولعبوا باحكام الاسلام وبمستمسكاته غاية اللعب فخلاصة الكلام ان اعظم وسيلة ينتشر به القوانين الاسلامية والمعارف الجعفرية في يومنا هذا القلم والبيان ، إذ بسببه يتمكن الانسان ان يظهر مافي ضميره ، من العقيدة ، والعلم والفضيلة . والاخلاق والآداب . والانسانية وكل كمال من كمالاته النفسانية او فضيلة من فضائله الشخصية . بل ويمكنه ان يكتب الدستورات الاسلامية مع مزاياها ومعارفها القيمة ويطبقها مع افعال البشرية في هذا اليوم بل ويقدر ان يضعه امام الناس كالمرآة ويريهم حسن اخلاقهم و ذمها و حسن عقيدتهم و ذمها . و : . . الرابع .

فايها القاري الكريم ان كتابي هذا الذي يحكي عن ضميري وردة من الازهار التي في بساتين العلم والمعرفة اقدم اليك حتى تشمها وتتعطر شامتك من الريح الطيب

لان هذا الكتاب قد جمع فيه آيات القرآن الكريم مع تفاسيرها من اقـوال المفسرين والاحاديث النبوية صلى الله عليه وآله . واخبار ائمتنا الاطهار عليهم السلام والاخلاق المرضية الانسانية . والآداب الملكوتية البشرية . والقصص التاريخية التجربية واقـوال الحكماء والعلماء . وكثير من النكات العلمية التي تفيد لاهل العلم والفضل ، فاسئل الله تعالى ان يوفقني لتكميل تمام اجزائه . فهذا هو الجزء الاول من اجزائه العشرة فسميته بـ (المعز لمن يروم العز) ،

وارجو من الله تعالى ان يعز القارئين به وكل من اراد العز . اللهم انت عالم بما في ضميري انني كتبت هذا الكتاب في سبيل تبليغ دينك وارشاد عبادك واسئلك ان تقبل مني هذا القليل بفضلك الواسع وتجعله زادا ليوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وان كتابي هذا جعلته ابوابا وفي كل باب منه مطالب وفي كل مطلب منه عناوين حاوية للمقاصد ، وهذا اوان الشروع في الموضوع ، وان توجهي وتوكلي على الحي القدير وتوسلي بتقربي حضرته.

على الله في كل الامور توكلي ... وبالخمس اصحاب الكساء توسلي

محمد المبعوث وابنيه بعـده ... وفاطمة الزهراء والمرتضى علي

واتوجه الى الله تعالى أيضا بهذه الابيات التالية :

عليك كل اعتمادي ايها الصمد ... قد فاز عبد على مولاه يعتمـد

انت اللطيف الخبير المستغاث به ... عند الخطوب ومنك العون والمدد

اذا التوت ثوب الايام وانعقدت ... فعند لطفك لا تستغلق العقـد

ان لم تكن عدة للمرء يذخرها ... فليس ينفعه ذخر ولا عـدد

يا واحدا لم يكن كفوا له احد ... سواك في كل امر ليس لي احد

ان لم يمـد اليك المستجير يدا فمن نمد اليه في الوجـود يد
انت القدير الذي الافلاك في يده تطوي ومنه حال الارض ترتعد
سبحانك الله ربا لاشريك لـه في الملك وهو الاله الواحد الصمد
لك السموات والدنيا مسبحـة وكل ماولدت انثى وماتلد
انت الكريم الذي من لطفه سند لكل عبـد ضعيف ماله سند
ان اصبح العبد يوما عنك مبتعدا فان حلمك عنه ليس يبتعـد
انت المعين لنا في كل نائبـة لايستطاع عليها الصبر والجلد
اذا اردناسوى ملجاك ليس نرى وان طلبنا سوى جدواك لانجد
يامن يميت ويحيي كل ذي جسد وان وهبت فاذا ينفـع الحسد
انت الميسر في قول وفي عمـل ومن عنايتك التوفيق والرشد
يا مالك الكل هب لي منك مغفرة تمحو الذنوب التي لم تحصها عدد
وعدت بالعفو عمن تاب مرتجعا وانت لاتخلف الميعاد اذ تعـد

وفي ختام المقدمة ، أقدم جزيل شكري وافضل تحياتي ونهاية اخلاصي الى شخصية الأدب والكمال ، الشاخص لخدمة كافة الروحانيين في النجف الأشرف وغيره من الأماكن المقدسة ، من قبل سماحة الامام السيد الطباطبائي الحكيـم دام ظله العالي ،

وهو جامع الصفات الحسنة والاخلاق المرضية ، الرؤف ، الشفيق ، الخليق ، المحبوب بين جميع الطبقات الروحانية العالم الجليل والفاضل النبيل حجة الاسلام وعماد الاعلام فضيلة الشيخ محمد الرشتي دام عزه .

وسبب شكرى عن حضرته ان جنابه مشوق للطلاب المستعدين في تحصيل العلوم الدينية بصورة عامة فان هذا خدمة للدين والمجتمع وارجو من الله تعالى ان يتفضل له بالخير والكرامة ويعطيه سعادة الدنيا والآخرة آمين يارب العالمين ،

١ ج٢ سنة ١٣٨٦

السيد محمود معز الدين

الباب الأول

وفيه مطالب. المطلب الاول في شرف العلم والعالم الذي هو عامل بما علمه من العلوم و المعارف وفيه عناوين ؛

العنوان الاول
فى فضل العلم

قال الله العزيز الحكيم . اقرء باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرء وربك الأكرم الذى علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم (١) :

ومن جملة آيات الصحيفة السماوية الالهية التي تدل على شرف العلم وفضله هذه الآى المباركة ، وهي اول مانزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآلـــه ، بناء على قول اكثر المفسرين ، وذكر الكبار من العلماء رضوان الله تعالى عليهم اجمعين نكتا ورموزا فى تفسير هذه الآى الشريفة ومن جملتها .

انه تعالى افتتح كلامه المجيد بذكر نعمة الايجاد ، واتبعه العلم فلو كان بعد نعمة الايجاد نعمة اعلى من العلم لكانت اجدر بالذكر :

وقد قيل فى وجه التناسب بين الآى المذكورة في صدر هذه السورة (العلق) المشتمل بعضها على خلق الانسان من علق، وبعضها على تعليم مالم يعلم ، انه تعالى ذكر اول حال الانسان اعنى كونه علقة وهي بمكان من الخساسة وآخر حاله وهي صيرورته عالما وذلك كمال الرفعة والجلالة، فكانه سبحانه وتعالى قال : كنت في اول امرك فى تلك المنزلة الدنية الخسيسة ثم صرت فى آخره الى هذه الدرجة الشريفة النفيسة .

وقيل ايضا وجه آخر ، وهو انه تعالى قال : (وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقد تقرر في اصول الفقه ان ترتب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف يكون علة وهذا يدل على ان الله تعالى اختص بوصف الاكرمية ، لانه علم الانسان العلم ، فلو كان شيء افضل من العلم والنفس لكان اقترانه بالاكرمية المؤداة بافعل التفضيل اولى(٢).

---

(١) سورة العلق ١-٤ (٢) منية المريد ص ٩

وقال عز وجل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ومن النكاة التي تضمنتها الآية الشريفة انه اراد الله تعالى ، ان يبين ويفهم بذكر هذه الكلمة المباركة (خ ، ل ، ق) افضل نعمة واسبقها التي تفضل بها للانسان ، وهي نعمة الخلق والايجاد ، لان الأنسان خلقه الله تعالى من عالم العدم وأوجده في مركز الوجود مع المزايا الحيوية والادراكات العقلية والصفات الملكوتية التي خص الله تعالى الانسان بها ، ولاشك أنها نعمة جليلة لايساويها نعمة غيرها من باقي النعم .

ولا شبهة ، ان الانسان اذا أراد ان ينال درجة دنيوية او اخروية ، أو أراد ان يكمل فضيلة روحية او غيرها ، فهـو مربوط ومنوط بالحياة التي هي وسيلة لسعادة الدارين الأنسان الطالب لها .

وقال عز وجل (خلق الانسان من علق) «١» اى خلـق الله تعالى الأنسان من دم جامد بعد النطفة . وكما ذكر ، انه تعالى خلق اصل الأنسان من التراب ثم من المنى المتعفن وكل واحد منهما فى نهاية المهانة وغاية الذلة والخساسة .

فيحتمل هنا نكتة اخرى ، وهي عبارة ، من ان الانسان لمـا يقدم في هذا العالم الارضي ويتكون فيه بعد ماكبر ، فيفتح عيونه ويرى نفسه من عجائب عـالم الخلقة فيستكبر ويستعلى وإذا (فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب) «٢» .

وحينئذ على الانسان ان يفتش اصلية فطرته ، ويورق كتاب خلقته ، ويضعه فى منظره ولما قرء ، ليرى ان الانسان بمختلف اشكاله واطواره ، وفي تمـام هيئاته اللطيفة

«١» العلق جمع علقة ، وهي القطعة الجامدة من الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمر به فاذا جفت لاتسمى علقة ، والعلق ضرب من الدود اسود ، مجمع البيان .

«٢» سورة الطارق ى ٥ ـ ٧

المرموزة ، من أية مادة من المواد المهينة خلق ولابد ان الانسان إذا نظر في ماهيته فيخشع ويخضع ، ويذهب ريح الكبرياء من انفه ، ويقول الشاعر الفارسي في بيانه اللطيف.

ساعتي در خود نگر تاكيستى از كجائي واز چه جائي چيستي

يعني انظر إلى ماهية خلقتك ، لكي ترى من أنت ، ومن أية مادة خسيسة خلقت واين مكانك ، واى موجود انت ؟

فالانسان اذا تفكر فى هذه الاشياء تبين انه ليس له مقام وشرف من جهة خلقته ولامن المواد التي عجنت منها ماهية فطرته ، ولايخلو عن المناسبة ان نتعرض في هذا المقام فلسفة خلقة الانسان بنحو الاختصار ، من كلام سيد بن طاووس ره في وصاياه التي وعظ بها ابنه ، وقال :

ثم تذكر ياولدي محمد ذكرك الله جل جلاله بما يغني عن ذكرك وتذكرك من ولاية تدبيره لتذكيرك انه جل جلاله اشفق عليك ، ان لايخلقك من مارج من نار ، فكان لعل يجري لك ماجرى لابليس من التكبر والاستكبار ، ولاخلقك من انوار فلعل كان يجرى لك أكثر من ذلك الاخطار ، ورتب خلقك من تراب يوطأ بالاقدام ، ثم من نطفة حكم بنجاستها ، تأديباً لك من خطر التكبر والاستعظام ، ثم من علقة حكم أيضا انها نجسة في شريعة الاسلام ثم من مضغة خالية ، من تمام الجوارح والعلوم والافهام ، ثم كيف كمل لك الجوارح التي تحتاج اليها على التمام وجعلها من اصول ضعيفة مبنية على أساس الانهدام ثم جعلك في بطن امك وهو حبس محجوب عن الانام ، ثم اول ما غذك به من طعام دم الحيض يحكم بنجاسته فيما ارتضاه من الاحكام ، ثم جعل مخارج النطفة ومخرجك إلى دنيا كدرة من مجاري البول والدماء النجسة المستقذرة لعل جميع ذلك ليكون عليك أدب العبودية وتسلم من المنازعة والمعارضة للجلالة الالهية ، حتى جعلك لاتزال حاملا للعذرة عن بطنك ، ثم ذلك بان تجعل غسلها منك بيدك كل يوم وليلة على صفات متنفرة فتارة

عاملك بالاكرام العظيم لعل مراده ان تعرف قدرته ونعمته وترزق كرامته ، وتارة عاملك برياضة التأديب لتخاف مؤاخذته وسطوته واهانته وتفهم ربوبيته «١» .

وقال عز وجل (اقرأ وربك الأكرم) أي الأعظم كرماً فلايبلغه كرم كريم ، لانه يعطي من النعم مالا يقدر على مثله غيره .

وفيها تنبيه على ان العلم أشرف الصفات الانسانية ، كأنه تعالى يقول : الايجاد والاحياء والقدرة ، والرزق ، كرم وربوبية . اما الأكرم هو الذي اعطاك العلم لان العلم هو النهاية في الشرف .

وقال عز وجل (الذي علم بالقلم) «٢» أي علم الكاتب أن يكتب بالقلم ، أو علم الانسان البيان ، أو علم الكتابة بالقلم .

وقال عزوجل (علم الانسان مالم يعلم ، من أعلام الهدى والبيان ، والقمي عن الباقر عليه السلام ، قال يعني علم عليا من الكتابة لك مالم يعلم قبل ذلك «٣» .

وقد نقل عن بعض المفسرين ، ان هاهنا نكتة ، وهي ان أول هذه السورة دل على فضيلة العلم وبعدها على مذمة المال فكفى ذلك مرغباً في العلم منفرا عن الدنيا «٤» .

فان أقوال العلماء ورجال الفضيلة لكثيرة في هذا الباب إذ العلم هو أشرف الصفات الانسانية وأفضل ملكات البشرية ، ويكفي في شرافته ان الانسان بسببه يدرك أسرار عالم الطبيعة وينال رموز دنيا الخلافة ، وللعلم فضائل لاتعد ولاتحصى وانه لاقدرة لاحد حتى يعرف العلم وفضله حق المعرفة ، ولقد قال بعض الفضلاء في بيانه في فضيلة العلم ، فان احق الفضائل بالتعظيم

«١» كشف المحجة ، لثمرة المهجة ص ٩١

«٢» وسيجيء البحث في عنوان فضل القلم والكتابة

«٣» تفسير الصافي ص ٤٨٥

«٤» تحفة العالم ج١ ص ٦٣

واسبقها في استحقاق التقدير هو العلم ، إذ لاشرف إلا وهو نظامه ، ولا كرم إلا وهو ملاكه وقوامه ، ولا سيادة إلا وهو ذروتها وسنامها ، ولا سعادة إلا وبه قوامها ، به يكسب الانسان رفعة القدر وعلو الأمر في حيوته ، ويحوز جزيل الاجر وجميل الذكر بعد وفاته وهو الصديق إذا خان كل صديق ، والشفيق إذا لم يوثق بكل ناصح شفيق ، شفاء للصدور ليس ورائه شفاء ، ودواء للقلوب ليس مثله دواء ، العلم هـو حياة القلب الذي رئيس الاعضاء ، وصحة العقل الذي هو اعز الاشياء ، كما قال سيد الموحدين عليه السلام ، الشرف بالعلم والأدب ، لا بالأصل والنسب «١» :

وقال بعضهم في مقام تمجيده من العلم واثبات شرفه بالدليل العقلي والنقلي ، وقال : اعلم ان فضيلة العلم وارتفاع درجته وعلو رتبته امر كفى انتظامه في سلك الضرورة مؤنة الاهتمام ببيانه غير انه نذكر على سبيل التنبيه اشياء في هذا المعنى من جهة العقل والنقل كتاباً وسنة ، مقتصرين على ما يتأدى به الغرض فان الاستيفاء في ذلك يقتضي تجاوز الحد ويفضي عن الخروج عما هو المقصد .

فاما الجهة العقلية . فهي ان المعقـولات تنقسم إلى موجود ومعدوم : وظاهر ان الشرف للموجود . ثم الموجود ينقسم إلى جماد ونام . ولاريب ان النامي اشرف ، ثم النامي ينقسم إلى حساس وغيره ، ولاشك ان الحساس أشرف ، ثم الحساس ينقسم إلى عاقل وغير عاقل ، ولا ريب ان العاقل أشرف ، ثم العاقـل ينقسم إلى عالم وجاهل . ولا شك ان العالم اشرف ، فالعالم (ح) اشرف المعقولات «٢» فينتج ان شرف العالم بسبب علمه ، والعلم هو أشرف المعقولات . ولقد جائت الأخبار والقصص في مدحه زايدة الوصف ومن جملتها .

«١» مقاصد المسترشدين ص ١٠

«٢» معالم الدين في الاصول ص٥

قال السيد الأجل السيد عليخان في أنوار الربيع في ذكر امثال الحكمة :

منها قول ابي الاسود الدئلي لابنه بعد ان قال له (يابني) اذا كنت في قوم فحدثهم على قدر سنك ، وفاوضهم على قدر محلك ، ولاتتكلمن بكلام من هو فوقك فيستثقلوك ولاتنحط الى من دونك فيحتقروك ، فاذا وسع الله عليك فابسط واذا امسك عليك فامسك ولاتجاود الله فان الله تعالى اجود منك . واعلم انه لاشيء كالاقتصاد، ولامعيشة كالتوسط ولاعز كالعلم ان الملوك حكام الناس والعلماء حكام الملوك ثم انشأ يقول :

العيش لاعيش الامن اقتصدت فان ... تسرف وتبذر لقيت الضر والعطبا
والعلم زين ، وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والادبا

الى ان قال:

العلم كنز وذخر لانفاد له ... نعم القرين اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا
وحامل العلم مغبوط به ابدا ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به درا ولا ذهبا «١»

وفي بعض النسخ رأيت هذه الابيات التالية بعدها :

والعلم زين ، وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والادبا
كم سيد بطل آباؤه نجب ... كانو الرؤس فامسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدب ... نال المعالي بالآداب والرتبا الخ ««

وان العلم يكون هو العامل الاصلي . والسبب الاساسي لرقي الروحية الملكوتية الانسانية وتعاليمها . وان المعارف الربانية تصعد الانسان إلى الفضائل والكمالات ، وانه بوسيلته يعرج البشر معارج السعادة والكرامة والنيل في الدرجات الاخروية مربوط به

«١» الكني والالقاب ج ١

وكلما يزداد الانسان علما ولو كان مسئلة واحدة يزدادشرفاً ونبلاالعلم هو الشيء الذي يصير مستقبل الانسان احسن من ماضيه بشرط ان يكون الانسان متعلما دائماً للاحكام الشرعية والمسائل الدينية التي يبتلى الانسان بها أعم من ان تكون المسائل اعتقادياً او فقهياً اوغير ذلك من العلوم والمعارف التي يجب على كل فرد من افراد الانسان تعلمها . فعلى اي حال وللعلم فضائل لاتحصى ويكون المناسب ان نذكر هنا اشعارا جيدة عربياً وفارسياً مضافاً على مامرمنها .

العلم يغرس كل فضل فاجتهد ... انلايفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بان العلم ليس يناله ... من همه في مطعم او ملبس
الا اخو العلم الذي يزهو به ... في حالتيه عاريا اومكتسي
فاجعل لنفسك منه حظاً وافرا ... واهجر له طيب الرقاد وعبس
فلعل يوماً ان حضرت بمجلس ... كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

وقال آخر بالفارسية :

اندك اندك زعلم حاصل كن ... اندكش مايه فراوان است
سيلهاي گران كه مي بيني ... اصلش أزقطره هاي باران است

وقال الحكيم السنائي ولله دره

پند من كن گوش علم دين طلب از بهر آنكه
جز دانش خوب نبود زينت وفرداشتن
علم چون بد فرق دانستن حق از باطلي
ني كتاب زرق شيطان جمله از برداشتن

وقال آخر ولله دره :

روشن زنورعلم چو اثينه دل است ... پاكيزه از غبار هوسهاي باطل است

زين عالم صفا بپر سوي علم گر بري — بيني بكوي يارچه جاز نه محفل است
از باغ پر شكوفه دانش براي تو — همواره ميوه‌هاي تر و تازه حاصل است
طي كن ره تكامل وتقوى وراستي — مرآت حق نما دل انسان كامل أست
از بحر پر تلاطم وطوفان موج خيز — بيمي نكرد آنكه سبكبار حاصل است
در اين سراچه بهرور وكامياب شد — آنكس وراضمير خوش وبخت مقبل أست
رفته بدام فتنه صياد روزگار — درتيه از هركه چو مرغان غافل است

وقال آخر ولله دره :

علم بود زندگي جان ودل — علم دهد تازگي آب وگل
علم نسيم چمن جان بود — رايحه روضه رضوان بود
روشني ديده امید اوست — واسطه رحمت جاويد اوست
هركه بسر چشمه دانش رسيد — آب حيات ابدي راچشيد

وقال الشاعر العرب ونعم ماقاله :

بالعلم والعقل ، لا بالمال والذهب — يزداد رفع الفتى قدرا بلاطلب
فالعلم طوق النهي يزهو به شرفاً — والجهل قيد له يبليه باللغب
كم يرفع العلم اشخاصاً بلارتب — ويخفض الجهل اشراراً بلا ادب
فالعلم كنز فلا تفنى ذخائره — والمرء مازاد علماً زاد بالرتب
فالعلم فاطلب لكي يجديك جوهره — كالقوت للجسم لاتطلب غنى الذهب

وقال آخر ولله دره :

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت — من قبل ماالفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور يستدل به — على الحقايق مثل النور للعين

وقال آخر :

بني آدم از علم يابد كمال — نه از حشمت وجاه ومال ومنال

چو شمع از پي علم بايد گداخت — که بيعلم نتوان خدا راشناخت
خردمند باشد طلب کار علم — که گرمست پيوسته بازار علم
کسي را که باشد درازل بخت يار — طلب کردن علم کرد اختيار
برو دانش علم گير استوار — که علمت رساند بدار القرار
مياموز جز علم گر عاقلي — که بيعلم بودن بود غافلي
ترا علم در دين ودنيا تمام — که کار تو از علم گيرد نظام

العنوان الثانى
ايضا فى شرف العلم

قال الامام الصادق عليه السلام
العلم اصل كل حال سنى : ومنتهى
كل منزلة رفيعة (١) ه

قال الزمخشري :

وكل فضيلة فيها سناء ... وجدت العلم من هاتيك اسنى
فلا تعتد غير العلم ذخرا ... فان العلم كنز ليس يفنى

ان فى كمون الانسان شجرة تثمر الحبوبات والفواكه الملونة اللذيذة ، كسائر الاشجار المثمرة ، ولكن العلم والفضيلة يكون اللذ ثمرة من ثمارها ، واحلى فاكهة من فواكهها ، وهذه الثمرة العلمية هي التي تربي الروح الانسانية ، وتحلي الذائقة البشرية وبسبب هذه الجوهرة العلمية والشمعة النورانية الآلهية يرتقى الانسان من حضيض عالم الجهل والحيرة ، ودنيا الذلة والرقية باعلى مراتب الكمالات البشرية ، وافضل الدرجات الروحانية الملكوتية التى يليق بها الانسان .

فبالحقيقة ، ان العلم والمعارف الآلهية أعظم موهبة من عند الله تعالى بين جميع عباده ، لانه نور يستضيء به البشر كله ، ويهدي الانسانية إلى طريق السعادة والرشاد بل هو سبب لتحصيل السعادة السرمدية والمقامات الأخروية ، ولمايكون العلم والمعارف بهذه المنزلة والرفعة من الشأن والمقام فيليق لكل فرد من افراد الانسان ان يهيأ نفسه لتحصيله وان يربيها فى مهد العلم والكمال حتى يجتنى زهرة مقصوده من بساتين العلم والفضيلة وينال ما اراد ان ينال من درجات الفضيلة والمعرفة ، فمقام العلم وشرفه اعلى وانبل من

---

(١) مصباح الشريعة ص ٤٠

يذكره كل مذكرا وان يعرفه كل محرر في ورقة حتى يضعه امام الناس ، فنعم ماقاله الشاعر ، ولله دره .

العلم أفضل شيء ناله رجل — من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا

تعلم العلم واعمل يا اخي به — فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

فبالواقع ، صدق الشاعر في قوله المذكور ، من ان كل رجل ليس له نصيب من العلوم والمعارف ، لم يعد في عداد الاحياء من البشر ، لان البشرية والانسانية لاتكون بحسب الاجسام السمينة او الضعيفة ، والهياكل المختلفة الخارجية ، والصورة الظاهرية بل بحسب لبه وحقيقته ومعلوماته من العلوم والفضائل التي هيئت للانسان .

ومن المعلوم ، ان الشخص الذي ليس له معرفة بالعلوم التي يعرف بها الاحكام الشرعية والقوانين السماوية الآلهية فانه بالحقيقة ليس بانسان .

قال امير المؤمنين علي عليه السلام كما روي عنه ، لبت شعري أي شيء ادرك من فاته العلم ، بل أي شيء فات من ادرك العلم (١) .

وقال بعض الحكماء قريباً بهذا المعنى ، من اوتى العلم أي شيء لم يؤت ، ومن لم يؤت العلم ما اوتى من الدنيا :

وفي كتب الاحاديث والأخبار عن طريق ائمتنا الاطهار عليهم السلام جائت الروايات والاحاديث في فضل العلم وشرفه مالاتحصى كثرة ، فايها القاري الكريم احب ان اقدم اليك بنقل لبذ من الاخبار التي تدل على شرف العلم ومزيته على ساير الاشياء كلها :

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، انه قال ، المودة اسبك الانساب ، والعلم

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ ص ٢٨٩

اشرف الاحساب (١) .

وعن الصادق عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وعليهم اجمين، قال فضل العلم أحب إلى الله تعالى من فضل العبادة (٢) :

وعن مولانا امير المؤمنين عليه السلام ، قال العلم ينجيك (٣) وقال «ع» العلم جلالة (٤) وقال «ع» العلم حياة (٥) وقال «ع» العلم مجلة (٦) وقال «ع» العلم حرز (٧) وقال «ع» العلم زين الحسب (٨) وقال «ع» العلم مصباح العقل (٩) وقال «ع» العلم اصل كل خير (١٠) وقال «ع» العلم كنز عظيم لايفنى (١١) .

وقد ملئت الكتب من الروايات واقوال الحكماء والأدباء في فضل العلم وعلو شأنه ، ويكفينا قول نبينا الذى روى عنه، صلى الله عليه وآله، خير الدنيا والآخرة مع العلم ، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل (١٢) :

وقال لقمان (ع) لأبنه، يابنى عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا (١٣) .

ومن كلمات امير المؤمنين عليه السلام ، قال رئاسة العلم اشرف رئاسة (١٤) وقال «ع» عليك بالعلم فانه وراثة كريمة (١٥) وقال عليه السلام ، غاية الفضائل العلم (١٦) وقال عليه السلام كفى بالعلم رفعة (١٧) وقال عليه السلام ، من لم يكتسب بالعلم ما لا اكتسب به جمالا (١٨) وقال عليه السلام يكرم العالم بعلمه والكبير لسنه

---

(١) بحار الانوار ج ١ ص ٥٨ (٢) تفسير صافي ص ٢٩١ (٣ ــ ١١) غرر الحكم حرف الالف :

(١٢) لئالي الاخبار ج ٢ ص (١٣) درة التاج ج ١ ص ٤٥

(١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ الواعظ ج ٥ ص ٢٦٥ - ٢٦٦

وذو المعروف لمعروفه والسلطان لسلطانه (١) وقال عليه السلام ، يتفاضل الناس بالعلوم والعقول لا بالاموال والاصول (٢) وقال الشاعر ولله دره :

العلم للمرء معـوان على الزمن ... يقيه من حادثات الدهر والمحن
وحـلة حوكها من سؤدد وعلى ... وحلة مالهـا والله من ثمـن
ومنه يـدري الورى كنه الديانة ... والشرع القويم ومعنى الفرض والسنن
لولاه لاصحة فى الجسم من علل ... ولاعلاج يزيل السقم من بدن
لولاه كان بنو الانسان قاطبـة ... مثـل البهائم ترعى خضرة الدمن
فكل من عاش لم يمد اليه يـد ... كانه من عـداد الناس لم يكن

قال الشافعي : من شرف العلم ، ان كل من نسب اليه ولو فى شيء حقير فرح ، ومن رفـع عنه حزن (٣) وان الشافعي اخذ هذا المعنى من مضمون كلام مولانـا أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : كفى بالعلم شرفاً ان يدعيه من لايحسنه ويفرح اذا نسب اليه ، وكفى بالجهل ذما ان يبرىء منه من هو فيه (٤) :

وهذا المعنى صحيح ، لان كل شخص من افراد الانسان يحب الفضيلة والكمال اذا انتسب اليها خصوصاً لو كان ذا فضيلة وأدب ، ولكن اذا انتسب الى الجهالة ، ويقال له عند المخاطبة ايها الجاهل ، ايها الضال ونحو ذلك من عبارات التي تدل على جهله ، فانـه يتنفر وان كان متصفاً بصفـة الجهالة والحماقـة ، ولـكن اذا كان ذلك الشخص عالماً انتسب الى هذه الصفة (الجهالة) التي يحقرها كل انسان ذي شعور وادراك ، فانه يصير كالشخص الذي يقبض روحه ويؤخذ حياته ، ومن هذه المعاني تعرف ان الشرف للعلم والآداب لان العلم هو موجب شرف الدنيا والآخرة للانسان ،

(١ - ٢) الواعظ ج٥ ص ٢٦٦ (٣) درة التاج ج ١ ص ٤٥
(٤) لئالى الاخبار ج ٢ ص ٢٤٥

قال بعض الادباء ، الناس اما طالب الدنيا فقط ، واما طالب العقبى فقط ، او من الذين اخذوا الدنيا بطرفيها . أي جامعين لذائذ الدنيا وحظائظ الآخرة ، وكل هذه موقوفة بمفتاح سعادتي الدارين وهو العلم وذلك وان كان اوضح من ان يقام عليه الدليل ان الوجود والحيوة اول النعم وبها ينال بها ينال لا بالموت والعدم وقد عبر الله تعالى ورسوله وخلفائه عليهم السلام من العلم بالحيوة كما عبروا عن الجهل بالمات. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام فى قوله :

ففز بعلم تعش حيابه ابـــدا الناس موتى واهل العلم احياء

وكما يستفاد من كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ان الأنسان اذا اراد ان ينال السعادة الأبدية فهي منحصرة بالعلم وقال عليه السلام « السعادة التامة بالعلم ، والسعادة الناقصة بالزهد ، والعبادة من غير علم و لازهادة تعب الجسد (١)

ومن خطبه عليه السلام لامال اعود من العقل ، ولا وحدة اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ، ولا كرم كالتقوى ولاقرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالأدب ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كالثواب ولاورع كالوقوف عند الشبهة ، ولازهد كالزهد فى الحرام ، ولاعلم كالتفكر ، ولا عبادة كاداء الفرائض ، ولا ايمان كالحياء والصبر ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم ، ولاعز كالحلم ولا مظاهرة اوثق من المشاورة (٢) »

اللازم على صاحبي البصيرة من الانسان ان يتحلى بالشرف والفضيلة وان يخلص نفسه من الرذالة والدناءة ، ولمناسبة المقام نتعرض ذكر اشعار في مدح العلم وشرفه ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ ص ٣٠٧

(٢) « « « للشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٧٧

قال الشاعر ولله دره :

العلم زين فكن للعلم مكتسبا ... وكن له طالباً ماعشت مقتبسا
اركن اليه وثق بالله واغن به ... وكن حليما رزين العقل محترسا
وكن فتى سالكاً محض التقى ورعا ... للدين مغتنما فى العلم منغمسا
فمن تخلق بالآداب ضليل بها ... رئيس قوم اذا مافارق الرؤسا

وقال آخر ولله دره .

راهت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته اباء لئام
وليس يزال يرفعه الى ان ... تعظم امره القوم الكرام
فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام

وقال آخر ونعم ماقاله :

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف ... وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلا لاتدنسه ... بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتاً لاعماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر بالفارسية :

آنراكه علم ودانش وتقوى مسلم أست ... هر جاقدم نهد قدمش خيرمقدم أست
كس رابمال نيست بر أهل كمال فخر ... علم است انكه مفخر اولا دآدم است
در پيشگاه علم مقامى عظيم نيست ... كز هرمقام ومرتبه علم اعظم است
جاهل أگرچه جست تقدم مؤخر است ... عالم اگرچه گشت مؤخر مقدم است
جاهل بروز فتنه ره خانه گم كند ... عالم چراغ جامعه وچشم عالم است
عالم بنور علم ويقين كاشف الغطا است ... كالوار علم كاشف اسرار مبهم است
اي طالب فضيلت واي سالك طريق ... واي انكه آرزوي بهشت فراهم است

غافل مشو كه صحبت ارباب معرفت آب حياة وچشمه صافي زمزم است
دامن بكش زصحبت نادان كه في المثل جهل آتش است وصحبت جاهل جهنم است

وقال آخر ولله دره :

رواج علم وادب عيش كامراني ما است بعلم كوش كه آن روح زندگاني ما است
بخواب تاكي وتا چند رفته برخيزيد كنيد چاره نه هنگام سر گراني ماست

وقال آخر ونعم ما قاله :

صاحب علم وعمل را رتبه والاستي قامت او در خور تشريف كرمناستي
هر كه را علم وعمل حاصل نشد از قول حق معنى (بل هم اضل) در حق او بر جاستى
فخر در علم وادب باشد نه در اصل ونسب اين سخن قول ولي خالق يكتاستي
هرچه جز علم است امروزت بكار آيد ولي علم همراه تو هم امروز وهم فرداستي
هر تعليم وتعلم هر كجا بنياد شد بهترين منزلگه ونيكوترين مأواستي
علم باشد نور وباشد هر كه را از حق بدل ديده اش در اين جهان وآن جهان بيناستي
علم را توصيف اين بس كز براى بوالبشر حق معلم گشت وشاهد علم الاسماستي
حل شود از علم هر جا مشكلي باشد صغير علم آري در جهان حلال مشكلهاستى

العنوان الثالث
فى ان العلم رزق القلوب

قال الامام امير المؤمنين عليه السلام ، قوت الاجسام الغذاء وقوت العقول الحكمة ، فمن فقد واحد منها قوته هار واضمحل (١)

قال حكيم ، قوت الاجساد المطاعم والمشارب . وقوت العقل الحكمة ؛
قال الفتح الموصلى ، البس المريض اذا منع الطعام والشراب يموت ، قالوا : بلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ ص ٢٨٧

قال ، كذلك القلب اذا منعت عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام يموت »

ان في هذه الكلمات الجيدة . والعبارات الراقية معان لطيفة يجدر للانسان ان يتأملها ويدرك معانيها ويصل رموزها ودقائقها ، وهي عبارة من ان الانسان ذوجنبتين ، بمعنى ان الانسان مركب من الروح والجسد ولكل واحد منهما حياة ونمو ، وحياتهما بسبب الأكل والشرب ، وان البدن قوته يكون من نوع المأكولات والمشروبات كالخبز والماء ، وإذا منع من الاكل والشرب اولم يوجد له اكل ولاشرب فتسلب عنه الحياة الدنيوية ويموت ، ولكن الروح ليس كذلك اي لايفرض له اكل ولاشرب كالجسم بل قوته العلوم والحكم الآلهية والمعارف الربانية ومتى منع عنه غذائه اى العلم والحكمة يموت ، فبنص الروايات واقوال اكابر العلماء يكون العلم هو الغذاء للروح الانسانى ، ونشير ايضاً الى كلمات الحكمية من الائمة عليهم السلام ، والعلماء :

قال الجزائري ، الرزق رزقان ظاهر وهو الأطعمة والأقوات وذلك للظواهر وهي الأبدان ، وباطن وهي العلوم والمعارف والالهامات وذلك رزق القلوب ، وهذا اشرف الرزقين ، فان ثمرته حياة الأبد ، وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الأمد .

وعلى الانسان ان يهتم بغذائه الروحي اكثر من اهتمامه في اكله وشربه لان الانسان اذا اهتم في غذائه الروحي فبالنتيجة يشبه بالملك ولكن اذا سعى في غذائه البدني فانه يشبه الحيوان لان الحيوان همه علفه ،

وقد ورد في الحديث ، انه جاء رجل عالم الى الصادق عليه السلام ، فشكى اليه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ٢٠ ص ٢٧٨ .

امور الدنيا وما يلاقي فيها من الفقر ، ثم ذكر ان رجلا سماه باسمه قد اعطاه الله سبحانه وتعالى مالا كثيراً. فقال الصادق عليه السلام ، هذا هو العدل ، فقال كيف يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان الله تعالى يعطيك ما عنده من الاموال ، وتعطيه ما عندك من العلم ويعطيك ما عنده من الحمق وتعطيه ما افاض عليك من العقل ، فقال ، لاولو اعطيت ملك الدنيا قال ، هذا رزق الارواح ، والمال رزق الابدان ، وهذا مقسوم ، وذاك مقسوم ، افيعطيك الرزقين هذا الذي هو خلاف العدل فيرضي الرجل بما اتاه الله تعالى وقام (١) .

قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام في ديوانه المنسوب اليه ،

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب وان العلم باق لايزال

وقال في معناه ، الشاعر الفارسي ولله دره ،

آنروز كه شدروزي مردم تقسيم دادند بما علم وبدشمن زر وسيم

فردا كه كنيم جاز بجانان تسليم او أهل جهنم است وما اهل نعيم

ولقد اشار الامام عليه السلام الى افضل الرزقين ، وهو عبارة من العلم والمعرفة بحقايق الاشياء ، ولولا العلم افضل من المال ، لما كان الامام عليه السلام يقول : لنا علم ، يعني ان الله تعالى تفضل لنا ولشيعتنا ومحبينا بالعلم والحكمة ، والمال لاعدائنا ، ولو كان المال أفضل من العلم لما كان الله تعالى ان يعطيه للكفار وأهل الفسق والفجور ، والرواية التي ذكرناها لقد رويت بقسم آخر وهو :

في الخبر ، جاء رجل الى الصادق عليه السلام ، وشكى اليه الحاجة وذكر له واحداً من الناس ذا ثروة كثيرة فقال عليه السلام اعطه علمك وخذ ماله وجهله ، فقال :

(١) لئالى الاخبار ج ٢ ص ٢٦٥ .

لاارضى ، فقال عليه السلام .ان الله تعالى رزقك افضل الرزقين فكيف تشكو قلة الرزق وقال الشاعر الفارسي في هذا المعنى .

رزق حكمت به بود در مرتبت كان گلو گيرت نگردد عاقبت
اين دهان بستي دهانت باز شد كو خورنده، لقمه هاى رازشد
گر زشير ديـوتن راوابـري درفطام اوبسي حلواخوري(١)

الحكمة والمال متغايران

قال الحكيم المعروف ارسطاطاليس ، ان الله تعالى يقدر مايعطي من الحكمة يمنع من الرزق فقيل له، ولم قال لان الحكمة حظ النفس الناطقة ، والمال حظ النفس الشهوانية ، والناطقة غالبة على الشهوانية ، فالمال والحكمة متغايران لايجتمعان (٢) ،

المال والحكمة : شيئان متغايران ، لايمكن الاجتماع بينهما في غالب الاحوال .وقد جعل الله تعالى المال حظا للنفس الشهوانية الانسانية وانها تلذ به ، مع ان الله تعالى جعل الحكمة حظاً ونصيباً للنفس الناطقة البشرية وانها ترتزق منها وتحي بها ولكل واحد من النفس الشهوانية، والناطقة حظ ونصيب لايرتبط الآخر وبغايره، وانما قال: الحكمة والمال متغايران لايجتمعان : اي لايجتمع المال لشخص مع انه حكيما ، بمعنى ان الانسان إذا صار حكيما وعارفاً وعالماً بحقيقة الاشياء ومصالح خلقتها ، فليس له من نصيب من المالية الدنيويـة ولذايذها، لاننا نرى في زماننا هذا ان كثيرا من الاشخاص الذين ليس لهم شعور من الانسانية ، ولاعندهم معرفة من العلوم والحكمة، بل ولايعرفون طريقة مشيهم ولا آداب اكلهم ولا ترتيب

(١) ومن هنا نترك ذكر تعديد العناوين :

(٢) شرح وصية الامير لابنه ، عليهما السلام ص ٩٥

معاشرتهم ومجالستهم ، مع ذلك ان الله تعالى لقد تفضل بهم من المال ما يقصر اللسان عن ذكره .

ولا يقال ، اننا نرى في العالم بعض اهل الحكمة والعلم ، اغنى مالامن بعض الناس ، لاننا نقول لو كان هذا البعض يترك تحصيل العلوم الدينية والمعارف الراقية الآلهية وكان يشتغل في شغل خاص من التجارة او البنائية ، اوالنجارية ، وغير ذلك من باقي الاشغال التي يحصل منها الدرهم والدينار زايدا ، لكان احسن حالا من حيث الثروة والمالية الدنيوية ، من تلك الحالة التي كان يطلب العلم والحكمة ، والتاريخ يشهد ايضاً بان كل من حصل له العلم والحكمة في اي زمان من الازمنة السابقة ، فابتلى بمصيبة الفقر التي هي اشكل المشاكل في يومنا هذا بل وفي كل عصر وزمان فعلى اي حال ، ان الانسان بقدر مايحصل شيئاً من الحكمة يقرب الى الفقر والضعف المالي ، ولابيات الموضوع نذكر اقوال العلماء ونظرياتهم واشعارهم ،

سئل من حكيم لماذا يكون أهل العلم والحكمة ذليلا ، ولكن من ليس له علم ولا انسانية فهو محترم عند الناس وعزيز في الدنيا ، فانشد الحكيم بجوابه هذه الابيات ،

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر إلا من له خطر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف وتستقر في اقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم لاعداد لها وليس ينخسف إلا الشمس والقمر

ولقد ادرج هذا المعنى في شعره الشاعر الفارسي :

رسمي است در زمانه كه هر كم بضاعتي زاهل هنر مراتب او بيشتر گردد
دريا صفت كه منزل خاشاك الدر او بالاي عقد گوهر وسلك درر بود
سهل است اگر جفا كشم از چرخ بيوفا زحمت نصيب مردم والا گهر بود

در آسمان ستاره بود بي‌شمار ليك رنج خسوف بردل شمس وقمر بود

وقال الشيخ بهائي زاد الله تعالى بهائه فى الدارين :

اي چرخ كه بامردم نادان ياري هرلحظه براهل فضل غم مى‌ياري

پيوسته زتو بردل من بارغمي است گويا زاهل دانشم پنداري

واكثر ما نرى في العالم البشري ان العلماء افقر الناس مالا ، وان اهل الفضل هم احوج البرية من حيث المالية الدنيوية كانه هذا المعنى رمز من رموز الطبيعة وسر من اسرارها ، وقال الشاعر ونعم ماقاله :

سبحان من جعل الاشياء موضعها وفرق العز والاذلال تفريقا

كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

وقال حافظ الشيرازي الشاعر الفارسي ولله دره :

اين چه شوريست كه در دور قمرى بينم همه آفاق پر از فتنه وشر مى‌بينم

هر كسي روز بهي مى طلبد از ايام علت آنست كه هر روزه بتر مى‌بينم

ابلهان را همه شربت زگلاب وقنداست قوت دانا همه ازخون جگر مى‌بينم

وقال شاعر آخر في هذا المعنى ولعم ماقاله :

ينال الغني في الدهر من هو جاهل ويكدر الغنى في الدهر من هو عالم

ولو كانت الارزاق تجرى على الحجى اذا هلكت من جهلهن البهائم

الارب لذل كالحمار ورزقه يدر عليه مثل صوب الغمائم

وحر كريم ليس يملك درهما يروح ويغدو صائم غير صائم

سئل بعض العلماء ، ما الدليل على ان للعالم صانعاً واحدا ، قال ثلاثة اشياء ، ذل

اللبيب ، وفقر الاديب ، وسقم الطبيب ، ومن شعر القيراطي وفعم ماقاله .

كم من اديب فطن عالم مستكمل العقل مقل عديم

كم من جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال

وهذا من كتابة قلم القضاء والقدر على الانسان، لان الله تعالى من اول يوم خلق الانسان جعل العلم حظاً لاخيارهم وسعدائهم ، وجعل المال والدنيا نصيباً للاشقياء والاشرار ، ويناسب المقام ذكر الاشعار الفارسية ، قال ابن يمين ولله دره :

مرد ثابت قدم آنست كه از جا نرود ورچه سرگشته بود گرد زمين همچو فلك

بهره‌اي از ملكت هست ونصيبي از دبو ترك ديوي كن وبگذر بفضيلت زملك

پيروي خـردت روى ظفر بنمايـد كه خرد بر سپه هستي توهست يزك

علم هادند بادريس وبقارون زر وسيم شد يكي فوق سما وديگري تحت سمك

وقال محمد بن سابق ونعم ماقاله :

فـكم قوي قوى فى تقلبه مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف

فـكم ضعيف ضعيف في تقلبه كأنه من خليـج البحر يغترف

هذا دليل على ان الاله لـه في الخلق سرخفي ليس ينكشف

وقال الشاعر الآخر قريباً بهذا المعنى ،

عجبت من الرزق المسيء الهه ومن ترك بعض الصالحين فقيرا

روي عن المعصوم عليه السلام ، ان الله تعالى وسع ارزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ان الدنيا ليس ينال ما فيها بعمل ولا حيلة . واحب ان اذكر هذه الجملة التأريخية، وهي

في التاريخ ، كان الرشيد امر مرارا باستحضار الكسائي من الكوفة وهو يعتذر ، فاحتاج الى بغداد لمهم غرض له ، فلما دخلها وكان رجلا جسيما على هيئة اهل السواد ، وكان الخليفة في ذلك الوقت في مجلس شربه مع وزيره وكان قد امر باحضار بعض أهل السواد ليهزأ به فظفر بالكسائي فأتى به ، فلم يشك الرشيد في انه من اهل السخرية فقال له غن لنا ياشيخ فأنشد الكسائي :

كفى حزناً ان الشرايع عطلت وان ذوي الالباب من الناس ضيع

وان ملوك الأرض لم يحظ عندهم من الناس الامن يغني ويصفح

فقال الرشيد من اي البلاد انت يا شيخ فقال من الكوفة ، فقال كيف تركت الكسائي ، فقال في صفاء عيش عند امير المؤمنين فنهض الرشيد يعتذر اليه . وامر بكسر آلات الشراب والملاهي وقال اريد ان تعلم ولدي الأمين والمأمون ، فاستعفاه فلم يعفه واخلى لهم دار التعليم ، ولم يزل مكرما عنده .

واذا نطالع كيفية حالات البشرية ونورق صفحات كتب التاريخ والسير . لنرى ان اكثر الادباء والعلماء والفضلاء والحكماء بل وكلية ذوي الدرجات العالية من العلوم والفضائل كانت معيشتهم باسوء الحالات بين جميع طبقات الانسان بل وانا الحقير رأيت شخصاً أديباً فاضلا في جمع من العلوم كالمنطق والفلسفة والفقه والاصول و التفسير وغير ذلك من العلوم الدينية ، وهو كان يعيش في حال لايليق به ، فمات فقيرا ، رضوان تعالى عليه ، وتلمذت على جنابه ، الا وامر من كتاب قوانين الاصول ومقدارا من علم المنطق اللهم زد في درجاته الاخروية ، واحشره مع ائمة الاطهار عليهم السلام وتأييدا لما قلناه قال الشاعر ولله دره ،

لما رأيت العلم ضاع واهله والكتب والاشعار والاداب

وبنو الفحات تصدروا وتملكوا وبنو الطهارة والتقى قد خابوا
والارذلون قصورهم قد شيدوا والاكرمون بردها الحجاب
نعم الجليس دفاتري ومقالتي ومحا برى والبيت والمحـراب

ونعم ماقاله الشاعر الحكيم ، تسلية لأهل العلم والفضيلة .

بنى الدهر للاخيار بيتاً سماؤه هموم واحزان وحيطانه الضر
وساحاته ذل وبؤس وبابه هموم واهوال يضيق بها الصدر
واسكنهم فيه واغلق بابه وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

افضلية العلم عن غيره

قال الله العزيز الحكيم « وقل رب زدني علما »(١)

هذا خطاب وامر من الله تعالى لرسوله الاعظم وحبيبه الاكرم صلى الله عليه وآله ، اراد الله تعالى بهذه الآية الشريفة . ان يعلم حبيبه و يفهمه حتى يطالب من خالقه العلم ، ويستزد من الله تعالى المعرفة بحقايق الاشياء ؛

وقال بعض المفسرين ، وقل رب زدني علما ، اي استزد من الله تعالى علما الى علمك(٢) وهذا نهاية الاشفاق والمحبة من الله تعالى بالنسبة الى حبيبه ، لانه عز وجل ، امر نبيه باستزادة العلم منه ، وقد وردت رواية تبين الآية وتفسرها ، قال الامام الحسن عليه السلام ، كان النبي صلى الله عليه وآله ، اذا نزل عليه الوحي عجل بقرائته مخافة نسيانه (٣) ؛

وهذه الآية الشريفة ، ادل دليل على عظمة رتبة العلم ونفاسته ، وعلـو منزلته وكرامته ، وفرط محبة الله تعالى بنبيه ، حيث امره بازدياد العلم منه خاصة دون غيره ولايخلو المقام عن ذكر مقدمة .

ومن البديهي ، لدى العقلاء ان اذا كان لشخص خل شفيق ، وامر خله ان يطلب

---

(١) سورة طه ص ١١٤ (٢ - ٣) تفسير التبيان ج٢ ص ٢٧٧

منه شيئاً مما يملكه ، وهو ايضاً طلب من صديقه الآمر شيئاً فحينئذ لابد على الامر ان يأمر لحبيبه باعطاء اعلى شيء من الاشياء النفيسة الغالية هذا من شرط الوحدة والصداقة والمودة .

ومن المعلوم لدى الجميع ، من ان الله تعالى في عالم الخلق والايجاد ، ماخلق خلقاً اكمل وأشرف من شخصية رسوله الاكرم ونبيه الاعظم صلى الله عليه وآله بل وجميع الموجودات والمخلوقات خلقها الله تعالى بسبب وجوده الشريف ، اذ يوصفه (ص) جاء ، لولاك لما خلقت الافلاك ، وليس لله العزيز الحكيم حبيب اعظم من نبيه محمد صلى الله عليه وآله فبناء على هذا ، اذا اراد الله تعالى ان يتفضل لحبيبه بشيء من العطاء وامره بطلبه عنه فاذا اللازم عليه ان يجود لعبده الخالص باعز الاشياء ، ويفتخره باغلاها ويتوجه بتاج مخصوص من الكرامة والفضيلة حتى لايليق بهاحد من غيره ، فهنا الآمر هو الله عز وجل ، والمأمور هو النبي صلى الله عليه وآله ، والشيء المأمور به هو طلب استزادة العلم والمعرفة .

ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله ، هذا المنصب العلمي العظيم من عندالله تعالى وفي الرواية انه قال ﷺ ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني (١) .

وبقرينة المقال والمقام ان النبي صلى الله عليه وآله ما كان ان يأكل ويشرب من جنس المأكولات والمشروبات كالخبز والماء ، عند ربه ، بل المراد ان الله تعالى كان يغذيه من علومه الربانية ومعارفه السبحانية ، وهذه الرواية ايضاً دليل على افضلية العلم عن غيره من باقي الاشياء ، بل وافضليته من غيره عن باقي الصفات ثابته لا تحتاج الى دليل ، وللاستشهاد نذكر قول بعض العلماء ، والروايات الواردة في

(١) هداية الموحدين ج ١ ص ٣ (٢) المناقب العلية ج ١ ص ٣

هذا الموضوع ، قال بعض العلماء ، في شرافة العلم وافضليته عن غيره:

لايكون في خزانة قدرة رب العالمين جوهر اشرف من العلم وانفس منه : وبهذه المناسبة ، الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله ، امرا له في القرآن الكريم ، و قل رب زدني علما، ولو كان شيء افضل من العلم لكان الله تعالى ان يأمر رسوله(ص) حتى يطلبه عنه «١» ونعم ماقاله الشاعر ولله دره .

العلم افضل شيء انت ذاخره من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

اقبل على العلم واستقبل مقاصده فاول العلم اقبال وآخره

روي عن الامام امير المؤمنين عليه السلام ، انه قال : اشرف الاشياء العلم والله تعالى عالم يحب كل عالم «٢» .

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله . انه كان يحدث انسانا ، فاوحى الله تعالى اليه ، انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه إلا ساعة ، وكان هذا وقت العصر فاخبره الرسول بذلك ، فاضطرب الرجل ، وقال يارسول الله دلني على اوفق عمل في هذه الساعة قال صلى الله عليه وآله اشتغل بالتعلم . فاشتغل بالتعلم وقبض قبل المغرب قال الراوي ، ولو كان شيء أفضل من العلم لامره النبي صلى الله عليه وآله به في ذلك الوقت «٣».

وكان النبي صلى الله عليه وآله ، يحب العلم اكثر من غيره ، ولذا كان يقول : اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علماً يقربني الى الله تعالى . فلا بارك الله لي في طلوع شمسه (٤)

«١» المنابر العلمية ج ١ ص ٣

«٢» شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ ص ٢٨٨

«٣» تفسير غرائب القرآن ج ١ ص ٨١ «٤» مجمع البيان

ولقد اخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال :

دعوني وأمري واختباري فانني بصير لما افرى وأبرم من أمرى
اذا ما مضى يوم ولم اصطنع يدا ولم اقتبس علما فما هو من عمرى

وقال الشاعر الفارسي ولله دره :

سرمايه عيش جاوداني علم است شايسته اساس زندگاني علم است
اصلاح وترقي بشر در عالم تنها وفقط اگر بداني علم است

وفي الرواية التالية ايضاً دلالة كاملة على افضلية العلم واشرفيته عن غيره وهي :

روي عن الحسن العسكري عليه السلام ، انه اتصل بابي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام ، ان رجلا من فقهاء شيعته كلم بعض النصاب فافهمه بحجته حتى ابان عن فضيحته ، فدخل الى علي بن محمد عليه السلام ، وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست ، وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم ، فمازال يرفعه حتى اجلسه في ذلك الدست ، واقبل عليه فاشتد ذلك على اولئك الاشراف فاما العلوية فاجلوه عن العتاب ، واما الهاشميون فقال له شيخهم ، يابن رسول الله هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبيين والعباسيين ، فقال عليه السلام ، اياكم وان تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم (الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » (٢) :

ارضوه بكتاب الله حكماً ، قالوا : بلى : قال اليس الله يقول « يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، الى قوله ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم

(٢) سورة النساء الآية ٦

درجات «١» .

فلم يرض للعالم المؤمن إلا ان يرفع على المؤمن غير العالم ، كما لم يرض للمؤمن الا ان يرفع على من ليس بمؤمن ، اخبروني عنه ، قال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتو العلم درجات » او قال : يرفع الذين اوتوا شرف النسب درجات ، اوليس قال الله « هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » «٢» فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله . ان كسر هذا « الفلان » الناصب بحجج الله التي علمه إياها ، لافضل له من كل شرف في النسب ، فقال : العباسي ، يابن رسول الله قد اشرفت علينا هوذا تقصير بنا عمن ليس له نسب كنسبنا .ومازال منذاول الاسلام يقدم الافضل في الشرف على من دونه فيه ، فقال عليه السلام سبحان الله اليس عباس بايع ابابكر وهو « تيمى » والعباس « هاشمي » اوليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب وهو « هاشمي » ابو الخلفاء وعمر «عدوى» ومابال عمر ادخل الهعداء من قريش فى الشورى ، ولم يدخل العباس ، فان كان رفعنا لمن ليس بها شمى على هاشمي منكرا فانكروا على عباس بيعته لابي بكر ، وعلى عبدالله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته ، فان كان ذلك جائزا فهذا جائز فكأنما القم الهاشمي حجرا «٣» .

الروايات والقصص الدالة على هذا المعنى لكثيرة ، ومن جملتها ، دخل ابو العالية على ابن عباس فاقعده معه على السرير واقعد رجلا من قريش تحته فراى سوء نظرهم اليه وجهومة وجوههم ، فقال : مالكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس . هكذا الادب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المالوك على المولى ويقعد العبيد

«١» سورة المجادلة ى ١١ «٢» سورة الزمر ى ٩

«٣» الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٦٠

على الاسرة «١» قال الشاعر :

مالي عقلي وهمتي حسبي ما انا مولى ولا انا عربي
اذا انتمى منتم إلى احـد فأننـي منتم الى أدبي

قيمة المرء بقدر مايعلمه من العلوم والمعـارف

قال الامام امير المؤمنين على عليه السلام، قيمة كل امرء مايحسنه «٢» : وفي بعض النسخ ، قيمة كل امرء مايحسن ؛

وقال السيد الرضي رضوان الله تعالى عليه ؛ هذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة ولا توزن بها حكمة ولا تقرن اليها كلمة «٣»

وقال خليل بن احمد ، رضى الله عنه ، افضل كلمة يرغب الانسان الى طلب العلم والمعرفة قول امير المؤمنين عليه السلام قدر كل امرء مايحسن «٤»

وقال الجاحظ : في كتاب التبيين والبيان عند ذكر هذه الكلمة ، قيمة كل امرء ما يحسنه ، او لم نقف من هذا الكتاب الاعلى هذه الكلمة لوجدناها فاضلـة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية (٥) .

وكل شيء له ميزان يوزن به او كيل يكال فيه وبعد الوزن او الكيل يعين سعره ويبين ثمنه ، حتى الانسان له ميزان يوزن به ويعين قيمته ، وذلك الميزان هو العـلم و العرفان ، اذ به يظهر جوهر رجال العلم والكمال . ويبين قيمتهم الواقعية لابغـيره من باقي الصفات الفاضلة الانسانية ، كالكرم والشجاعة ، والرأفة ، وعبر في الاخبار عن العلم بالميزان ، وبالحقيقة تعبير جيد ولطيف ، والانسان العاقل اذا اراد ان يعلم

«١» مجاني الادب ج ٢ ص ١٣٤ «٢ - ٣» بحار الانوار ج ١ ص ٥٤-٥٨
«٤» صد كلمة قصار ص ٤٨ «٥» تحفة العالم ج ١ ص ٥٣

قيمته ، فعليه ان يوزن نفسه في ميزانية العلم والعرفان . فخلاصة الكلام ، ان الانسان إذا حاز مرتبة من المراتب العلمية ونال درجة من الدرجات العرفانية فقيمته ايضاً بحسب ارتقائه الى مقامات الكمال والفضيلة كما ورد في الاخبار عن الائمة الاطهار عليهم السلام ، ونذكر قليلا من الروايات والاشعار الراقية فى الموضوع :

روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام . انه قال : ينبئ عن قيمة كل امرء علمه وعقله «١» كانه قال الامام عليه السلام تعلم العلم ، ثم ما حصلته من المعارف انصبه ميزاناً لوزن نفسك الملكوتية لتظهر قيمتها ويبين إلى أي حد وصل ثمنها . والطريق الصحيح الى ازدياد قيمة الانسان هو الطريق الذي صرح به الامام عليه السلام . لامنهج احسن منه بل منحصر فيه ، والروايات الواردة فى هذا الموضوع كثيرة ونكتفي بذكر بعض منها — .

قال الامام الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه، واكثر الناس قيمة اكثرهم علماً، واقل الناس قيمة اقلهم علماً «٢».

وايضاً روي عن امير المؤمنين عليه السلام ، انه قال فى بعض خطبه : ايها الناس أعلموا انه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه . ولا بحكيم من رضى بثناء الجاهل عليه ، الناس ابناء مايحسنون ، وقدر كل امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تبين اقداركم «٣» ،

وايضاً روى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، انه قال : يا مؤمن أن هذا العلم والادب ثمن نفسك فاجتهد فى تعلمهما فما يزيد من علمك وادبك يزيد في ثمنك وقدرك

«١» الواعظ ج ٥ ص ٢٣١ «٢» بحار الانوار ج ١ ص ٥٤

«٣» المخلاة ص ١

فأن بالعلم تهدي الى ربك وبالادب تحسن خدمة ربك ، وبأدب الخدمة يستوجب العبد ولايته وقربه ، فأقبل النصيحة كي تنجو من العذاب «١»

وقال عليه السلام في ديوانه المنسوب اليه :

الناس من جهة التمثال اكفاء ... ابوهم آدم والأم حواء
وانما امهات الناس اوعية ... مستودعات وللاحساب ابـاء
فان يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والمـاء
واما انيت بفخر من ذوي نسب ... فـان نسبتنا جود وعليـاء
لا فضل إلا لاهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغى لـه بدلا ... فالناس موتى وأهل العلم احياء

ولقد أحسن ماقاله الشاعر الفارسي في معناه :

انسان كه بصورت همه چون يكديگرند ... بايد كـه بعين مهر در هم نگرند
نام پـدر ومادر صـوري نبرنـد ... كين قوم زيك مادر واز يك پدرند

در باب نسب أگر كنى عمر نلت ... هاري بپدر كه هاشدش فضل وشرف
مادر چه صدف باشد وفرزند چه در ... هرگز نبود عزت در بهر صدف

اي طبع كجت سر شته باكبر ومنى ... دانسته تمام خلق را دون ودنى
هرجا كه رسى لاف اصالـة چه زني ... چون أصل تو أز گلست باآب منى

أي طبع تو خو كرده بآيين خلاف ... تاچند زني از نسب عالي لاف
در نفس تو گر فضيلتي هست بگوي ... باقي همه أز قبيل خشوست وگزاف

«١» بحار الانوار ج ١ ص٦٤

ارباب علوم دين كه درويشانند — يارب چه رفيع قدر وعاليشانند
پيوسته بحق دليل دلريشانند — مقصود هستي جهانايشانند

دانا كه هميشه علم وحكمت ورزد — درچشم كسان بانچه ورزد أرزد
نادان كه حسد ازدل اوسر برزد — پيوسته بكين أهل دانش لرزد

هستند جماعتي بجانان زنده — وزديدن اين قوم شود جان زنده
چون آب حيات درازل نوشيدند — مردم همه مرده اند وايشان زنده

كالهدير اكه خوراكست وخواب — مرده شمر گرچه كند زندگي
زنده كدام است برأهل دل — آنكه بجان يافت برومندگي
ره زپي دانش ودين كرد طي — تا كه زحق يافت نايندگي

وقال مهذب الدين الشاعر في هذا المعنى ونعم ماقاله :

فافخر فأنك من سلالة معشر — عقدوا عمائمهم على التيجانى
كل الانام بنو أب لكنما — بالفضل تعرف قيمة الانسان

وقال شاعر اخر ولعم ماقاله :

صبرت على الأيام والصبر شيمتي — ودارست علما ان بالعلم قيمتي

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، انه قال : طلبت القدر والمنزلة فما وجدت إلا بالعلم ، تعلموا يعظم قدركم فى الدارين ، وطلبت الكرامة فما وجدت إلا بالتقوى اتقوا لتكرموا ، وطلبت الغنى فما وجدت إلا بالقناعة عليكم تستغنوا ، وطلبت الراحة فما وجدت إلا بترك مخالطة الناس إلا لقوام عيش الدنيا اتركوا الدنيا ومخالطة الناس تستريحوا فى الدارين وتأمنوا من العذاب . وطلبت السلامة فما وجدت إلا بطاعة الله تعالى اطيعوا الله تسلموا ، وطلبت الخضوع فما وجدت إلا بقبول الحق أقبلوا الحق فان قبول الحق يبعد من الكبر ، وطلبت العيش فما وجدت إلا بترك الهوى ، فاتركوا

الهوى ليطيب عيشكم ، وطلبت المدح فما وجدت إلا بالسخاء كونو اسخياء تمدحوا وطلبت نعيم الدنيا والآخرة فما وجدت إلا بهذه الخصال التي ذكرتها[1] .

فايها الطالب الفاضل لاريب في ان قيمتك بمقدار معرفتك من العلوم واذا تريد ان تزيد قيمتك فاستزد من المعارف حتى يزيد ثمن نفسك ،

وقال الشاعر الفارسي ولله دره :

جلال وجاه بعلم است نى بأصل ونسب كمال وقدر بفضل أست نى بمال ومنال
بكسب علم وأدب كوش زانكه كس بي علم نه صاحب شرف ورتبه أست نى اجلال
زعلم جوى گرت آرزوى ثروت هست كه او ترا برساند بمنتهى الامال
قبول علم وأدب كن أگر تو ميخواهي كه دولت دوجهانت كنند استقبال

فقد العالم وقيمته

محمد بن النعمان عبد السلام بن جابر بن نعمان بن سعيد العربي العكري البغدادى الملقب بالشيخ المفيد كان من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم واستادهم وكل من تأخر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، أوثق أهل زمانه وأعلمهم انتهت رياسة الامامية اليه في وقته ، وكان حسن الخاطر دقيق اللفظة حاضر الجواب له قريب من مائتي مصنف كبار وصغار مات رضوان الله تعالى عليه ليلة الجمعة لثلث خلون من شهر رمضان سنة ثلث عشر وأربعمأة ويكفي في عظم مرتبته وعلو شأنه ان له توقيعات من الصاحب عجل الله تعالى فرجه في جلالته منها :

الاخ السديد والولي الرشيد الشيخ المفيد ابيعبد الله محمد بن محمد بن النعمان ادام الله اعزازه مستودع العهد المأخوذ على العباد ، بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك ايها

[1] الواعظ ج ٥ ص ١٥ نقلا عن السفينة ،

الولي المخلص فينا باليقين فانا نحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين ونعلمك ادام الله توفيقك لنصرة الحق واجزل مثوبتك عن نطقك عنا بالصدق انه قد اذن لنا في تشريفك بالمكاتبة الـخ (١) ورثاه الصاحب عليه السلام بعد موته حكى انه وجد مكتوبا على قبره بخط القائم عليه السلام

لا صوت الناعي بفقدك انه يوم على آل الرسول عظيم
ان كان قد غيبت في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيم
والقائم المهدي يفرح كلما تليت عليك من الدروس علوم (٢)

ان ابا اسحاق الصابى كان اديباً منشأ ، وله في الكتابة والانشاء مقام رفيع وكان يعيش في القرن الرابع من الهجرة النبوية ، ﷺ وهو صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع ، وكان يصوم شهر رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن الكريم احسن حفظ وكان يستعمله فى رسائله ، وكانت الصداقة بينه وبين السيد الرضي الشريف ، رضوان الله تعالى عليه توفى في سنة ٤٨٣ او ٤٨٠ ورثاه السيد الشريف الرضي بقصيدة طويلة ومن جملتها هذه (٣) ،

ارأيت من حملوا على الأعواد ارأيت كيف جنا ضياء النادي
جبل هوى لو خر في الهجر اعتدى من ثقله متتابع الازباد
ما كنت اعلم قبل حطك فى الثرى ان الثرى يعلو على الاطواد

وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً يرثى صابئاً ، فقال انما رثيت فضله ،

قال الجزائري قدس سره ، ان ابا اسحاق كان مصاحباً للسيد المرتضى طاب ثراه ، ويحكى انه كان اذا بلغ راكباً الى قبره ترجل حتى يتجاوزه فيركب فعاتبه اخوه

(١-٢) روضات الجنات باب الميم ص ٥٣٧ .

(٣) الكنى والالقاب ج ٢ ص ٣، ٣ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦

الرضي على ذلك فقال انها اعظم درجته في العلم ولست انظر الى دينه وقد رثاه بقصيدة طويلة من جملة ديوانه طاب ثراه (١)

ولقد اتاني من مصابك طارق　　لكنه ما كان كالطراق
ما كان للعينين قبلك بالبكاء　　مهدو لا الجنبين بالاقلاق
واطقت حمل النائبات ولم يكن　　ثقل برزءك بيننا بمطاق

الشيخ الورع البارع عز الدين حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي ابن حسين بن صالح الجبعي العاملي الحارثي الهمداني والد شيخنا البهائي رضوان الله عليه كان عالماً فاضلا مطلعاً على التواريخ ماهراً في اللغات مستحضراً للنوادر والامثال وكان ممن جدد قراءة كتب الأحاديث ببلاد العجم له مؤلفات جليلة ورسالات جميلة توفي رحمه الله تعالى ، ثامن ربيع الأول سنة اربع وثمانين وتسعمأة ودفن في البحرين (٢) ورثاه ولده الشيخ بهاء الدين العاملي رضوان الله تعالى عليهما ،

قف بالطلول وسلها اين سلماها　　ورو من جرع الأجفان رياها
ورد الطرف في اطراف ساحتها　　وروح الروح من ارواح ارجاها
وان يفتك من الأطلال مخبرها　　فلا يفوتك مرآها ورياها
ربوع الفضل بضاهي التبر تربتها　　ودار انس يحاكي الدر حصباها
عدا على جيرة حلوا بساحتها　　صرف الزمان فاهلاهم واباها
بدور تم غمام الموت جللها　　شموس فضل سحاب الترب غشاها
فالمجد يبكي عليها جازعاً أسفاً　　والدين يندبها والفضل ينعاها
يا حبذا ازمن في ظلهم سلفت　　ما كان اقصرها عمراً واحلاها

---

(١) روضات الجنات ص ١٤٣

(٢) روضات الجنات باب الحاء ص ١٩٢

اوقات انس قضيناها فما ذكرت ... الا وقطع قلب الصب ذكراها
ياسادة هجروا واستوطنوا هجرا ... واها لقلب المعنى بعدكم واها
رعياً لليلات وصل بالخمر سلفت ... سقيا لايامنا بالخيف سقياها
لفقدكم شق جيب المجد وانصدعت ... اركانه وبكم ما كان اقواها
وحز من شامخات العلم ارفعها ... والهد من باذخات الحلم ارساها
ياناويا بالمصلي من قرى هجر ... كسيت من حلل الرضوان ارضاها
اقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثة كن امثالا واشباها
ثلاثة انت اسداها واغزرها ... جوداً واعذبها طعما وأحلاها
حويت من درر العلياء ماحويا ... لكن درك اعلاها واغلاها
ياأخصاً وطئت هام الشهى شرفاً ... سماك من ديم الوسمي اسماها
وياضريحاً علا فوق السماك علا ... عليك من صلوات الله ازكاها
فيك انطوى من شموس الفضل آخرها ... ومن معالم دين الله اسناها
ومن شوامخ اطواد الفتوة ار ... ساها وارفعها قدراً والهاها
فاسحب على الفلك العلوي ذيل علا ... فقد حويت من العلياء اعلاها
عليك مني سلام الله ماصدحت ... على غصون اراك الدوح ورقاها(١)

احمد بن الامام العلامة كمال الدين محمد بن الامام العلامة ابن عبد الله محمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة القسطنطيني الحنفي الملقب بالشمني هو صاحب الحاشية المدونة المشهورة بايدي الطلبة على مغني ابن هشام ، وكان الشمني من جملة مشايخ عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المشهور وقد بالغ السيوطي في الثناء عليه ، وقال : الشمني بضم المعجمة والميم وتشديد النون القسطنطيني الحنفي ، الفقيه

(١) مجاني الادب ج ٤ ص ٥١

المفسر الأصولي المتكلم النحوي البياني المحقق امام النحاة في زمانه وشيخ العلماء في أوانه شهد بفضل علومه العاكف والبادي وارتوى من بحار علومه الظمآن والصادي اما التفسير فهو بحره المحيط وكشاف دقائقه الوجيز الفائق على الوسيط والبسيط ، اما الحديث فالرحلة في الرواية والدراية اليه والمعول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته عليه ، اما الفقه فلو رآه النعمان لانعم به عيناً او رام احمد مناظرته لانشد،والفى قوله كذباً ومينا ، اما الكلام فلو رآه الاشعري لقر به وقربه وعلم انه نصير الدين ببراهينه وحججه المهذبة المرتبة ، واما الاصول فالبرهان لايقوم عنده بحجة وصاحب المنهاج لايهتدي إلى محجة اما النحو فلو أدركه الخليل لاتخذه خليلا او يونس الآنس بدرسه وشفى منه عليلا الخ (١) .

ورثاه بعض الفضلاء بهذه الأبيات التالية،

رزء عظيم به تستنزل العبر ... وحادث جل فيه الخطب والعبر
رزء مصاب جميع المسلمين به ... وقلبهم منه مكلوم ومنكسر
مافقد شيخ شيوخ المسلمين سوى ... انهدام ركن عظيم ليس ينعمر
كل العلوم تناعيه وتنشده ... لما قضى مهلا يا ايها البشر
اذ كان في كل علم آية ظهرت ... وما العيان كمن قد جاءه الخبر
النقل والعقل حقاً شاهدان رضا ... بانه فاق من باتى ومن عبروا
له فصاحة سحبان وشاهدها ... اجماع كل الورى والنص والنظر
لو يحلف الخلق بالرحمن ان له ... كل المحاسن والاحسان ما فجروا
شيخ الشيوخ ولا اوحشت من سكن ... ولا عفاك ربع زانه الخفر
حيائك الحق فى الدارين ثابتة ... ما العالمون باموات وان قبروا

(١) روضات الجنات باب الهمزة ص ٩٢

قطعت عمراً فاما ناشراً لهدى او نافعاً لفتى قد مسه الضرر
على سواك ربيع العلم رونقه محرم وهم من فهمه صفر
حزت العلى في الورى علما ومنقبة سوى الذي لك عند الله مدخر
ابشر بروح وريحان ودار رضا ورحمة وصفاء ماله كدر
يثنى عليك جميع الخلق قاطبة اذا الثناء على هذا لمعتبر
يذكر الموت قرب الانتقال وما كمثل موت لقي الدين مدكر
فالله يخلفه في نسله كرماً والله اعظم من يرجى وينتظر
دهر عجيب لطيم السمع منكره وما به للهدى عوض ولا وزر
وكل وقت يرى الاخيار قد ذهبوا والاشرة فيه النار تستعر
حبر فحبر امام بعد آخر لا يرى لهم خلف كلا ولا نظر
اذا نجوم الهدى والرشد قد افلت ضل الورى فلهم في عينهم سكر
منهم الاولى تشرف الدنيا ببهجتها لا شمسها وابو اسحق والقمر
وان تكن اعين الانسان ذاهبة لترى فعا قليل يذهب الأثر (١)

استاذ الاساتذة العلامة محي الدين ابو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافيجي الرومي البرغمي الحنفي ،استاذ جلال الدين ،وتصانيفه في العلوم العقلية وغيرها لاتحصى ولكن اجلها وانفعها على الاطلاق ، شرح قواعد الأعراب ، وشرح كلمتي الشهادة ، وله مختصر في علم الحديث ، ومختصر في علوم التفسير ، توفى ليلة الجمعة رابع جمادي الأولى سنة تسع وسبعين وثانمأة (٢) :

قال الشهاب المنصوري يرثي العلامة الكافيجي .

(١) روضات الجنات ص ٩٣

(٢) روضات الجنات ص ٧١٩ باب الميم

بكت على الشيخ محي الدين كافيجي　　عيوننا بدموع من دم المهج
كانت اساريرهذا الدهر من درر　　تزهى فبدل ذاك الدر بالسبح
فكم نفي بسماح من مكارمه　　فقرا وقوم بالاعطاء من عوج
يا نور علم اراه اليوم منطفئاً　　وكانت الناس تمشي منه في سرج
فلو رأيت الفتاوي وهي باكية　　رأيتهامن نجيع الدمع فى لجج
ولو سرت بثناء عنه ريح صبا　　لاستنشقوامن شذاها اطيب الأرج
ياوحشة العلم من فيه اذا اعتركت　　ابطاله فتوارت في دجى الرهج
لم يلحقوا شأو علم من خصائصه　　اني ورتبته فى ارفع الدرج
قد طال ما كان يقرينا ويقرؤنا　　في حالتيه بوجه منه مبتهج
سقيا له وكساه الله نور سنا　　من سندس بيد الغفران منتسج (١)

القاضي ابوبكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني الأشعري البصري المتكلم المشهور كان اماماً على مذهب الشيخ ابن الحسن الذي هو رئيس الاشاعرة ومؤيد اعتقاداته وسكن بغداد وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة فى علم الكلام ، وكان فى علمه اوحد زمانه وانتهت اليه الرياسة في مذهبه ، توفى في آخر يوم السبت سبع بقين من ذي القعدة سنة ثلث واربعمأة (٢) .

ورثاه بعض الشعراء .

انظر الى جبل تمشي الرجال به　　وانظر الى القبر مايحوى من الصلف
وانظر الى صارم الاسلام مغتمداً　　وانظر الى درة الاسلام فى الصدف (٣)

---

(١) مجاني الادب ج ٤ ص ٦٤

(٢) روضات الجنات باب الميم ص ٦٨٦

(٣) مجاني الأدب ج ٣ ص ٤٣

الشيخ ابو زيد حنين بن اسحاق العبادي الطبيب الحاذق الماهر المشهور كان امام وقته في صناعة الطب كان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة وهـو الذي عرب كتاب اقليدس ونقله من لغة اليونان الى لغة العرب ثم جاء ثابت بن قرة فنقحه وهذبه وكذلك كتاب المجسطي واكثر كتب الحكماء والاطباء فانها كانت بلغة اليونان فعربت ،وله في الطب مصنفات مفيدة كثيرة وكذا لولده اسحاق بن حنين وقد كان هو ايضاً اواحد عصره في الطب مات يوم الثلاث لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين(١) .

قال الشبراوي، يرثي العلامة العبادى :

ياطالب راحة من دهره عبثا	اقصر فما الدهر إلا بالهموم ملي
كم منظر رائق افنت جمالتـه	يد المنون واعيته عن الحيـل
وكم همام وكم قرم وكم ملك	تحت التراب وكم شهم وكم بطل
وكم امام اليه تنتهى دول	قد صار بالموت معزولا عن الدول
وكم عزيز اذلته المنون وما	ان صدها عنه من مال ولا خول
ياعارفاً دهره يكفيك معرفة	وان جهلت تصاريف الزمان سل
هل في زمانك او من قبله سمعت	اذناك ان ابن انثى غير منتقل
وهل رأيت اناساً قد علوا وغلوا	في الفضل زادوا بمانالوا عن الأجل
او هل لسيت لدوا للموت او عميت	عيناك عن واضع نعشا ومحتمل
وهل رعى الموت ذا عز لعزته	او هل خلا احد دهراً بلا خال
الموت باب وكل الناس داخله	لكن ذا الفضل محمول على عجل
وليس فقد امام عالم عـلم	كفقد من ليس ذا علم ولا عمل
وليس موت الذي مائت له امم	كموت شخص من الاوغاد والسفل

(١) روضات الجنات باب الحاء ٢٦٣

لاجل ذا طال منا النوح وانحدرت منا الدموع كسيل وابل هطل
على امام همام فاضل فطن حبر لبيب ملاذ للعلوم ولي
له يد وردت بحر الهدى وروت حديثه عن فنون السادة الأول
وكم له من تأليف بجوهرها جلت وما احتاج معناها الى حلل (١)

الشيخ الاديب البارع المؤسس للاساس ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوي الشيباني بالولا معروف بثعلب بفتح الثاء المثلثة وسكون العين المهملة ، صاحب كتاب الفصيح في النحو ، وكان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم مقدما عند الشيوخ منذ هو حدث ،

قال ابو بكر بن مجاهد المقرى قال لي ثعلب يا ابابكر اشتغل اصحاب القرآن بالقرآن ففازوا واشتغل اصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغل اصحاب الفقه بالفقه ففازوا واشتغلت انا بزيد وعمرو فليت شعري ماتكون حالي في الاخرة فانصرفت من عنده فرأيت النبي صلى الله عليه وآله ، تلك الليلة في المنام فقال لي اقرأ ابا العباس عني السلام ، وقل له انت صاحب العلم المستطيل .

قال ابو عمر الزاهد المعروف بالمطرز ، كنت في مجلس ابن العباس ثعلب فسأله عن شيء فقال لا ادرى فقال تقول لا ادري واليك تضرب اكباد الابل واليك الرحلة من كل بلد فقال له ابو العباس ، لو كان لامك بعدد ما لا ادري بعر ، لاستغنت توفي يوم السبت في ١٣ جمادي الاولى سنة احدى وتسعين ومائتين ببغداد رحمه الله (٢) ورثاه بعضهم بقوله :

مات ابن يحيى فماتت دولة الأدب ومات احمد نحى العجم والعرب
فان تولى ابو العباس مفتقداً فلم يمت ذكره في الناس والكتب (٣)

(٢) مجاني الادب ج ٤ ص ٦٠
(٢-٣) روضات الجنات باب الهمزة ص ٥٦

ابو الحسن علي بن حمزة المعروف بالكسائي ، احد القراء السبعة كان اماماً في النحو واللغة والقراآت واجتمع يوماً بمحمد بن الحسن الفقيه الحنفي في مجلس الرشيد ، فقال الكسائي من تبحر في علم يهدي الى جميع العلوم ، فقال له محمد ، ما تقول فيمن سها في سجود السهو ، هل يسجد مرة اخرى ، قال الكسائي . لا قال محمد ، لماذا قال لان النحاة تقول : المصغر لايصغر (١) .

ابو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ونشأ بالكوفة فطلب الحديث ، ولقي جماعة من الاعلام ، وحضر مجلس ابي حنيفة سنين ، ثم تفقه على ابي يوسف صاحب ابو حنيفة ، وصنف للكتب الكثيرة النادرة ، (منها الجامع الكبير) (والجامع الصغير) وغيرهما ، وقال الشافعي في حقه ، مارأيت أحداً يسأل عن مسئلة فيها إلا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن الحسن ، وقال السمعاني ، مات محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد بالري ، في سنة اثنتين او ثلاث وثمانين ومأة ، قال السمعاني يقال : ان الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالري (٢) قال اليزيدي بن مغيرة المقري ، يرثي الكسائي ومحمد بن الحسن و كانا قد خرجا مع الرشيد الى خراسان فماتا في الطريق :

تصرمت الدنيا فليس خالد ... وما قد ترى من بهجة سيبيد
سيفنيك ماافنى القرون التي خلت ... فكن مستعداً فالفناء عتيد
امسيت على قاضي القضاة محمد ... فاذريت دمعي والفؤاد عميد
وقلت اذا ماالخطب اشكل من لنا ... بايضاحه يوماً وانت فقيد
واقلقني موت الكسائي بعده ... وكادت بي الارض الفضاء تميد

---

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٥٧ - ٤٥٨

(٢) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٢٧

واذهلني عن كل عيش ولذة وارق عيني والعيون هجود
هما عالمان اوديا وتحزمـا وما لهما في العالمين نديـد
فحزني ان تخطر على القلب خطرة يذكرهما حتى الممات جديد (١)

ابو سعيد عبد الملك ، المعروف بالاصمعي ، الباهلي ، كان الاصمعي المذكور صاحب لغة ونحو . واماماً في الاخبار : والنوادر ، والملح ، والغرائب .

قال عمر بن شعبة ، سمعت الأصمعي يقول : احفظ ستة عشر الف ارجوزة .

وقال الربيع بن سليمان ، سمعت الشافعي يقول : ماعبر أحد من العرب باحسن من عبارة الأصمعي:

وللاصمعي من التصانيف كتاب (خلق الانسان) وكتاب (الاجناس) وكتاب (الأنواء) وكتاب (الهمزة) وكتاب (المقصوروالممدود) وغير ذلك ، وله مصنفات كثيرة من غير الكتب المذكورة . توفي في صفر سنة ست عشر ومأتين (٢) ورثاه بعضهم وقال :

لادر درنيات الأرض اذفجعت بالاصمعي لقد ابقت لنا اسفا
عش ماعاش الملك في الدنيا فلست ترى في الناس منه ولا من علمه خلفا (٣)

ورثاه أيضاً محمد بن ابي العتاهية :

اسفت لفقد الاصمعي لقدمضى حميدا له في كل صالحة سهم
تقضت بشاشات المجالس بعده وودعنا اذ ودع الانس والعلم
وقد كان نجم العلم فينا حياته فلما انقضت ايامه افل النجم(٤)

---

(١) مجاني الادب ج ٤ ص ٦١

(٢ - ٣) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٥٢ - ٣٤٩

(٤) مجاني الادب ج ٤ ص ٦١

ابو المعالي عبد الملك بن الشيخ ابي محمد عبد الله ، الملقب بضياء الدين المعروف بامام الحرمين اعلم المتأخرين من اصحاب الشافعي ، وكان متفنناً في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك ، وله تصانيف منها الشامل في اصول الدين ، والبرهان في اصول الفقه ، والتلخيص للتقريب ، والارشاد والعقيدة النظامية ، ومدارك العقول ، وغير ذلك من الكتب توفي سنة ، ثمان واربعمأة (١) ورثاه بعضهم فقال :

قلوب العالمين على المقالي وايام الورى شهب الليالي
ايثمر غصن اهل العلم يوماً وقد مات الامام ابو المعالي (٢)

ابو زكريا يحيى بن معين ، الحافظ المشهور المشهور ، كان اماماً ، عالماً ، حافظاً متفنناً ، وسئل يحيى المذكور ، كم كتبت من الحديث ، فقال : كتبت بيدي هذه ستمأة الف حديث ، وكانت وفاته من ذي القعدة سنة ثلث وثلاثين ومأتين (٣) ورثاه بعض المحدثين فقال :

ذهب العليم بعيب كل محدث وبكل مختلف من الأسناد
وبكل وهم في الحديث ومشكل يعيى به علماء كل بلاد (٤)

ورثاه أيضاً سليمان بن معبد وقال :

لقد عظمت في المسلمين رزية غداة لهى الناعون يحيى فاسمعو
فقالوا وانا قد دفناه في الثرى فكاد فؤادي حسرة يتصدع
فقلت ولم املك لعيني عبرة ولا جزعاً انا الى الله نرجع
إلا في سبيل الله عظم رزيتي بيحيى الى من نستريح ونفزع
ومن ذا الذي بوتي فيسأل بعده اذا لم يكن للناس في العلم مقنع

(١-٢) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣١٣

(٣-٤) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٣٥٦

لقد كان يحيى في الحديث بقية ... من السلف الماضين حين تقشعوا
فلما مضى مات الحديث بموته ... وادرج في اكفانه العلم اجمع
وصرنا حيارى بعد يحيى كأننا ... رعية راع بثهم فتصدعوا
وليس يمغن عنك دمع سفحته ... ولكن اليه يستريح المفجع
لعمرك ما للناس في الموت حيلة ... ولا لقضاء الله في الخلق مدفع
ولكنما ابكي على العلم اذ مضى ... فما بعد يحيى فيه للناس مفزع
فقد ترك الدنيا وفر بدينه ... الى الله حتى مات وهو ممتع (١)

ابو طيب احمد بن الحسين المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه وجال في اقطاره واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ، ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل: ان الشيخ ابا علي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة ، قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلي ، فقال المتنبي في الحال حجلى وضربى . قال الشيخ ابو علي فطالعت كتب اللغة ثلث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم اجد .

وله ديوان شعر ، واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه ، وقال بعضهم ، اني وقفت له على اكثر من اربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا ابدا بغيره قتل في شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلثمأة (٢) ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني وقال :

الدهر اخبث والليالي انكد ... من ان تعيش لاهلها يا احمد

(١) مجاني الادب ج ٤ ص ٦٢
(٢) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٨

قصدتك لما ان رأتك لفيسها ... بخـلا بمثلك والنفائس تقصد
ذقت الكريهة بغتة وفقدتهـا ... وكريه فقدك في الورى لايفقد
قل لي ان استطعت الخطاب فانني ... صب الفؤاد الى خطابك مكمد
اتركت بعدك شاعراً والله لا ... لم يبق بعدك في الورى من ينشد
اما العلوم فأنهـا يا ربهـا ... تبكي عليك بادمع لاتجمد (١)

ورثاه أيضاً ابو القاسم المظفر بن علي الكاتب :

لارعى الله سرب هذا الزمان ... اذ دهانا في مثل ذاك اللسان
مارأي الناس ثاني المتنبي ... اي ثان يرى لبكر الزمـان
كان من نفسه الكبـيرة في « جيش » وفي « كبرياء » ذي « سلطان »
كان في لفظـه نبياً ولكن ... ظهرت معجزاته في المعاني (٢)

ابو عمر احمد بن محمد عبدربه. كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس وصنف كتابه (العقد) وهو من الكتب الممتعة ، حوى من كل شيء (٣) وهو يرثي ولداً له وكان ولده ايضاً عالماً فاضلا كما يستفاد من المرثية التالية التي انشدها ابوه:

قصـد المنون له فمات فقيدا ... ومات على صرف الخطوب حميدا
بأبي وأمي هالـكا افردتـه ... قد كان في كل العلوم فريدا
سود المقابر اصبحت بيضا به ... وغدت له بيض الضمائر سودا
لم نرزه لما رزينـا وحده ... وان استقل بـه المنون وحيدا
لكن رزينا القاسم بن محمد ... في فضله والأسودين بزيدا
وابن المبارك في الرقائق معمراً ... وابن المسيب في الحديث سعيدا

(١-٢) مجاني الادب ج ٤ ص ٥٨ــ٥٩
(٣) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٤

والاحفشين فصاحة وبلاغة والاعشين روايـة ونشيدا
كان الوصي اذا أردت وصية والمستفاد اذا طلبت مفيدا
ولي حفيظاً في الازمة حافظاً ومضى ودوداً في الورى مودودا
ما كان مثلي في الرزية والداً ظفرت يـداه بمثله مولودا
حتى إذا بدأ السوابق في العلى والعـلم ضمن شاوه ملحودا
يامن يفند من البكاء مولها ما كان يسمع في البكاء تفنيدا
تأبى القلوب المستكنة الاسى من أن تكون حـجارة وحديدا
ان الذى باد السرور بموته ما كان حزنى بعده ليبيـدا
الآن لما ان حويت مآثرا اعيت عدوا في الورى وحـسودا
ورأيت فيك من الصلاح شمائلا ومن السماح دلائـلا وشهوداً
ابكي عليك اذا الحمامة اطربت وجه الصباح وغردت تغريدا
لولا الحياء انى ازن ببدعة ما يعـدده الورى تعديـدا
لجعلت يومى في الملاحة مأتما وجعلت يومك في الموالد عيدا(١)

الشيخ الفقيه الفاضل العليم والكامل الحكيم قوام الدين جعفر بن عبدالله ، كان فاضلا جليل القدر ، عظيم الشأن ، ورفيع المنزلة ، دقيق الفطنة ثقة ، عارفاً بالاخبار والتفسير ، والفقه والكلام والعربية ، وجامعاً لجميع الكمالات العلمية بل لم يكن في جامعيته وحدة حدسه وحضور جوابه وذكائه ودقة طبعه في عصره نظـير ولاقرين توفى في حدود سنة خمس عشر بعد مأة والف (٢) فرثاه بعض الفضلاء بهذه القصيدة الفاخرة الغراء :

(١) مجانى الأدب ج ٤ ص ٤٥
(٢) روضات الجنات باب الجيم ص ١٥٠

الدهر ينعى البنا المجد والكرما والعلم والحلم والاخلاق والشيما
ينعى العفاف وينعى الفضل يندبه ينعى الحياء وينعي العهد والذمما
فليت بالدهر ما قد حكى بكما اوليت عن ذك في اسماعنا صمما
ولانطيق الجبال الصم داهية دهيأدك لهـا الاسلام وانثلما
وزلزلت ارض علم بعدما انفطرت سماء عـلم وماج البحر والتطما
يا صبر هذا فراق بيننا ومتى تطاق والدهر اوهى الركن فانهدما
بشيخنا جعفر بحر يساحلـه سفائن العلم مبذولا ومقتسـما
ياعين جودى فعين الجود غائرة تبكي عليها العيون الساهرات دما
من للحزين ينادي وهو منقطع فيستغيث ويبكي المفرد العلما
اين الذى بسط الاحسان منبسطاً قد عم فيض نداه العرب والعجما
اين الذي فسر الآيات محكمة اين الذى هذب الأحكام والحكما
وباطل كال بالتحقيق يدمغه كأنه بقدوم يكسر الصنـما
لله ايامنا اللاتي مضين لنـا اذ نحن من نوره نستكشف الظلما
كالت هي العمر مرت وهي مسرعة وهل سمعت بحى عمره انصرما
واخوة بصفاء الود رافقهم فجمعهم بعده عقد قد انفصما
ومسند زاده عزاً تمكنه كخاتم فصه جور الزمان رمى
ظل الاشارات بعد الشيخ مبهمة كما الشفاء عليل يشتكي السقما
بات الصحاح سقيما منذ فارقه عين الخليل اصيبت عينه بعما
تبكي عليه عيون العلم تسعدها شروحاً وحواشيها ومارقما
تمضي الليالي ولاتفنى مآثره يبقى على صفحة الايام ما رسما
لظمى مدامع تجرى فى مصيبته فالقلب مانثر للعينان قد نظما

طوبى له من وفى في مهاجره من بيته وهو يرجو الله معتصما(١)

الصاحب الكافى حميد الوزراء وعميد النظراء ابو القاسم اسماعيل بن الحسن وكما نقل عن صاحب (اليتيمة) في الاقرار بالعجز عن القيام بحقيقة مدحه ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله من العلم والادب وجلالة شأنه فى الجود والكرم الخ : . توفى ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمأة فمن جملة من رثاه ابو الحسن الهمدانى الوصي :

يبكي الانـــام سليل عباد العلا والدين والقـــرآن والاسلام
تبكيه مـــكة والمشاعر كلها وحجيجها والنسك والاحرام
تبكيه طيبة والرسول ومن بها وعقيقهـــا والشهل والأعلام
مات المعاني والعلوم بموته فعلى المعالي والعلوم سلام (٢)

الفقيه المتبحر الكامل والمتتبع الجامع لجميع الفضائل الميرزا محمد باقر الخوانساري كان فقيهاً ، فاضلا جامعاً ويدل على تبحره وفضله كتابه المسمى (بروضات الجنات) فى احوال العلماء والسادات ، وهو كتاب نفيس مصدر الكتب ومأخذها ، توفى اواخر ليلة الاثنين ثامن شهر جمادي الأولى سنة ثلث عشر وثلثمأة بعد الالف ورثاه بعض الفضلاء بالعربية والفارسية قال المرحوم سليمان خان ركن الملك بالفارسية (٣).

دريغ وحسرت وافغان كه بازساقي چرخ جهانيان را زهر فراق ريخت بكـــام
بگ نه عالمي از ايـــن جهان فاني برد كه شرع احمد زا وداشت انتظام وقوام
جهان نداشت چه او ياد در فنون علوم زمان نديد چو او مرد در بيان وكلام

(١) روضات الجنات ص ٥١ الى آخر القصيدة
(٢) روضات الجنات باب الهمزه ص ١٠٤ /١١٠
(٣) روضات الجنات باب الهاء ص ١٢٨

ستوده باقر علم محمدي كه چنو بروزگار عقيم است مادر ايام ، الخ

وايضاً رثاه بعضهم بالعربية وقال :

قد طار من غرف الروضات طائرها نحو الجنان وافى من مآثره
قال المؤرخ فى تاريخ رحلته تعطل العلم من فقدان باقره

ثابت بن قرة ، بن مروان بن ثابت بن كريا بن ابراهيم بن كريا بن مارينوس بن سالامالس ابو الحسن الحراني الصابي من أهل حران انتقل الى مدينة بغداد واستوطنها وكان الغالب عليه الفلسفة وكان في دولة المعتضد وله كتب كثيرة في فنون من العلم كالمنطق والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة وله كتاب مدخل الى كتاب اقليدس عجيب وكتاب إلى المنطق ، وهو ترجم كتاب الأرثماطيقي ، واختصر كتاب حيلة البرء وهو من المتقدمين في علمه ومولده فى سنة احدى وعشرين ومائتين ومصنفاته كثيرة .

مات ثابت بن قرة ، وهو من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ورثاه ابو احمد يحيى ابن علي بابيات منها :

الاكل حي ماخلا الله مائت ومن يغترب يؤمل ومن مات فات
ارى من مضى عنا وخيم عندنا كسفرتوا ارضا فسار وبائت
لعاه للعلوم الفلسفيات كلها عداها النماع النور مذمات ثابت
واصبح اهلوها حيارى لفقده وزال به ركن من العلم ثابت
ولما اتاه الموت لم يغن طبه ولا ناطق مما حواه وصامت
فلو انه يستطاع للموت مدفع لدافعه عنه حماة مصالت
ثقات من الأخوان يصفون وده وليس لما يقضي به الله لافت
ابا حسن لا تبعد وكلنا(١) لك مفجوع له الحزن كائت

(١) اخبار الحكماء حرف الثاء ص ٨٥

موت العالم

قال الله العزيز الحكيم ، اولم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من اطرافها والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب (١)،

موت العالم من اصعب الاشياء بل ومن اشد المصائب والآلام على الاسلام والمسلمين لان العالم هو هادي الناس ومرشدهم الى طريق السعادة والرشاد ، وصراط الحق والجنة واذا مات العالم وفقد من بين الناس لم تزل الجامعة البشرية حيارى وسكارى في امور دينهم وإذا صاروا حيارى فيبعدون من الله تعالى ومن طريق ديانتهم واسلاميتهم . فحينئذ لامحالة يسيرون سيراً سريعاً الى نار جهنم ، فهذه هي مصيبة صعبة للدين والاسلام ونكبة للجامعة الانسانية ، ووردت الروايات واقوال الأكابر من العلماء نظماً ونثراً في هذا الموضوع ، ولتأييد ماقلناه مضافاً من دلالة الآية الشريفة نذكر جملة منها:

وقد اختلف المفسرون في معنى الآية الشريفة ، فقال بعضهم ، المراد بالاتيان اتيان الملائكة المأمورين لذلك ، او اتيان امره تعالى ، وننقصها من اطرافها ذهاب أهلها تدريجاً ، وقد فسر نقصها من اطرافها ، بفقد العلماء اما لان العلماء لما كانوا احياء العالم الارواح ونزلوا إلى الأرض فبذهابهم ينقص الأرض ، واما غيرهم فلكونهم مخلدين الى الارض ، او لأن الأطراف جمع الطرف بالتحريك او الطرف بالسكون بمعنى الشريف ويجري الآية في العالم الصغير ونقصان العالم الصغير اظهر من العالم الكبير (٢) .

عن أبي عبد الله عليه السلام ، ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيارها (٣)

---

(١) سورة الرعد ص ٤١ ، النقص أخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في نقصان المنزلة ، والطرف منتهى الشيء وهو موضع من الشيء ليس ورائه ماهو منه ، وأطراف الأرض نواحيها ، والتعقيب رد الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده إذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه ، مجمع البيان ج ٢ ص ١٣

(٢) تفسير بيان السعادة ص ٣٩٦　　(٣) تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٠١ نقلا عن الطبرسي

وفسر بعضهم ، ننقصها من أطرافها أي بموت العلماء والعباد (١) .

وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة احمد بن عبدالعزيز ابي القاسم المصري الواعظ سكن اصبهان ، حدثنا ابو محمد طلحة بن أسد المرى بدمشق انشدنا ابو بكر الاجرى بمكة قال انشدنا احمد بن نمزال لنفسه :

الارض تحيا اذا ماعاش عالمها ... متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ... وان أبى عاد فى اكنافها التلف (٢)

وفي الفقيه عن الصادق عليه السلام ، انه سئل عن هذه الآية فقال فقد العلماء والقمي قال موت علمائها (٣) .

قال الاصمعي ، في موت العالم وفقده ونعم ماقاله :

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته خلق كثير

وقال الشاعر الفارسي في اهمية موت العالم :

گر بظاهر هست مرگ عارف وعامى يكي

چون بمعنى بنگرى آن ديگر واين ديگراست

مرگ نادان چيست كو مرده است خود در زندگي

ماتم جانسوز مرگ مردم دانشور است

كاين درخت بار ور آرايش باغ وجود

وان سزاي سوختن چوب بي برگ وبر است

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٢٢٩

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٢٠

(٣) تفسير الصافي ص ٢٣٧

ليست كشور زلده جز بانام دانش زين سبب
مرگ دانا در شمار عقل مرگ كشور است

يذهب العلم بذهاب العالم

قال الله العزيز الحكيم ،او لم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب اولم يروا انا نأتى الأرض ننقصها من اطرافها ، أى اشك اولئك المشركون من أهل مكة الذين يسألونك الآيات ، ولم يروا انا نأتى الأرض فنفتحها لك ارضاً بعد ارض ، ونلحقها بدار الاسلام ،ونذهب منها أهلها بالقتل والاسر والاجلاء ، اليس هذا مقدمة لما اوعدناهم بحصوله ، ونذيراً بما سيحل بهم من النكال والوبال في الدنيا والأخرة لوتدبروا فمالهم عن التذكرة معرضين .

والله يحكم لامعقب لحكمه ، اى والله يحكم وحكمه النافذ الذى لايرد ولايستطيع احد ان يبطله وقد جرت سنة ان الأرض يستعمرها عباده الصالحون بالعدل فيها والسير على نهج المساواة وترك الظلم ،وقد حكم للمسلمين بالعز والاقبال على ماوضع من السنن العامة وعلى اعدائهم بالادبار وركود ريحهم لما سلكوه من الظلم والفساد في الأرض .

وهو سريع الحساب ، فعما قريب سيحاسبهم في الآخرة كفاء ما دنسوا به انفسهم وران على قلوبهم بارتكاب الاثام بعد ان يعذبهم في الدنيا بالقتل والأسر فلا تستبطئ عقابهم ، فانه آت لامحاله ، وكل آت قريب (١)

وقد جائت فى ذيل آية الشريفة جملة من الروايات التي تدل على ان ذهاب العلم بذهاب العلماء ،والجدير بالذكر ان نتعرض لاخواني الروحانيين المشتغلين كلمة نصيحة وهي ، اللازم على كل فرد من الطلاب ان يهتم بتحصيله ويجد في دروسه الدينية متى وجد استعداداً لايقاً فاهماً ، عالماً ، لان الانسان لايحفظ من الآفات بل ومن الموت فيمكن

(١) تفسير المراغي ج ١٣ ص ١١٨

ان الانسان ان يظفر في حياته بشخص عليم عاقل وما اغتنم وجوده والحضور بمحضره لكي يتعلم دينه منه وقد جاءه الموت فاقناه ولا يبقى له غير الاسف لأن علمه ذهب اين ما ذهب صاحبه ؛

قال ابو درداء لاهل حمص ، يا أهل حمص ، ان العلماء ليذهبون وجهلا كم لايتعلمون العلم منهم ؛ ولقد اقهلتم بما ضمن لكم ، وضيعتم ما امروالكم ، تعلموا العلم قبل ان يذهب ، وان ذهاب العلم بذهاب العلماء (١)

روي ابودرداء ، اله قال رسول الله ﷺ ، خذوا العلم قبل ان يذهب ، قالوا كيف يذهب العلم ، والقرآن في بيننا ونعلمه اولادنا فغضب النبي ﷺ وقال : ان اليهود والنصارى ضلوا ما كان الكتاب في بينهم ، ذهاب العلم بذهاب العلماء (٢) .

عن داود بن فرقد قال : قال ابوعبد الله عليه السلام ، ان ابي كان يقول : ان الله عز وجل لايقبض العلم بعد مايهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفاة فيضلون ويضلون ولاخير في شيء ليس له اصل (٣)

فقال المرحوم المولى محمدصالح المازندراني في شرح هذا الحديث ،ان الله عزوجل لايقبض العلم بعد ما يهبطه ، الى قلوب صافية طاهرة ذكية قابلة للعروج الى معارج الحق يعني لايمحوه عنها بعد مانورها به كمحو الحال عن المحل ولايجعلها جهالا ، ويمكن ان يكون المراد ، انه لايقبض العلم من بين الناس بعد نزوله اليهم ولايترك كلهم جاهلين ال يكون فيهم من يعلمه على وجه الكمال ثم أشار إلى كيفية قبضه بعد هبوطه بقوله ولكن يموت العلماء فيذهب بما يعلم ، يعني بقبض العلماء مع علومهم جميعاً من غير ان يزول العلم عنهم وبعد انقراضهم عن هذه الدار وذهابهم مع العلم يبقى الناس متحيرين

(١ ـ ٢) تفسير ابو الفتوح رازي ج ٣ ص ٢٠٣

(٣) شرح اصول الكافي للمولى محمدصالح المازندراني ج ٢ ص ١٠٧ .

فتلبيهم الجفاة أى يصير واليهم وصاحب التصرف في أمور دينهم ودنياهم وفي بعض النسخ فتأمهم الجفاة وهي جمع الجافي من الجفاء وهو الغلظة والخرق التابعان للجهل يعني يتعاطى الجهال واصحاب القلوب القاسية ، الذي لايهتدون إلى سبيل الهداية اصلا ولا يعلمون طريق الصواب قطعاً . مناصب العلماء في الفتيا والتعليم فيفتون بمقتضى آرائهم السقيمة ، فيضلون عن دين الحق ، ويضلون ، الناس عنه فيقع الهرج والمرج وينتشر الظلم والجور ويرجع الناس الى الجور بعد الكور وقد ظهر ذلك في هذا الزمان اذ قد ولى الفتيا والتدريس كثير من الجهال والصبيان وتولى القضاء والحكم جماعة من اهل الجور والطغيان ، نعوذ بالله من غوائل هؤلاء العصاة ومن مخائل اولئك الغواة . ولاخير في شيء ليس له اصل ، اصل جميع الخيرات دنيوية أو اخروية هو العلم وإذا انتفى العلم وشاع الجهل انتفت الخيرات كلها وفيه اخبار بان مبدأ جميع الخيرات هو العلم كما قال سبحانه ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً ، فاذا ذهب العالم بعلمه ذهب بجميع الخيرات ، وحمله على الدعاء بعيد جداً ونظير هذا الحديث موجود في كتب العامة بطرق متعددة منها مارواه مسلم عن النبي ﷺ قال : ان الله لايقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (١)

عن ابي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ تظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج قال : القتل القتل ، ويقبض العلم ، قال عمران قبض العلم ليس شيئاً ينتزع من صدور الرجال ولكنه فناء العلماء (٢)

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ ص ١٠٨

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٥٢

عن ابن مسعود ، قال عليكم بالعلم قبل ان يقبض ، وقبضه ذهاب اهله (١)

عن تمام بن بخيح قال كنت جالساً عند محمد بن سيرين اذ جاءه رجل : فقال : اني رأيت الليلة ان طائراً نزل من السماء على باسمينة . فنتف منها ثم طار حتى دخل في السماء فقال ابن سيرين هذا قبض العلماء قال تمام فلم تمض تلك السنة حتى مات الحسن وابن سيرين ومكحول وستة من العلماء بالافاق ماتوا تلك السنة (٢)

وقد وردت رواية شريفة عن الامام عليه السلام في تفسير الآية الكريمة وتبيينها بان المراد من نقصها من اطرافها ، هو ذهاب العلماء عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال : كان علي ابن الحسين عليه السلام يقول ، اله ليسخى نفسي في سرعة الموت او القتل فينا قول الله عز وجل (اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) وهو ذهاب العلماء (٣) ه

ونتعرض بذكر جملة من شرح هذا الحديث الشريف نقلا من كلام المرحوم المولى محمد صالح المازندراني قال: ان يسخى بتشديد الخاء من باب التفعيل والسخاوة والجود ، ونفسي ، مفعوله ، وقول الله ، فاعله ، وفينا ، متعلق بالسرعة يعني مضمون هذه الاية وهو اتيان الله تعالى الأرض ، ونقص اطرافها المراد به ذهاب العلماء يجعل نفسي سخية جواد في قبول سرعة الموت والقتل فينا اهل البيت راغبة فيه ، فان قلت لم كان مضمون الآية سبباً لصيرورة نفسه القدسية سخية في الامر المذكور ، قلت : اولا العلماء الكاملين سيما الائمة المعصومون عليهم السلام ، يحبون بقاؤهم في الدنيا لا لركونهم اليها وحبهم لها بل لهداية أهلها وتكميل نظامهم رأفة وشفقة عليهم فاذا تعلق ارادة الله سبحانه ضلالتهم وفسادهم بسبب من الاسباب بذهاب العلماء رضوا بقضائه اشد الرضا ترجيحاً

(١) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٥٢

(٢) » » » » » » ١٥٧

(٣) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ ص ١٠٨

لارادته على ارادتهم وجادوا بنفوسهم من صميم القلب طلباً لمرضاته ، وثانياً ان هذا الكلام منه عليه السلام ترغيب للمؤمن إلى الرضا بالموت أو القتل في تلك الحالة اعني حالة اخذ العلماء وقبض نفوسهم الشريفة النورانية وإذهابهم عن وجه الأرض حينئذ ناقصة مظلمة مكدرة بالظلم والجور والفسق والشر ، ولا شبهة في ان موته في تلك الحالة ورجوعه إلى حضرة القدس خير له من بقائه فيها ، وقيل : السبب لذلك هو ان الآية دلت على ان الله تعالى هو المباشر المتولي لتوفي العلماء وقبض ارواحهم اليه واشرف العلماء هم الائمة المعصومون عليهم السلام فلذلك سخوا بنفوسهم ورضوا بسرعة موتهم حبا لذلك وشوقاً اليه ، وفيه نظر لأن الاتيان عليه سبحانه محال فالمراد اتيان الملائكة الموكلين بقبض الارواح بأمره والنسبة لسب الفعل إلى الامر مجازا كما هو الشايع (١)

وتعرض بعض المفسرين روايات اخرى في ذيل آية الشريفة ، ابن شهراشوب عن تفسير وكيع وسفيان والسدى وابن صالح ان عبد الله بن عمر قرء قوله تعالى ، أنا نأتي الأرض ننقصها من اطرافها ، يوم قتل امير المؤمنين عليه السلام وقال : يا امير المؤمنين لقد كنت الطرف الأكبر في العلم ، اليوم نقص علم الاسلام ومضى ركني الايمان (٢)

الزعفراني ، عن المزني ، عن الشافعي : عن مالك ، عن سدي ، عن ابن صالح قال : لما قتل علي بن ابيطالب عليه السلام . قال ابن عباس هذا اليوم نقص العلم من ارض المدينة ، ثم قال ان نقصان الارض نقصان علمائها وخيار اهلها ، ان الله لايقبض هذا العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فيسئلوا فيفتوا بغير علم فضلوا واضلوا (٣) :

وقد جاء هذا المعنى في الآثار بعبارات مختلفة عن الائمة الاطهار عليهم السلام

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ ص ١١٠

(٢-٣) تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٠١

وغيرهم من اكابر العلماء ويرجع جميعها إلى معنى واحد وهو ان العالم لما يموت ويذهب بنفسه من هذه الدار الفانية الى دار البقاء ، والعلم أيضاً يذهب به اينما يذهب صاحبه .

قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام . كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اي مثل عدم من يصلح التحمل والحقيقة والمعارف الالهية تقدم تلك العلوم والمعارف ايضاً وتندرس آثارها بموت العلماء العارفين ، لانهم لايجدون من يليق لتحملها بعدهم ولما كانت سلسلة العلم والعرفان لاتنقطع بالكلية ما دام نوع الانسان بل لابد من امام حافظ للدين في كل زمان على مايقتضية قواعد العدلية رضوان الله عليهم(١) .

موت العالم ثلمة في الدين

قال الامام ابو عبد الله عليه السلام اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لايسدها شيء (٢) .

اعلم ان وجود المؤمن العالم يؤثر في الموجودات العلوية والسفلية كعالم الارواح والملائكة وكعالم الانسانية والحيوانية ، والبقع الارضية ، اثراً تاماً ، وكذا يؤثر موته في المخلوقات اشد تأثيرا بل عد موت العالم في الشرع المقدس بأنه ثلمة في الاسلام وهذا كلام نريه بعيوننا ونقرؤه بلساننا ولكن في الحقيقة لو تأملناه هو تعبير عجيب في حق العالم ماورد في حق غيره ، ووجهه ظاهر لان الدين الاسلامي بل وكل ديانة ومذهب كان صحيحاً او غير صحيح يحتاج الى شخص مجهز ان يروج ويبلغ احكامه وذلك الشخص واجب عليه ان يكون عالماً بقوانينه وعارفاً بدستوراته وغير العالم لايمكنه ان يقوم بمثل هذه الواجبات ، وكذلك اغتنم الشرع الاسلامي وجود العالم وحياته واهتم لموته وقال في حقه ، كما روي عن ابي حمزة قال : سمعت ابا الحسن موسى بن جعفر

(١) الاربعين للبهائي ص ١٥٤

(٢) اصول الكافي ج١ كتاب فضل العلم .

عليهما السلام يقول : اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكه وبقاع الارض التي كان يعبد الله عليها وابواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله وثلم في الاسلام ثلمة لايسدها شيء لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة لها (١) قال المرحوم المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف ، اذا مات المؤمن لايبعد تقييده بالفقيه كما يرشد اليه آخر الحديث بكت عليه الملائكه ، قيل الملائكة اجسام لطيفة ، وقيل انهم روحانيون منزهون عن الجسمية ولايبعد تخصيصهم بالكتبة لاعماله والحافظين لها والصاعدين بها الى محل القبول والثبت كما يشعر به تقييد ابواب السماء بمصعد عمله ويحتمل ارادة جميعهم أيضاً ، ولعل وجه بكائهم من ان المؤمن إذا مات فرغ من التعب والآلام الدنيوية وخرج من السجن الى النعيم واللذات الدائمة الاخروية امور ، الاول مصاحبتهم له في هذه الدار وكمال انسهم به في هذا البدن فيشد عليهم مفارقته ، الثاني فراغهم عن كتب حسناته الموجبة لرفع درجاته ، الثالث انقطاع اعانته للمؤمنين وزوال نصرته لهم ، الرابع مقاساته لكرب الموت وتحمله لشدائده واشتد ذلك عليهم فبكوا لاجله ترحما له ، وبقاع الارض التي كان يعبد الله عليها ، الموصول مع صلته اما صفة للبقاع اوصفة للارض وعلى التقديرين يعبد ، اما مبنى للفاعل وفاعله ذلك المؤمن او مبنى للمفعول فهذه إحتمالات اربعة فعلى الاحتمال الاول يكون البكاء مختصاً بالبقاع التي هي مصلاه ومعبده في وقت من الاوقات او في غالبها كما يشعر به لفظ كان وعلى الاحتمالات الثلاثة الاخيرة يكون البكاء عاماً لجميع البقاع ولم يكن مصلاه وقتاً ما ووجه بكائها عليه محبتها له وفقدها لعلمه ومشيه على ظهرها ووجدها وحزنها على مفارقته ، وابواب السماء التي كانت يصعد فيها بأعماله ، رد على الفلاسفة القائلين بان الافلاك متصل واحد لايقبل الخرق ، والقول بان المراد بابواب السماء مايوصل اعماله الى مقرها من العلويات

(١) اصول الكافي ج ١ كتاب فضل العلم ؛

ويكون وصيلة لانضباطها ملكاً كان او روحاً او نفوساً كاملة شريفة قدسية او نفساً علوية وان كان محتملا لكنه بعيد جداً ويجرى في الموصول الاحتمالان المذكوران وجاء هذا الحديث في كتاب الجنايز باسناد آخر وفيه . يصعد فيها اعماله ، بدون الباء والوجه ، في بكائها مثل ما مر : ويمكن ان يقال الوجه فيه وفيما سبق ان المؤمن الفقيه ينظر بعين البصيرة الى ما في عالم الجسمانيات والمجردات ويعرف حقايقها وأحوالانها ثم ينتقل ذهنه الذكي الى عالم الربوبية وعالم التوحيد ويشاهد ما فيه من الحقايق الصافية عن الكدورات المطهرة عن ادناس الاوهام والتخيلات فهو يسافر بقدم الافكار من الخلق الى الحق فيكون لكل موجود في عالم الأرض والسماء سيما المذكورة رابطة معنوية وعلاقة طبيعية الى ذاته ، فاذا مات بكى عليه من شدة الحزن وغلبة الوجع ، ثم انه يمكن ان يكون بكاء هذه الامور محمولا على الحقيقة كما قيل مثل ذلك في تكلم الكعبة ونطق جوارح الانسان يوم القيامة وتكلم بعض الاحجار الى غير ذلك ولايبعد ذلك بالنظر الى قدرة الباري واقداره عليه : وقيل اراد المبالغة في تعظم شأن المؤمن لان العرب كانت تقول في عظيم القدر اذا مات تبكيه السماء والارض مبالغة في عظيم قدره وقيل اطلاق البكاء على بقاع الارض وابواب السماء مجاز في فقدها لما ينبغي ان يكون فيهما من مساجد المؤمن ، ومصاعد اعماله فان شيئاً يحبه وينبغي له يبكيه فأطلقه عليه اطلاقاً لاسم الملزوم على اللازم وقيل اراد بكاء اهل بقاع الأرض وأهل أبواب السماء من الملائكة والارواح المقدسة والنفوس المجردة وغيرها بحذف المضاف وهم يبكون عليه تأسفاً وتحزناً ، وثلم في الاسلام ثلمة لايسدها شيء وقد علل الجميع او الاخير فقط بقوله لأن المؤمنين الفقهاء وهم العارفون بالمعارف الآلهية والعالمون بالشرايع النبوية والخالصون من الصفات الذميمه النفسانية والمنزهون عن الصفات الرذيلة الشيطانية والجامعون بين المعقول والمنقول والقادرون على ربط الفروع بالاصول والآخذون بايدى القوة القدسية ربقة الهدايع

واعناق الاسرار والطايرون باجنحة الهمة العالية الى حظاير القدس ومنازل الأبرار ٥ حصون الاسلام الحصون جمع الحصن بكسر الحاء. وفي المغرب هو كل مكان محمى محرز لايوصل الى ما في جوفه وفي الكلام تشبيه بليغ بحذف الاداة والما شبههم بالحصون لانهم يحفظون الاسلام بتسديد عقايده وتقويم قواعده ويذبون عنه وعن اهله صدمات الكافرين وشبهات الظالمين ويقطعون عنه ألسنة مكايد الشياطين والسنة الطاعنين ويمنعون من دخول شيء خارج عنه ومن خروج شيء داخل فيه بألسنة لسانهم وحدة اذهانهم وقوة عقولهم وذكاء قلوبهم ، كحصن سور المدينة لها ، فانه يدفع عن اهلها غوايل الاعادي والطغاة ويمنع عنهم هجوم الخصوم والعصاة ، والحصن هنا أيضاً بكسر الحاء والسور حايط المدينة والاضافة بيانية والمقصود انهم حصون الاسلام كما ان سور المدينة حصن لها ويحتمل ان يكون بضم الحاء بمعنى المنع مصدر حصن ككرم والاضافة من باب اضافة المصدر الى الفاعل فانه لما شبههم بأنهم حصون للاسلام شبه منعهم عن اهله بمنع سور المدينة عن أهلها (١) .

قال عبد الله بن مسعود : موت العالم ثلمة في الاسلام ، لايسدها شيء ما اختلف الليل والنهار (٢) ٥

وفي رواية اخرى عن ابيعبد الله عليه السلام قال اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لايسدها شيء (٣) .

قال المرحوم المولى محمد صالح المازندراني في شرح هذا الحديث الشريف الثلمة بالضم فرجة المهدوم والمكسور والخلل الواقع في الحايط وغيره وفيه استعارة

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ ص ١٠٦

(٢) تفسير مجمع البيان ج ٢ ص ١٣

(٣) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ ص ١٠١

مكنية وتخييلية لتشبيه الاسلام بالبناء كما في قوله عليه السلام، بني الاسلام على خمس ، واثبات الثلمة له ووقوع الثلمة في الاسلام بموت الفقيه ظاهر لان الاسلام مجموع العقايد الحقة العقلية والقوانين الكلية الشرعية ، والعالم بها والحافظ لها بالبراهين والدافع عنها شبه المنكرين هو الفقيه الرباني فاذا مات وقع فيها ثلمة يتوجه اليها خيول اوهام الضالين ويدخلونها بلا مانع ولا دافع ويفعلون مايريدون فيتغير بذلك تلك القواعد والقوانين آناً فآناً وينثلم شيئاً فشيئا الى ان يندرس بالكلية ، فان قلت ثلم قد يجيء معتدياً ، تقول ثلمت الشيء اثلمه فأنثلم من باب ضرب وقد يجيء لازماً تقول. ثلم الشيء ينثلم من باب علم فهو اثلم بين الثلم فاي المعنين مراد هنا ، قلت يحتمل ان يكون ثلم هنا لازماً وثلمة فاعلة أي وقع في الاسلام ثلمة ويحتمل ان يكون متعدياً وفاعله ضمير فيه يعود الى الموت وثلمة مفعولة له ، فان قلت يجوز ان يوجد بدلا لمن مات فقيه آخر يسد الثلمة ، قلت الثلمة الحاصلة بموت الفقيه التي هي عين موته في الحقيقة لأنه كان حصناً للاسلام وأهله لايسدها شيء قطعاً بل لايمكن سدها ابداً ولو وجد فقيه آخر حصناً آخر غير الحصن المهدوم ، وقيل في الجواب عنه . اللازم في المؤمن الفقيه للجنس وقد ثبت ان رفع الجنس موجب لرفع جميع أفراده فكذا حكم لأنه عدم وفيه نظر لان المقصود من الحديث بيان وقوع الثلمة بموت كل واحد من افراد المؤمن الفقيه لابموت مجموع الفقهاء ». (١)

قال أهل الاشارة والعرفان . موت العلماء يقرح به العين ، وموت الآباء مصيبة للبنين وموت الابناء يقطع الوتين ، وموت الاكفاء يعرق منه الجبين : وموت العلماء ثلمة في الدين .

وقيل موت النسوان خلل الاوطان ، وموت الاخوان مهيج الاحزان : وموت

(١) شرح اصول الكافي للمولى المازندراني ج ٢ ص ١٠٢

الولدان حرقة الجنان ، وموت السلطان تشويش البلدان وموت الاقران هدم الاركان وموت العالم ثلمة فى الايمان ؛

وتدل الروايات ايضاً على ان موت العالم العامل ثلمة في الدين لان الناس ليس لهم مرشد ولا هاد سوى العالم الناطق وهو يهديهم الى الله ويريهم الطريق المستقيم واذامات العالم يفرح لموته الشيطان الرجيم بل لايكون شيء من غير موت العالم احب عنده ، عن سليمان بن خالد عن ابي عبد الله عليه السلام قال مامن احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه ؛

وقال العالم الجليل المولى محمد صالح المازندراني فى شرح هـذا الحديث الشريف وانما قيد الاحد بالمؤمنين لان ابليس لايحب موت الكافرين بل يغتم لانهم من اعوانه وانصاره ولان بقاءهم موجب لزيادة عقابهم فيحب بقائهم ؛ فان قلت هذا الحديث لايدل على ان موت الفقيه احب اليه من موت غيره لان فيه انفي لتفضيل موت غيره على موته ولا يلزم منه تفضيل موته على موت غيره . قلت عدم الدلالة بحسب الوضع مسلم لكنه لايضر لحصول الدلالة بحسب العرف كما في قولنا مامن أحد فى البلد أفضل من زيد إذا كان المقصود ان زيدا أفضل من غيره وسبب محبته لعنه الله موت المؤمن مع انه لاشيء أشد عليه من خروج احد من الدنيا مع الايمان ان بقاء المؤمن واكثاره للاعمال الصالحة والافعال الفاضلة موجب لزيادة تقربه بالروحانيين ودخوله فى زمرة المقربين وزيادة حسناته ورفع درجاته وإذا مات انقطع عمله فلذلك يحب موته لينقطع عمله ويحرم من فضيلة تلك الزيادة ، وايضاً هو وان كان مأيوساً من التصرف فى المؤمن لكن يحمله شدة الحرص على تحمل المشقة في اغوائه فاذا مات فرغ من تحمل تلك المشقة الغير النافعة : وايضاً المؤمن ناصر للمؤمن ومعين له فيحب ذلك الخبيث موته ليبقى المؤمن بلاناصر واما سبب زيادة محبته موت الفقيه فهوان الفقيه روح قلوب المؤمنين اذبه حياتهم

وهدايتهم إلى زمرة القدسيين وفرقة المقربين وحصنهم اذ به نجاتهم عن سنان غوايل الاعادي وسهام مكائد الشياطين وقائدهم في بيداء الطبيعة اذ به رشادهم الى الاخلاق والكمالات البشرية واعمال الصالحين وحافظهم اذ به خلاصهم عما يضعه ابليس من شرك الشرك وحبالة البدعة لاصطياد الناس اجمعين فاذا مات ذلك الفقيه فكأنه مات بموته جميع المؤمنين لخروج روحهم عن اجساد قلوبهم وانهدام حصنهم وموت قائدهم وفقد حافظهم . فيبقون متحيرين لايجدون الى سبيل الحق دليلا ولا الى منزل القرب سبيلا فيستولى عليهم خيول ابليس وجنود الغاوين ولا شيء احب من هذا عند ذلك الخبيث اللعين (١) .

فوق كل ذي علم عليم

قال الله العزيز الحكيم فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم (٢) .

هذه الآية الشريفة نزلت على نبينا محمد ﷺ حاكياً عن احوال يوسف « ع » مع اخوته ولما كانت قصتهم الطريلة خارجاً عن الموضوع نذكر مورد الحاجة منها فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه، أي فبدأ يوسف بتفتيش اوعيتهم التي تشمل عليها رحالهم ابتعادا عن الشبهة وظن التهمة بطريق الحيلة .

ثم استخرجها من وعاء اخيه . أي ثم انه بعد ان فرغ من تفتيش اوعيتهم فتش وعاء اخيه فاخرج السقاية منه .

---

(١) شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ ص ١٠٠

(٢) سورة يوسف ص ٧٦

كذلك كدنا ليوسف اى مثل هذا الكيد والتدبير الخفي كدنا ليوسف (ع) ؛ والهمناه اياه واوحينا اليه ان يفعله ؛

ذاك ان الحكمة الآلهية اقتضت تربية اخوة يوسف وعقابهم بما فرطوا فى يوسف (ع) واستحقاقهم اتمام النعمة عليهم يتوقف على اخذه بطريق لاجبر فيه ولا تقتضيه شريعة الملك ، وبه يذوقون الم فراق بنيامين ومرارته . فيما لا لوم فيه على احد غير انفسهم ولن يكون هذا الحكم منهم إلا بوقوع شبهة السرقة على بنيامين من حيث لايؤذيه ذلك ولا يؤلمه .وقد اعلمه اخوه يوسف بهوبغايته . وفي هذا ايماء الى جواز التوصل إلى الاغراض الصحيحة بما ظاهره الحيلة والمكيدة إذا لم يخالف شرعاً ثابتاً ؛

ثم علل ماصنعه الله تعالى من الكيد ليوسف (ع) بقوله ؛

ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك : اى وما كان له ولا مما تبيحه امانته لملك مصر ان يخالف شرعه الذي فوض له الحكم به وهو لايبيح استرقاق السارق فما كان بالميسور له اخذ اخيه من اخوته ومنعه من الرحيل معهم إلا بحكمهم على انفسهم بشريعة يعقوب التي تبيح ذلك .

ولما كانت هذه الوسيلة الى تلك الغاية الشريفة منكرة على حسب الظاهر لانها تهمة باطلة وكان من شأن يوسف (ع) ان يتباعد عنها ويتحاماها إلا بوحي من الله تعالى بين انه فعل ذلك باذن الله ومشيته فقال : (إلا ان يشاء الله) اي انه فعل ذلك باذن الله ووحيه ؛ لا انه هو الذي اخترع هذه المكيدة .

نرفع درجات من نشاء أي نرفع من نشاء درجات كثيرة فى العلم والايمان ونريه وجوه الصواب في بلوغ المراد كما رفعنا درجات يوسف (ع) على اخوته فى كل شي وفي هذا ايماء إلى ان العلم اشرف المقامات وأعلى الدرجات .

وفوق كل ذى علم عليم ، اي فوق كل عالم من هو اوسع احاطة منه وارفع درجة

الى ان يصل الأمر الى من احاط بكل شيء علماً وهو فوق كل ذي علم ».

وخلاصة ذلك ، ان اخوة يوسف عليه السلام ، كانوا علماء الا ان يوسف كان اعلم منهم (١) :

اننا لو لنظر في عالم الحياة انرى ان أفراد الانسان تكون معيشتهم بحسب اختلاف معارفهم وعلومهم التي صارت سبباً لمعيشتهم وارتقائهم الى درجات عالية ومقامات فاخرة ، بحيث كل شخص عالم بالنسبة إلى علم من علوم الدين او فن من فنون الصناعة كفن الزراعة ، والتجارة ، والسياسة وغيرها من باقي الفنون ، ولكن ليس بعالم بغير فنه او علمه الذي يعلمه ولكن يوجد شخص آخر اعلم منه بالنسبة الى علمه الذي يعلمه فحينئذ عليه ان يجعل صدره وعاء حتى يحصل شيئاً من علم الأعلم ، ويأخذ من علم الفائق عنه ، فعليك بقراءة قضية موسى مع الخضر عليهما السلام لتعتبر منها من طريق التحصيل واخذ معالم الدين ».

تفسير علي بن ابراهيم ، لما اخبر رسول الله ﷺ قريشاً بخبر أصحاب الكهف ، قالوا اخبرنا عن العالم الذي أمر الله ان يتبعه وما قصته ، فانزل الله تعالى (واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا) (٢) .

قال : وكان سبب ذلك انه لما كلما الله موسى تكليما ، فأنزل الله عليه الالواح وفيها من كل شيء موعظة ورجع موسى الى بني اسرائيل ، فصعد المنبر فاخبرهم ان الله قد انزل عليكم التوراة ، وقال في نفسه ماخلق الله خلقاً اعلم مني ، فاوحى الله الى جبرئيل ادرك موسى فقد هلك واعلمه عند الصخرة رجل اعلم منك فصر اليه وتعلم من علمه فنزل جبرئيل عليه السلام على موسى عليه السلام واخبره في ذل موسى في نفسه وعلم انه اخطأ ودخله الرعب ،

(١) تفسير المراغي ج ١٣ ص ٢٢

(٢) سورة الكهف ص ٦٠

وقال لوصيه يوشع ، اذ الله قد امرني ان اتبع رجلا عند ملتقى البحرين وأتعلم منه فتزود يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا .

فلما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلا مستلقياً على قفاه ، فلم يعرفاه ، فأخرج وصي موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت وكان ذلك الماء ماء الحيوان ، فحي الحوت ودخل في الماء فضى عليه السلام ويوشع معه حتى صبيا ، فقال لوصيه (أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً)(١) .

فذكر وصيه السمكة ، فقال لموسى عليه السلام (اني نسيت الحوت) على الصخرة فقال موسى ، ذلك الرجل الذي نصبه رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده فرجعا ، على آثارهما قصصا) (٢) الى عند الرجل وهو في الصلاة فقعد موسى عليه السلام حتى فرغ من الصلاة فسلم عليهما .

وحدثني محمد بن علي بن بلال عن يونس قال : اختلف يونس وهشام في العالم الذي اتاه موسى عليه السلام ايهما كان اعلم ، وهل يجوز ان يكون حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه .

فقال قاسم الصيقل ، فكتبوا الى ابى الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب ، اتى موسى العالم فاصابه في جزيرة من جزائر البحر ، اما جالساً واما متكئاً فسلم عليه موسى صلى الله عليه وآله ، فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام ، فقال من أنت قال انا موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما ، قال جئت (لتعلمني مما علمت رشدا) قال : اني وكلت بأمر لاتطيقه ، ثم حدثه العالم بما يصيب ال محمد عليهم السلام من البلاء حتى اشتد بكائهما ، ثم حدثه عن فضل آل محمد صلى الله عليه وآله . حتى جعل موسى يقول يا ليتني كنت من آل محمد ، حتى ذكر فلانا وفلانا ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله

(١ - ٢) سورة الكهف ص ٦٢ - ٦٤

وما يلقى منهم ومن تكذيبهم اياه وذكر له تأويل هذه الآية (وتقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة حين اخذ الميثاق عليهم) فقال موسى عليه السلام (هل ابعك على ان تعلمن مما علمت رشدا)(١) فقال الخضر (انك لن تستطيع معي صبرا)(٢) وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا)(٣) فقال موسى عليه السلام (ستجدني انشاء الله صابرا ولا اعصي لك أمرا)(٤) قال الخضر عليه السلام ، (فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا) (٥).

يقول : (لاتسئلني عن شيء) افعله ولاتنكره على حتى اخبرك انا بخبره قال نعم فمروا ثلاثتهم حتى انتهوا الى ساحل البحر وقد سنحت سفينة وهي تريد ان تعبر ، فقال ارباب السفينة نحمل هؤلاء الثلاثة نفر فانهم قوم صالحون فحملوهم فلما جلحت السفينة في البحر ، قام الخضر عليه السلام الى جانب السفينة فكسرها وحشاها بالخرق والطين ، فغضب موسى غضباً شديداً وقال للخضر (اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئاً أمرا)(٦) فقال له الخضر عليه السلام «الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا»(٧) قال له موسى عليه السلام «لاتؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا » (٨) فخرجوا من السفينة .

فنظر الخضر عليه السلام الى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنه قطعة قمر ، في اذنيه درتان ، فتأمله الخضر عليه السلام ، ثم اخذه وقتله فوثب موسى على الخضر عليه السلام وجلد به الارض فقال «اقتلت نفساً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا»(٩) فقال الخضر «ع» « الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا »(١٠) قال : موسى «ع» « ان سئلتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا»(١١) فانطلقا حتى إذا أتيا »(١٢) بالعشى قرية تسمى الناصرة واليها تنسب النصارى ولم يضيفوا أحدا قط ولم يطعموا قريباً «فاستطعموهم فلم يطعموهم ، ولم يضيفوهم » فنظر الخضر «ع» الى حائط قد زال ليتهدم فوضع

(١-١١) سورة الكهف ٦٤-٧٧

للخضر « ع » يده عليه وقال : قم باذن الله ، فقام ، فقال موسى « ع » لم ينبغ ان تقيم الجدار حتى يطعمونا ويروونا ، وهو قوله : « لو شئت لاتخذت عليه اجرا » فقال للخضر « ع » « هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا » اما السفينة فكانت التي فعلت بها مافعلت صالحة ، فأنها كانت لقوم يعملون في البحر فأردت ان اعيبها وكان وراء السفينة ملك يأخذ كل سفينة غصبا » كذا نزلت وإذا كانت السفينة معيوبة لم يأخذ منها شيئاً .

واما الغلام فكان ابواه مؤمنين ، وطبع كافرا كذا نزلت فنظرت الى جبينه وعليه مكتوب طبع كافرا « فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفرا ، فأردنا ان يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما » فأبدل الله والديه بنتا ، ولدت منها سبعون نبياً من أنبياء بني اسرائيل « واما الجدار الذي اقمته ، فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحاً فأراد ربك ان يبلغ احدهما ... » الى قوله « وذلك مالم تستطع عليه صبرا » .

وقيل بحران موسى وخضر عليهما السلام ، فان موسى كان بحر العلم الظاهر ، والخضر بحر العلم الباطن .

وروي ان موسى « ع » خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله المصر خطبة طويلة فأعجب بها ، فقيل له هل تعلم احدا أعلم منك ، فقال : لا فأوحى الله اليه ، بل عندنا الخضر وهو بمجمع البحرين .

وكان الخضر « ع » في أيام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى « ع » .

وقيل ، ان موسى « ع » سأل ربه ، أي عبادك أعلم ، قال : الذي ينبغي علمه الناس إلى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدي او ترده عن ردي ، قال ان كان

في عبادك أعلم مني فأدلني عليه ، قال اعلم منك الخضر «ع» قال اين اطلبه ، قال على الساحل عند الصخرة ، قال : تأخذ حوتاً في مكتلك فحيث فقدته فهناك ، قال لفتـاه إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان « فلما بلغ مجمع البحرين لشيا حوتهما » يعني نسي موسى « ع » ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشـع ان يذكر له مارأي من حياته ووقوعه في البحر «١» .

قال الصدوق بعد تمام الحديث ، ان موسى «ع» كمال عقله ومحله من الله تعالى لم يستدرك باستدلاله واستنباطه معنى أفعال الخضر « ع » حتى اشتبه عليه وجه الأمر فيه وسخطه جميع ماكان يشاهده حتى أخبر بتأويله ، ولولم يخبر بتأويله لما ادركه ، ولو بقي في الفكر عمره ، فاذا لم يجز لانبياء الله ورسله صلوات الله عليهم القياس والاستنباط والاستخراج ، كان من دونهم من الامم الأولى ، بأن لايجوز لهم ذلك «٢» .

قيل ، لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام ، جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر « ع » ثم طار ، فنظر الخضر الى موسى « ع » وقال يا نبي الله ان هذا العصفور يقول : ياموسى أنت على علم من علم الله علمكه الله تعالى لايعلمه الخضر « ع » والخضر على علم من علم الله تعالى علمه الله اياه لاتعلمه ، وانت وأنا على علم من علم الله تعالى علمنيه الله لاتعلمه انت ولا الخضر « ع » وما علمي وعلمك وعلم الخضر من علم الله إلا كهذه القطرة من هذا البحر ، قال الله تعالى : ولايحيطون بشيء من علمه إلا بماشاء ، وقال ومايعلم جنود ربك الا هو «٣» .

قال قتاده ، لو كان أحد منا مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى « ع » إذ قال هل ابعك على أن تعلمني مما علمت رشدا » «٤» .

(١ - ٢) النور المبين من قصص الانبياء والمرسلين ص ٣٣٨

(٣ - ٤) المستطرف ج ١ ص ٢٢ - ٢٣

وعلى الانسان المعتبر العالم ان يأخذ من هذه القصة ، أي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام عبرة وعظة في التعليم والتعلم لان الله تعالى أمر موسى ان يتعلم من علوم الخضر (ع) لان الخضر (ع) كان أعلم من موسى في علومه التي وهبها الله تعالى عليه وخصها به والتي جرت بين موسى والخضر عليهما السلام من القضية ، دراسة عميقة لمن يتفكر فيها ويعمل بها ، لانها تتضمن امورا ، الأول الواجب على كل فرد من أفراد الانسان ان يتعلم ممن كان فوقه بالعلم والعرفان ، والثاني ان لايتأنف ممن يأخذ العلم والمعرفة ولايستكبر عليه بأن يقول ، اني فلان ابن فلان وأنت فلان أبن فلان ، والثالث على التلميذ ان يمشي وراء إستاذه ويحضره بحضرته لاأن الاستاذ يجيء عند تلميذه فهذا ليس بصحيح عند العقل والشرع . والرابع ان يحترم التلميذ استاذه ويوقره اي شخص كان ومن أي طائفة وجنس سواء ان يكون إستاذه عربياً أو عجمياً تركياً أو فارسياً ،وعلى التلميذ ان يسمع كلامه وان لايتكلم عنده بما يوجب سخطه ، وغيره من باقي المعاني التي ليس هنامحل ذكرها ه

حكى ان هرون الرشيد كان معه فقهاء وكان فيهم ابو يوسف فأتى برجل فأدعى عليه آخر انه اخذ من بيته مالا بالليل ،فأقر الآخذ بذلك في المجلس فاتفق الفقهاء على أنه تقطع يده ، فقال أبو يوسف لاقطع عليه ، قالوا : لم ، قال لانه أقر بالاخذ والاخذ لايوجب القطع بل لابد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في قوله ، ثم قالوا للاخذ اسرقتها : قال : نعم ، فأجمعوا كلهم على انه وجب القطع لانه اقر بالسرقة ، فقال : ابو يوسف ،لاقطع لانه وان أقر بالسرقة لكن بعد ماوجب الضمان عليه باقراره بالأخذ فاذا أقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره ، فتعجب الكل من ذلك (١) .

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج ٢ ص ١٩٤

عن الشعبي ، كنت عند الحجاج فأتى بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا بالحديد فقال له الحجاج أنت زعمت ان الحسن والحسين عليهما السلام ، من ذرية رسول الله ﷺ فقال بلى ، فقال الحجاج لتأتيني بها واضحة بينة من كتاب الله او لاقطعنك عضواً عضواً فقال آتيتك بها واضحة بينة من كتاب الله ياحجاج قال فتعجب من جرأته بقوله ياحجاج ، فقال له ولاتأتيني بهذه الآية (لندع ابناءنا وابناءكم) فقال آتيتك بها واضحة من كتاب الله وهو قوله (ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان ، إلى قوله ، وزكريا ويحيى وعيسى) (١) فمن كان ابو عيسى وقد الحق بذرية نوح ، قال فاطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال كأني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا (٢) وكان الحجاج عارفاً بالعلوم والقرآن وقارئاً به لكنه يحيى بن يعمر كان أعرف وأعلم منه ، ولذا لما قرء يحيى الآية الشريفة فصار الحجاج ملزماً ومجاباً لايمكنه ان يجيبه في مقابل استدلاله .

وحكي أيضاً ، ان هرون الرشيد اشترى جارية كان تعشق بها فلم تطق نفسه على الصبر عليها مدة الاستبراء ، فجمع الفقهاء وطلب منهم العلاج على الوجه الشرعي فقال ابو يوسف العلاج منحصر بان تعتق الجارية ثم تعقد عليها حتى يحل لك وطئها إذ لايكون الأستبراء للعقد بل للوطئ بملك اليمين ، فوافق الخليفة ذلك وصار سبباً لاشتهار امره وعلو شأنه (٣) .

---

(١) سورة الانعام ص ٨٤ ـ ٨٥ وتمام الآية ، ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ،

(٢) تفسير مفاتيح الغيب ج ٢ ص ١٩٤

(٣) تحفة العالم ج ١ ص ٥٨

وكان ابويوسف عالماً كبيراً في زمن الرشيد وكان اعلم وافقه من علماء وفقهاء عصره على مذهبه وبهذه المناسبة كان اذا يقول بشيء ويفتي فما كان قدرة لاحد ان يرده في الفتوى او في احدى المسائل الدينية

خشية العالم

قال الله العزيز الحكيم ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور (١) :

فأراد الله تعالى في هذه الآية الشريفة ان يبين لحبيبه محمد ﷺ ويفهمه أولا ويعلن على كافة البشرية ثانياً ، بان الخائف من الله تعالى ، هو العالم ، وقد انحصر هذا المعنى في حقه ، وقال (انما) فنقول : العالم من حيث انه عالم الواجب عليه ان يخشى الله ، لان العلم من لوازمه الخوف منه تعالى . ومن الناس من كان ذا علم وليس يخاف من الله العزيز ولم يتأثر رعب غضب الله وهيبة جلالته عزوجل في قلبه ، فانه ليس بعالم في الحقيقة بل بصورة العالم وانه جاهل محض لان العلم ما نور قلبه وما هداه الى طريق مستقيم الذي يؤدي الانسان الى السعادة الابدية والنعمة السرمدية ولكن الجاهل هو الذي ليس يخاف الله ويخشاه ، لانه ليس يدري عاقبة الامور وحقايقها من غضب الله ودركات عذابه من نار جهنم وغيرها ، المعدة للعاصين والمذنبين من العباد .

فللانسان العاقل العالم الذي عرف الله ودينه ومتانة دستوراته وحقيقة قوانينه وعلم بان الله إذا وعد بشيء من الخير أو الشر سوف يفي من النعمة والنكبة فعليه ان يخشاه كمال الخشية فلتشريح الموضوع لابد لنا ان نتعرض اقوال المفسرين واكابر العلماء مع احاديث وأخبار التي وردت عن ائمتنا الاطهار في هذا الموضوع .

(١) سورة الفاطر ى ٢٨

« الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها » يقول سبحانه منبها إلى كمال قدرته ، ألم تشاهد ايها الرائى أنا خلقنا الأشياء المختلفة من الشيء الواحد فأنزلنا الماء من السماء واخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانها وطعومها وروائحها كما هو مشاهد من الوان الثمار من اصفر الى احمر إلى أخضر إلى نحو ذلك ،

(ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود) أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الالوان من بيض إلى حمر إلى سود غرابيب كما هو مشاهد ، وفى بعضها طرائق مختلفة الألوان ايضاً ،

« ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك » أي وكذلك الناس والدواب والانعام مختلفة الألوان في الجنس الواحد ، بل الحيوان الواحد قد يكون فيه الوان مختلفة فتبارك الله احسن الخالقين .

ولما عدد آياته واعلام قدرته وآثار صنعه بين أنه لايعرف ذلك حق المعرفة إلا العلماء بأسرار الكون العالمون بدقائق صنعه تعالى ، فهم الذين لايفهمون ذلك حق الفهم ويعلمون شديد بطشه وعظيم قهره فقال :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » اي انما يخاف والله فيتقى عقابه بطاعته العالمون بعظيم قدرته على مايشاء من الايشاء وانه يفعل مايريد ، لان من علم ذلك ايقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية أن يعاقبه .

وقد أثر عن ابن عباس أنه قال : العالم بالرحمن من عباده ، من لم يشرك به شيئاً ، واحل حلاله ، وحرم حرامه ، وحفظ وصيته ، وايقن انه ملاقيه ومحاسبه بعمله .

وقال الحسن البصري ، من خشى الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الآية .

وعن عائشة قالت : صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ،

فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : مابال اقوام ينزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم خشية ،

ثم بين سبب خشيتهم منه فقال :

« ان الله عزيز غفور » أي ان الله عزيز في إنتقامه فمن كفر به،غفور للذنوب من آمن به واطاعه ، فهو قادر على عقوبة العصاة وقهرهم ، واثابة أهل الطاعة والعفو عنهم ومن حق المعاقب والمثيب ان يخشى (١) ،

انما يخشى الله من عباده العلماء ، جواب لسؤال مقدر كأنه قيل لم لايخشى الناس من الله مع هذه الدلائل وتلك الانذارات ، فقال لاينفع الدلالات والانذارات ان لم يقذف الله في قلبه نور العلم ، ولما كان اغلب الناس خالين من نور العلم لاينفع هذه فيهم ،

اعلم ان الانسان له مراتب ولكل مرتبة منه خوف ورجاء ونحو من العلم غير ما للمرتبة الاخرى فاولى مرتبة مرتبة نفسه الامارة وفي تلك المرتبة لاتسمى إدراكاته إلا ظنونا ولايكون إدراكاته إلامحصورة على لوازم الحيوة الدنيا فان ذلك مبلغها من العلم ولايكون خوفه ورجائه إلا فيما يتعلق بالحيوة الدنيا ، وثانية مراتبه مرتبة نفسه اللوامة وفي تلك المرتبة يختلط إدراكاته من الظنون والعلوم والذرق والوجدان ، لانه قد يظهر حينئذ بشأن النفس الامارة ، فيحكم عليه باحكامها وقد يظهر بشأن النفس المطمئنة فيحكم عليه باحكامها ، وثالثة مراتبه مرتبة نفسه المطمئنة وفي تلك المرتبة يكون إدراكاته علوماً وذوقاً ووجداناً وخوفه يكون من الله ومن سخطاته وفراقه ويسمى ذلك الخوف خشية لان الخشية حالة حاصلة من امتزاج استشعار القهر واللطف والخوف والمحبة ، ومالم يصل الانسان إلى ذلك المقام لم يحصل له محبة ما لله فلم يحصل له خشية ما منه وكان خوفه

(١) تفسير المراغى ج ٢٢ ص ١٢٧

خوفاً صرفاً من قهره فقط اذا كان له خوف ، ورابعة مرتبته مرتبة قابه وفي تلك المرتبة يكون إدراكاته شهوداً وذوقاً ووجداناً ويكون خوفه هيبة فان المشاهد لا يرى الله إلا محيطاً بنفسه وليس شأن المحاط الالهية من المحيط وبعد ذلك يكون السطوة والسحق والمحق .

ان الله عزيز غفور ، تعليل الخشية للعلماء فان العزة يستلزم الخوف الذي هو احد جزئي الخشية والغفران يستلزم المحبة التي هي جزء آخر منها ، «١» .

« انما يخشى الله من عباده العلماء) وهذه الآية فيها وجوه من الدلائل على فضل العلم ، احدها ، دلالتها على انهم من اهل الجنة وذلك لان العلماء من اهل الخشية ومن كان من أهل الخشية كان من أهل الجنة فالعلماء من أهل الجنة فبيان ان العلماء من اهل الخشية قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وبيان ان اهل الخشية من أهل الجنة قوله تعالى : « جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار » الى قوله تعالى « ذلك لمن خشى ربه ويدل عليه ايضاً قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

واعلم انه يمكن اثبات مقدمتي هذه الدلالة بالعقل ، اما بيان ان العالم بالله يجب ان يخشاه ، فذلك لان من لم يكن عالماً بالشيء استحال ان يكون خائفاً منه ، ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لابد له من العلم بامور ثلاثة منها : العلم بالقدرة ، لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة ، لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعها ومنها العلم بكونه عالماً ، لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته ، ولكنه يعلم انه غير عالم بسرقته ، فلا يخافه ، ومنها العلم بكونه حكيماً ، فان المسخر عند السلطان عالم بكون السلطان قادراً على منعه عالماً بقبائح افعاله ، لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف ، اما لو علم إطلاع السلطان على قبائح افعاله وعلم قدرته على منعه وعلم انه حكيم لا يرضى بسفاهته ، صارت هذه العلوم الثلاثة موجبة لحصول الخوف .

(١) تفسير بيان السعادة ص ١٦١

في قلبه ، فثبت ان خوف العبد من الله لايحصل إلا إذا علم بكونه تعالى عالماً بجميع المعلومات ، قادراً على كل المقدورات ، غير راض بالمنكرات والمحرمات ، فثبت ان الخوف من لوازم العلم بالله تعالى ، وانما قلنا ، ان الخوف سبب الفوز بالجنة، وذلك لأنه إذا سنح للعبد لذة عاجلة وكانت تلك اللذة على خلاف امر الله ، وفعل ذلك الشيء يكون مشتملا على منفعة ومضرة ، فصريح العقل حاكم بترجيح الجانب الراجح على الجانب المرجوح ، فأذا علم بنور الايمان ان اللذة العاجلة حقيرة في مقابلة الالم الآجل ، صار ذلك الايمان سبباً لفراره عن تلك اللذة العاجلة ، وذلك هو الخشية ، وإذا صار تاركاً المحظور فاعلا للواجب كان من أهل الثواب فقد ثبت بالشواهد النقلية والعقلية ان العالم بالله خائف والخائف من أهل الجنة ، وثانيها ان ظاهر الآية يدل على انه ليس الجنة أهل إلا العلماء وذلك لان كلمة انما للحصر ، فهذا يدل على ان الخشية لاتحصل إلا للعلماء ، والآية الثانية وهي قوله تعالى (ذلك لمن خشى ربه) دالة على ان الجنة لاهل الخشية وكونها لاهل الخشية ينافي كونها لغيرهم ، فدل مجموع الآيتين على انه ليس الجنة أهل إلا العلماء (١) .

قال بعض الفضلاء كلمة انما ، للحصر ، ويخشى فعل وفاعله العلماء ، وكلمة الله منصوبة على المفعولية، والمجرور متعلق بيخشى ،والمعنى انما الخائفون من الله بين العباد هم العلماء الذين عرفوا الله تبارك وتعالى وعظمته وجبروته وسلطنته وقدرته على سرعة الانتقال من العاصي والمذنب واله اقرب من حبل الوريد (٢) :

قال الزمخشري ، المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج ٢ ص ١٨٧

(٢) المعين في احاديث الأربعين ص ٩٠

عليه فعظموه ، وقدروه ، وخشوه حق خشيته ، ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً . (١)

ولله در الشاعر للذي الشد في هذا المعني : وقال :

على قدر علم المرء يعظم خوفه ... فلا عالم إلا من الله خائف

وآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف

وقال الشاعر الفارسي قريباً بهذا المعنى :

علم چه بود آنكه ره بنمايدت ... زنگ گمراهي زدل ببردايدت

اين هوسها از دلت بيرون كند ... خوف وخشيت در دلت افزون كند

خشية الله را نشان علم دان ... انما يخشى ، تو در قرآن بخوان

سينه را زآن خوف وعلم آباد كن ... رو حديث ، او علمتم ، را بخوان

وقال آخر ولله دره :

عالم الكمس بود كه خوف خدا ... در دلش همچو بحر مواج است

زينجهت سرور است در عالم ... بلكه بر فرق ما سوى تاج است

ورنه تحصيل لفظ ومشت كتاب ... حظ دزد ونصيب تاراج است

روي عن النبي ﷺ انه قال : الي اخشاكم لله واتقاكم له (٢) .

وفي حديث آخر ، اعلمكم بالله اخوفكم لله (٣) وروي هذا الحديث الشريف بنحو آخر ، اعلمكم بالله اشدكم خشية له (٤)

---

(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٦١١

(٢ - ٣) تفسير الصافي ص ٣٧٤

(٤) تفسير غرائب القرآن ج ٣ ص ٢٣٤

قال مسروق، كفى بالمرء علماً ان يخشى الله ، وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه ، وانما خص العلماء بالخشية لان العالم احذر لعقاب الله تعالى من الجاهل حيث يختص بمعرفة التوحيد والعدل ويصدق بالبعث والحساب والجنة والنار (١) .

عن ابن مسعود قال ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية (٢)

قال رجل ، للشعبي ، افتني ايها العالم فقال العالم من خشى الله (٣)

عن السجاد (ع) وما العلم بالله والعمل إلا الفان مؤتلفان فمن عرف الله خافه ودعته الخوف على العمل بطاعة الله ، وان أرباب العلم واتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا اليه وقد قال الله تعالى ، انما يخشى الله من عباده العلماء (٤)

وعن الصادق (ع) ان من العبادة شدة الخوف من الله ثم تلا هذه الآية (٥)

وعنه (ع) قال : دليل الخشية التعظيم لله والتمسك بخالص الطاعة واوامره والخوف والحذر ودليلها العلم ثم تلا هذه الآية (٦)

---

(١) تفسير مفتنيات الدرر ج ٩ ص ٥١

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٥٤

(٣) تفسير الكشاف ج٣ ص ٦١١

(٤ - ٥) تفسير الصافي ص ٤٧٤

اكرام العالم وثمرتـــه

قال رسول الله ﷺ فانى افتخر يوم القيامة بعلماء امتي فاقول علماء امتي كسائر الانبياء قبل ، ان لاتكذبوا عالماً ولا تردواعليه ، ولاتبغضوه واحبوه فان حبهم إخلاص وبغضهم نفاق ،

ألا ومن اهان عالماً فقد اهانني ، ومن اهانني فقد اهان الله ، ومن أهـــان الله فمصيره الى النار ،

ألا ومن اكرم عالماً فقد اكرمني ، ومن أكرمني فقد اكرم الله ، ومن اكرم الله فمصيره الى الجنة (١)

وقال الشاعر الفارسي ولعم ما قاله :

أي بوده وجود تو زيك قطره منى هاك تا لكني باعلما كبر ومنـــى
زيرا كه چنين فرمود رسول مدني من اكرم عالمـــاً فقد اكرمني

وقال النبي ﷺ أيضاً من اكرم عالماً اكرمه الله تعالى يوم القيامة بكرام الانبياء واكرمه (٢) ،

اشرف جميع طبقات الانسان هم العلماء والروحانيون لان الله تعالى نور قلوبهم بالعلم وخصهم به واكرمهم بمعارفه والفضائل التي يختص الانسان بها لاغيره من باقي المرجودات ، وهذه المنزلة الرفيعة أيضاً لايليق بها كل انسان ، ولذلك الله جل جلاله يحب من أكرم عبده العالم ويبغض من اهان به ولهذي العلماء درجات في الآخرة من الجنة والرضوان ، ولمبغضيهم ايضاً دركات فى النار من الألم وشدة حرها وجدير بالذكر ان

(١ - ٢) لئالى الاخبار ج ٢ ص ٢٦٨

لنعرض قصصاً تجربية لمن لم يعرف مقام العلماء ولم يعلم طريق اكرامهم وهي كما وردت في كتب التأريخ والسير .

وقد نقل : ان السلطان المقتدر السلطان محمود كان يشك كثيراً في ثلاثة أمور .

الأول في نسبه ، هل هو ابن السبكتكين او غيره لما قيل فيه :

والثاني في القيامة ومعاد الخلق بعد ما صاروا رميما :

والثالث في الحديث المشهور بين الفريقين ، العلماء ورثة الانبياء ، لاستبعاده ان يكون للعلماء هذا القدر وهذه المنزلة عند الله وعند الخلق ، ويرسخ في قلبه هذه الشبهات إلى ان كان يوماً يرجع من الصيد فدخل مصر بعدما أظلم الليل فرأى شخصاً في باب حالوط قد يقرب وقد يبعد منه فلما قرب منه ونظر اليه رأى انه طالب علم فقير بيده كتاب كان إذا خلى الباب من المشتري يدنو إلى السراج . وينظر في الكتاب ، واذا جاء المشتري للبقال يأخذ بطرف حتى اذا قضى البقال حاجته فتأثر السلطان من فقره وورق عليه فذهب في منزله وأرسل اليه دنانير وشمعاً فرأي في الليلة رسول الله ﷺ في منامه . وقال له يابن سبكتكين عززك الله تعالى في الدارين كما عززت ورثتي فرفع عنه بعلمه الشبهات الثلاثة بهذا الخطاب المستطاب وعزز في ملكه (١)

وقد نقل أيضاً أن عالماً ورد يوماً على السلطان المقتدر السلطان اسماعيل السامانى فعززه وعظمه واكرمه غاية التكريم فلما قام وذهب شيعه سبعة اقدام ، فرأي ليلته في منامه رسول الله ﷺ قال له ، ياسماعيل قد عززت عالماً من علماء امتي سئلت الله ان يعززك في الدارين وشيعته بسبعة اقدام سئلت الله ان يجعل السلطنة في نسلك الى سبعة اعقاب واستجاب الله الدعائين في حقك (٢) .

ونقل ايضاً ، ان عالماً اعمى كان يوماً في مجلس الرشيد فحضر الطعام فلما فرغوا

(١ - ٢) لئالى الاخبار ج ٢ ص ٢٧١

قام الرشيد واخذ الابريق واشار إلى الذين في حضرته ان لايخبروا العالم فصب الماء على يده حتى غسلها فلما فرغوا أخبروه بان الخليفة كان صب الماء على يدك فقال له أجل الله قدرك فزاد الله بعلمه ودعائه على قدره وجلالته ودولته مالا يحيط به ، ولايقدر على وصفه واصف (١) .

ونقل أيضاً ، انه ورد في مجلسه العالم الفاضل محمد بن حسن الشيباني وعظمه كثيراً حتى قدمه على نفسه وشيعه باقدام عند ذهابه ، فلما ذهب شنعه بعض خواصه بان مثل ذلك التعظيم منك يذهب مهابة الخلافة ، فقال الرشيد المهابة التي تزول بالتواضع والقدر الذي ينقص بتعظيم العلماء والاعاظم عدمها اولى من وجودها .

وكان يتدرس بكتاب من الاحاديث عند مالك ويذهب عنده لقرائته فقال لمالك يوماً ائذن لي انا اجيء عندك كل يوم فامتنع الرشيد ،وقال : درجة العلماء ورتبتهم اعلى من ان يدعوهم أحد في امر والشان ان يذهبوا عندهم (٢) .

وحكى أيضاً ان السلطان السعيد السلطان سنجر كان كثير التواضع للعالم الفاضل الخواجة ابى الفضل الكرماني ولم يقصر في تعظيمه ويحبه فارسله برسالة الى بلدة فلما رجع استقبله بنفسه فاستأذن في اثناء الطريق ثلاث مرات نجوى ان ينزل من الفرس ويأخذ غاشيته ويمشي قدامه ليعلم الناس قدره ومنزلته فلم يأذن له الخواجة فشدد الله له الملك في كل يوم ، ورفع قدره ورايته ودولته لشدة تواضعه له (٣) .

وأيضاً ورد في كتب التاريخ ، ان المعتضد بالله كان يوماً في بستان وهو آخذ يد ثابت ابن أبي قرة بيده (وكان الثابت من أفضل علماء عصره واعجوبة زمانه) ففي حال الفجئة جر يده من فوق يده ، اعترض الثابت عليه فقال يا أمير المؤمنين لأي جهة جريت يدك من فوق يدي ، فقال المعتضد بالله ، كانت يدي فوق يدك ، والعلم

(١ - ٢ - ٣) لئالى الاخبار ج ٢ ص ٢٧١

يعلو ولايعلى عليه .(١)

ولكن رجال العلم والفضيلة الذين يجب اكرامهم ولهم حقوق على رقابة باقى افراد الانسان ، اللازم عليهم ان يكونوا غيارى فى دينهم ولاتصدر منهم اعمال خلاف الدين والانسانية ولايمشو خطوة على ضد الدين ولا يأخذوا قلماً ان يكتبوا أشياء لادينية حتى يكون الدين منهم متنفراً وغاضباً عليهم بل وعليهم ان يكونوا هداة الناس إلى طريق يؤدي إلى الله ورضوانه ، لا أن يكونوا عنصريا وغير مهتمين في ديانتهم ، وان يكونوا رقاق القلب حتى تحترق قلوبهم على كـل ابن مسلم وان لايميزوا بين ابناء الاسلام باحمرهم وأسودهم وأبيضهم واعورهم واعجمهم وعربهم ، وإذا كان العلماء بعيدين من هذه الاعمال اللادينية واللا انسانية فعلى الناس ان يكرمهم غاية الاكرام ويصدق فيهم قول الامام أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام من وقر عالماً فقد وقر ربه (٢).

وانما اكرام العالم موجب سعادة الدارين للانسان كما تدل الروايات والقصص في هذا المعنى حتى الشخص الفاسق إذا قام باكرام العالم فالله تعالى يتفضل له بالخير والكرامة في الدنيا والعقبى .

كما نقل عن عارف بالله ، انه قال : كنت فى مدينة مصر خرجت يوماً بزاوية من ساحل بحر النيل رأيت عقرباً يسرع في سيره لما دنى وقرب بالماء خرجت من البحر سلحفاة فركب على ظهرها وذهبت به إلى جانب الآخر من البحر فخطر ببالي أنه فى هذا سر وأنا أيضاً ذهبت من ورائهما حتى وصلت بشجرة وفي ظلها شاب يكون نائمـاً وفي صدره تكون حية جامعة بذيلها قاصدة ان يدخل راسها في حلقوم ذلك الشاب النائم وإذا دنى العقرب اليها ولدغها فقتلت بساعتها ورجع العقرب ، وانا قلت سبحان الله

(١) اخلاق روحى ص١٤٨

(٢) الواعظ ج ٥ ص ٢٦٨

لايكون هذا الشاب الاولى من اولياء الله ، فدلت منه رايته سكراناً فزاد في تعجبي ، وفي هذا الحين سمعت بنداء سماوي يقول وان كان هو سكراناً لكنه عبدنا ، وان كان نائماً ولكن خالقه ليس بنائم ، لما سمعت هذا النداء صرت باكياً وجرت دموع عيني على صفحة وجهي وجلست في جنبه حتى يفيق واعلمه بفضل الله واشفاقه عليه ، لما سكنت حرارة الشمس وقربت بالافول فاحت عليه الريح ونسيم البرودة افتتح عينيه وقام من منامه ، لما رأى جالساً في طرفه استخجل واعتذر عني ، فقلت له إيها الشاب الظريف هذه الحية التي وقعت في ناحيتك وحكيت القصة له بتمامها فجعل يبكي وانفل من اعماله وتندم من افعاله الماضية ويقول إذا كان للانسان خالق كريم ذا عطوفة عميمة فليس بالجدير ان يعصيه ، والخالق الذي يحسن باعدائه فكيف يعمل باحبائه ، ونعم ماقاله الشاعر الفارسي في هذا المقام ،

اي كريمي كه از خزانه غيب ... گبرو ترسا وظيفه خور داري

دوستان را كجا كني محروم ... تو كه بادشمنان نظر داري

فقلت له في وقت الذي عصيت ربك وقصدت هذا الفعل الشنيع أي عمل خير صدر منك حتى استوجبت هذه المنزلة العظيمة ، فقال ماصدر عني عمل تحسب قيمة له عند الله تعالى ، فقلت له ذكر اعمالك الماضية من الكلي والجزئي ماقمت بأي عمل خير ، فقال يمكن تفضل الله تعالى واكرمني على هذه الاعمال الصغيرة ،

الاول : في وقت كنت اشرب الخمر قالت لي امي جئني بماء حتى اتوضأ فجئتها بالماء بدون ان أتوقف ،

والثانية ، وفي وقت وجهت إلى بايع الخمر حتى اشتري منه الخمر وفي الطريق رأيت عالما يريد ان يركب ، فقال لي الزم ركابي حتى اركب فلزمته حتى ركب وذهبت معه بخطوات قليلة ،

الثالث ، ولما جاوزت عنه فأردت ان اعطي الذهب بايع الخمر حتى اشترى منه خمراً فسئل سائل فقير مني شيئاً فأخرجت ديناراً فاعطيته ، فقلت الت بهذه الاعمال الثلاثة وجدت هذه المنزلة الرفيعة من عنـــد الله تعالى فقام من مكانه وخرج الى الصحراء (١) .

والطرق التي تؤدي الانسان إلى السعادة الأبدية لكثيرة ومن جملتها اكرام العالم البصير في الدين والامور الدنيوية لا العالم الذي يجر النار الى قرصه ويكون مجداً باشغال منصب بين العوام حتى يصل اليه خبزه اليومي من قبلهـــم فكثير من الاشخاص الذين شبهو نفوسهم بالعلماء ولكنها في الحقيقة لايكونوا علماء بل بصورتهم ولباسهم فعلى الناس بأجمعهم ان يكونوا مميزين بين العالم بالله والقائم لاموره واحكامه وغيره من الأفراد الذين ليسوا كذلك ، اللهم اجعلنا عالماً بحقك وعارفاً بدينك واهدنا صراطك المستقيم .

اهانة العالم ونتيجته

قال رسول الله ﷺ الا ومن اهان عالما فقد اهانني ومن اهانني فقد اهان الله ، ومن اهان الله فمصـــيره الى النار (٢) .

وقال الشاعر الفارسي ولله دره :

اي بوده وجود توزباك قطره منى ها تان نكني با علما كبر ومنى
زيرا كه چنين فرمود رسول مدنى من اهـــان عالما فقـــد اهانني

---

(١) خزينة الجواهر ص ٦٧١

(٢) لئالي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٨ ولقد ذكرنا الحديث بتمامه في عنوان اكرام العالم وثمرته .

ومن الدستورات الاسلامية اللازمة على كل شخص من افراد الانسان ان لايقوم بهتك العالم واهانته وان قام بهذا العمل للسبب فقد ارتكب جرماً كبيراً وفعلا غير مرضي عند الله سبحانه وتعالى إلا ان يتندم ويستغفر الله ولم يرجع الى هذا الفعل الشنيع فيغفر الله له ولكن للعالم الذي لايجوز هتكه واهانته له شروط ليس هنا مقام ذكرها وسيجيء البحث في حق العالم الذي يجب هتكه واهانته وانما الكلام في هذا المقام ، في حق العالم الذي لايجوز هتك حرمته وهو العالم بالله والعارف بقوانينه والملتزم بدينه والعادل بين عباده والمعتقد بما انزل الله ، لوكان العالم كذلك ، أي متصفاً بهذه الصفات الجميلة الآلهية فيجب اكرامه وحرام اهانته لأن مثل هذا العالم بين الناس كمثل نبي من الانبياء الله بين عباده يهدي الناس إلى الله ويرشدهم إلى الحق والصراط المستقيم فليس يجدر هتك حرمته ويكفيه من الفضل والمقام قول نبينا صلى الله عليه وآله ، ان اهانته اهانتي ، وان اهانتي اهانة الله ، ومن اهان الله فمصيره معلوم ، مضافاً من هذا المعنى ان الله تعالى يبعد الشخص المهتك للعالم من رحمته ويقربه إلى غضبه ويصيبه بالالام الدنيوية والمصائب الاخروية وتدل على ماقلناه الروايات والقصص التأريخية الموجودة في كتب السير ومن جملتها :

نقل من كتاب خلاصة الأخبار ، ان رجلا صالحاً عابداً قد اذهبه ملائكة العذاب بعد موته في حضرموت وهو بئر في برهوت وقالوا له ذلك لثلاثة امور صدرت منك وعدوا من الثلاثة انه كان قد يتقدم في المشي حين يخرج إلى المسجد على عالم كان جاره (١) ؛

فاذا كان اقل مرتبة الاستخفاف لاهل العلم والعلماء هو التقدم في المشي عليهم ويصير المستخف مستوجبا لعذاب الله تعالى ، فويل لمن يقوم بانواع من الاستخفاف والهتك

(١) لئالي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٩

كالقتل والضرب والسب واللعن والاستهزاء وامثال ذلك نعوذ بالله من قبيل هـذه الاعمال السيئة ٥

وفي المجالس روى الثعلبي من أصحاب السير ، ان ابراهيم الخليل « ع » لما خرج من مصر الى الشام ، شايعه العلماء والزهاد اربعة فراسخ راحلين حافين فلما ودعهم وفارقهم لم ينزل من فرسه لهم ، فخاطبه الله تعالى بخطاب عتاب وغضب يا ابراهيم ، فلم لم تكرم خواصي ، ولم تنزل لهم وظننت اني لم انتقم منك ذلك الى به من ذريتك رجلا في مدينة مصر بذلة الرقية والسجن فابتلى يوسف « ع » فيه بما ابتلى به (١) ٥

وقدمنا بالذكر ، من ان في يوم دخل عالم على السلطان اسماعيل السامانى واحترمه واكرمه فوق الانتظار .

وان اسحاق اخا السلطان اسماعيل كان حاضرا في مجلس تعظيم السلطان للعالم فلما ذهب العالم شنع على اخيه السلطان اسماعيل بان ذلك التعظيم منك يذهب بمهابتك ، فسلب الله عنه وعن اولاده واعقابه الملك والدولة العظمى لهذا القدر من الاستخفاف للعالم (٢) .

قال الشهيد رضوان الله عليه ، أسند بعض العلماء الى ابن يحيى زكريا بن يحيى الساجي ، انه قال كنا نمشي في أزقة البصرة الى باب بعض المحدثين فاسرعنا في المشي وكان معنا رجل ماجن فقال ارفعوا ارجلكم عن اجنحة الملائكة كالمستهزي ، فما زال عن مكانه حتى جفت رجلاه (٣) ؛

واسند أيضاً الى داود السجستاني انه قال كان في أصحاب الحديث رجل خليع الى ان

---

(١) لئالى الأخبار ج ٢ ص ٢٧٢

(٢) لئالى الاخبار ج ٢ ص ٢٧٠

(١) منتهى المريد ص ١٤

سمع بحديث النبي ﷺ ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم فجعل في رجليه ممارين من حديد ، وقال اريد ان اطأ اجنحة الملائكة فاصابته الاكاة في رجليه وذكر ابو عبد الله محمد بن اسماعيل التميمي هذه الحكاية في شرح مسلم وقال فشلت رجلاه وسائر اعضائه(١)

واما الروايات الدالة على ان الشخص المستخف بحق أهل العلم والعلماء مبغوض عند الله ومطرود من بابه ورحمته لكثيرة ،

قال السجاد عليه السلام ، لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج ان الله تبارك وتعالى ، اوحى الى دانيال ، ان امقت عبدي الى الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم ، وان أحب العبد الى التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء القابل عن الحكماء (٢) .

وروي في بعض الكتب عن النبي ﷺ : من اذل عالماً بغير حق اذله الله يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين (٣).

وعنه ﷺ أيضاً من حقر طالب العلم حقرني فله النار ، وقال ﷺ : من احتقر طالب العلم فقد احتقرني ومن احتقرني فهو كافر ،

روي فخر الرازي في تفسيره. فمن اهان العالم فقد اهان العلم ومن اهان العلم فقد اهان النبي ﷺ ، ومن اهان النبي فقد اهان جبرئيل ومن أهان جبرئيل فقد اهان الله ، ومن اهان الله أهانه الله يوم القيامة (٤) .

---

(١) منية المريد ص ١٤

(٢) اصول الكافي ج ١ باب فضل العلم ،

(٣) امالي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٨

(٤) تفسير مفاتيح الغيب ج ١ ص ٢٧٢

قال امير المؤمنين « ع » لايستخف بالعلم وأهله الأاحمق جاهل (١).

وفي ديوان المنسوب الى حضرته « ع »

وقيمة المرء ماقد كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

والشاعر الفارسي يقول :

دانا كه هميشه علم وحكمت ورزد در چشم كسان بآنچه ورزد ارزد

نادان كه حسد از دل او سر برزد پيوسته بكين اهل دانش لرزد

ان كثيراً من العلماء الربانيين في هذه الدنيا قد هتكوا واهانوا بهم ، والتاريخ يشهد ونتذكر جملة منه انموذجاً للعبرة والانتباه ، مضافاً من الروايات والقصص التي قدمناها آنفاً ، ان المتوكل العباسي عليه لعائن الله كان يهتك دائم الوقت امام زمانه وعالم وقته علي بن محمد الهادي عليه السلام ، وكما قلنا بانه كل من يقوم بهتك العالم واهانته تعمداً عليه سيعاقب في الدنيا بنتيجة عمله السيء وسوف يجزي .

عن القطب الراوندي عن زرارة حاجب المتوكل ، قال أراد المتوكل ان يمشي علي بن محمد بن الرضا « ع » يوم السلام . فقال له وزيره ان في هذا شناعة عليك وسوء قالة ، فلا تفعل قال لابد من هذا ، قال فان لم يكن بد من هذا فتقدم بان يمشي القواد والأشراف كلهم حتى لايظن الناس انه قصدته بهذا دون غيره ، ففعل ومشى « ع » وكان الصيف ، فوافي الدهليز وقد عرق ، قال فلقيته واجلسته في الدهليز ومسحت وجهه بمنديل وقلت ابن عمك لم يقصدك بهذا دون غيرك ، فلا تجد عليه في قلبك فقال ايها عنك ، تمتعوا وافي داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ، قال زرارة وكان عندي معلم يتشيع وكنت كثيراً ما امازحه بالرافضي . فانصرف الى منزلي وقت العشاء وقلت تعال يارافضي حتى احدثك بشيء سمعته اليوم من امامكم قال لي : وماسمعته

(١) الواعظ ج ٥ ص ٥٦٦ ناقلا عن غرر الحكم .

فاخبرته بما قال ، فقال اقول لك فاقبل نصيحتي قلت هاتها ، قال ان كان علي بن محمد عليهما السلام ، قال بما قلت فاحترز واخزن كل ما تملكه ، فان المتوكل يموت او يقتل بعد ثلاثة ايام ، فغضبت عليه وشتمته وطردته من بين يدي ، فخرج فلما خلوت بنفسي تفكرت وقلت مايضرني ان آخذ بالحزم ، فان كان من هذا شيء كنت قد اخذت بالحزم وان لم يكن لم يضرني ذلك قال فركبت الى دار المتوكل فاخرجت كل ما كان لي فيها وفرقت كل ماكان في داري الى عند اقوام اثق بهم ولم اترك في داري إلا حصيراً اقعد عليه ، كانت الليلة الرابعة قتل المتوكل وسلمت انا ومالي وتشيعت عند ذلك فصرت اليه وازمت خدمته وسألته ان يدخولي وتوالبته حق الولاية (١) .

ان المتوكل العباسي لعنة الله عليه كان مؤذياً الامام الهادي عليه السلام دائم الارقات وصار سبب قتله وورود الى النار المؤلمة الأبدية هتك الامام عليه السلام واذيته ، ولذلك غضب الله تعالى عليه واهلكه .

العالم كبير والجاهل صغير

قال الامام امير المؤمنين عليه السلام ، الجاهل صغير وان كان كبيرا ، والعالم كبير وان كان حدثا (٢) ،

العالم من حيث انه عالم ، شخصية كبيرة من جهة علمه وعرفانه الذى وهبه الله تعالى ، ويليق ان يقدره الناس ويكبروه ويجعلوه فوق رؤسهم اكراماً واحتراماً له. لان العالم بالعلم الذى علمه واعطى له يعمل بما يقتضيه من اوامر الله تعالى ونواهيه

(١) الأنوار البهية ص ٢٦٩

(٢) بحار الانوار ج ١ ص ٥٨

واذا عمل ففي النتيجة يصل الى درجة شامخة اخروية وينال مقاما محموداً عند الله ، فكل انسان اذا صار عالماً وبصيرا في امـور الدين وحقائق الاشياء يعرف مضارها ومنافعها ويعرف طرق السعادة والشقاوة ويميز الخير من الشر والخبيث من الطيب ويختار الهداية والرضوان ويترك الظلمة والنيران ،

وأيضاً يعلم كيف يمكنه ان يهدي الناس ويقدره ان يأخذ يد الجهال ويطلعهم من ظلمات النكبة والحيرة وان يسد سبيل فسادهم في الدين والمجتمع ، وبسبب علمه وعرفانه باحكام الله تعالى يفوز الناس بالكرامة الابدية والسعادة السرمدية ، وتبعاً مثل هـذا الانسان العالم بهذه الاشياء والقادر بها ، يعد كبير عند الخالق والمخلوق . ويعترف بفضله وكبريائه كل عاقل ، ولو كان هذا الشخص العالم بحسب السن صغيراً ولكن في الواقع كبير وعظيم ، لان العلم في اى قلب وقع واستقر فيكبر صاحبه ،

والجاهل بعيد من الحقائق والفضائل النفسانية والملكوتية جدا ولايشعر بما يصدر منه من الافعال القبيحة والمشينة وانما الاعمال الصادرة من الجاهل ليس هـو إلا بسبب جهله وبعده من العلم والفضيلة وانحرافه عن الحق والعدالة ، وبهذه المناسبة ان الجاهل يعده صغير ولايكون له أي مقام وفضيلة عند الله تعالى ولاعند الناس ولو كان بحسب السن كبيرا ، فعرفنا بان الطريق الوحيد لتكبير الانسان هو تحصيل الفضائل العلمية والمعارف الالهية التي هي تقدم الانسان في كل مكان ، ويجدر هنا ان نتذكر جملة تاريخية واشعارا راقية وروايات من ائمة الدين عليهم السلام ،

في التاريخ ، لما ولى عمر بن عبد العزيز ، وفد عليه الوفود من بلد فوفد عليه الحجازيون ، فتقدم منهم غلام للكلام ، وكان حديث السن ، فقال عمر ، لينطق من هو اسن منك فقال الغلام اصلح الله امير المؤمنين ، انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله تعالى العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام ، ولو ان الامر بـا

امير المؤمنين بالسن لكان في الامة من هو احق منك بمجلسك هذا فتعجب عمر من كلامه وسأل عن سنه فاذا هو ابن احدى عشر سنة فتمثل عمر عند ذلك بقول الشاعر (١) :

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس اخو علم كمن هو جاهل

وان كبير القوم لاعلم عنده ... صغير اذا التفت عليه المحافل

وقال الشاعر الفارسي قريباً بهذا المعنى :

جوان پر هنر بيني برو بر سال او مشمر ... كه ده ساله هنر ور به ز پنجاه ساله گاو خر

ترا از علم پرسم تو پيري نزدمن آري ... اگر پيري هنر بودي شدي ابليس پيغمبر

وقال شاعر آخر في هذا المعنى .

أي بسا ريش سياه ومرد پير ... اي بسا ريش سفيد ودل چو قير

پير پير علم باشد اي پسر ... نى سفيدي موي اندر ريش وسر

از ابليس او پير تر خود كي بود ... چونكه عقلش نيست اولاشي بود

وانشد ابو القاسم احمد بن عبد الله بن عصفور لنفسه شعره هذا في العلم وفيمن يكون واجده وهو احسن ماقيل في معناه .

مع العلم فأسلك حيث ماسلك العلم ... وعنه فكاشف كل من عنده فهم

ففيه جلاء للقلوب من العمى ... وعون على الدين الذي امره حتم

فاني رأيت الجهل يزري بأهله ... وذو العلم في الاقوام يرفعه العلم

يعد كبير القوم وهو صغيرهم ... وينفذ منه فيهم القول والحكم

واي رجاء في امرء شاب رأسه ... وافنى سنيه وهو مستعجم فدم

يروح ويغدو الدهر صاحب بطنة ... تركب في احضانها اللحم والشحم

اذا سئل المسكين عن امر دينه ... بدت رحضاء الذل في وجهه تسمو

وهل ابصرت عيناك اقبح منظر ... من اشيب لاعلم لديه ولاحكم

(١) مجاني الأدب ج ٢ ص ١٢٩

هي السوء السوداء فاحذر شباتها فاولها خزي وآخرها ذم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم فصحبتهم زين وخلطهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فانهم نجوم اذا ما غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى ولا لاح من غيب الامور لنا رسم

هذا الشاعر الحكيم لقد ادرج جميع الفضائل المترتبة على العلم وطالبيه من العلماء والفضلاء والادباء في اشعاره الراقية، ونتذكر أيضاً ابياتاً من شاعر حكيم آخر في الموضوع ، ولعم ماقاله ولله دره :

واعلم بان العلم بالتعلم والحفظ والاتقاء والتفهم
والعلم قد يرزقه الصغير في سنه ويحرم الكبير
فالما المرء باصغريه ليس برجله ولايديه
والعلم بالفهم وبالمذاكرة والدرس والفكرة والمناظرة
فرب السان ينال الحفظا ويورد النص ويحكي اللفظا
وماله في غيره نصيب مما حواه العالم الاريب
فالتمس العلم واحمل في الطلب والعلم لايحسن إلا بالادب
والأدب النافع حسن الصمت وفي كثير القول بعض المقت
وان بدت بين أناس مسألة معروفة في العلم او مفتعلة
فلا تكن الى الجواب سابقاً حتى ترى غيرك فيها ناطقا
فكم رأيت من عجول سابق من غير فهم بالخطا ناطق
أزري به ذلك في المجالس عند ذوي الالباب والتنافس
اياك والعجب بفضل رأيكا واحذر جواب القول مع خكائكا
كم من جواب اعقب الندامة فاغتنم الصمت مع السلامة

قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام ، لاتتكلموا على البخت فربما لم يكن وربما كان وزال ، ولا على الحسب فطالما كان بلاء على أهله ، يقال للناقص ، هذا ابن فلان الفاضل فيتضاعف غمه وعاره ، ولكن عليكم بالعلم والأدب ، فان العالم يكرم وان لم ينتسب ، ويكرم ، وان كان فقيراً ، ويكرم وان كان حدثا (١) .

عن ايوب عليه السلام ، ان الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير ، فاذا جعل الله العبد حكيماً في الصبي لم يضع منزلته عند الحكماء حداثة سنه ، وهم يرون عليه من الله نور كرامته (٢) .

وفي هذه الرواية الشريفة دلالة كاملة على ان الله تعالى اذا جعل عبده حكيما في صباوته ورزقه الله العلم والعرفان ، فان عبده هذا لايقل قدره عند الحكماء ، بل وانهم يرونه بعين الكبرياء والعظمة ، ومن المعلوم ان الله تعالى لقد تفضل بكثير من عباده العلوم وحقايق دينه مع انهم كانوا في سن الطفولية والصباوة على حسب الظاهر وفي الموضوع روايات كثيرة ومن جملتها هذه الرواية الشريفة .

روي عباد بن صهيب ان ابا حنيفة سئل موسى بن جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام ، وهو شاب حدث ، فقال له ممن المعاصي يا فتى فقال عليه السلام يا كهل لاتخلو من احدى ثلاث ، اما ان تكون من الله ، او من العباد ، او منهما جميعاً ، فان كانت من الله فالعباد منها براء ، وان كانت منهما جميعاً فهما شريكان ، احدهما اقوى من الآخر وليس للشريك القوي ان يظلم الشريك الضعيف فيشاركه في المعصية ويفرده في العقوبة فما بقي إلا أن تكون من العباد ، فقام ابو حنيفة وقال انت ابن رسول الله حقاً (٣) ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ ص ٣٣٢

(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٣٧

(٣) جامع الاخبار ص ٧ والدروس البهية ١٣٧

لم تخل افعالنا اللاتى نذم بها ... احدى ثلاث معان حين نأتيها
اما تفرد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه ... ماسوف يلحقنا من لائم فيها
او لم يكن لاهي فى جنايتها ... ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها(١)

السعى فى طلب العلم والعلى

قال الله العزيز الحكيم ، وان ليس للانسان إلا ماسعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزيه الجزاء الاوفى (٢) .

وان ليس للانسان إلا ماسعى ، أي ليس له من الجزاء إلا جزا ماعمله دون ماعمله غيره ، ومتى دعا غيره الى الايمان فاجابه اليه فهو محمود على ذلك على طريق التبع وكأنه من اجل عمله صار له الحمد على هذا ، ولو يعلم شيئا لما استحق جزاء لا ثوابا ولا عقابا .

(وان سعيه سوف يرى) يعني ان ما يفعله الانسان ويسعى فيه لابد ان يرى فيما بعد بمعنى انه يجازي عليه وبين ذلك بقوله .

(ثم يجزيه الجزاء الاوفى) اي يجازي على الطاعات باوفى مايستحقه من الثواب الدائم والهاء في يجزيه عائدة الى السعي ، والمعنى انه يري العبد سعيه يوم القيامة

---

(١) جامع الاخبار ص ٧ والدروس الدينية ص ١٣٧

(٢) سورة النجم ي ٣٥ ر ٣٨ .

ثم يجزي سعيه او في الجزاء (١)

ان المفسرين في ذيل هذه الآية المباركة قد نقلوا روايات واحاديث يستفاد منها بان الانسان اذا سعى في اي عمل من اعمال الخيرية سيرى نتيجة سعيه ، خصوصاً اذا سعى الانسان واجتهد في طريق تحصيل العلم ونال مرتبة من المراتب العلمية ودرجة من الدرجات الفضيلة وخلف عنه كتباً فيها علومه وان الناس اذا نظروا فيها يهتدون الى دين الحق والصراط المستقيم قال بعضهم .

(وان ليس للانسان إلا ماسعى) .

عن النبي صلى الله عليه وآله اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، ولد صالح يدعو له وصدقة جارية من بعده ، وعلم ينتفع به ، فهي في الحقيقة من سعيه وكده وعمله كما جاء في الحديث :

ان اطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وان ولد الرجل من كسبه ، والصدقة الجارية كالوقوف ونحوه على اعمال البر هي من اثار عمله ، وقد قال الله تعالى:

انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا و آثارهم ، الاية (٢)

والعلم الذي نشره في الناس فاقتدوا به واتبعوه ، هو من سعيه ، فقد ثبت في الصحيح ، من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجر من اتبعه من غير ان ينقص اجورهم شيئاً :

وان سعيه سوف يرى :

اي ان عمله سيعرض يوم القيامة على أهل المحشر ويطلعون عليه ، فيكون في ذلك اشارة بفضل المحسنين وتوبيخ للمسيئين .

---

(١) تفسير مجمع البيان ج ٢ ص ٣٨٣

(٢) سورة ى

ثم يجزاه الجزاء الاوفى »

اي ثم يجزي بعمله او في الجزاء واوفره ، فيضاعف الله له الحسنة ويبلغها سبعمأة ضعف ، ويجازي بالسيئة مثلها او يعفو عنها (١)

لكل فرد من افراد الانسان اذا هو طالب فضيلة من الصفات البشرية والكمالات الملكوتية الآلهية ، اللازم عليه ان يعقرها غاية التعقب دائما وان يكون راكزا من وراء مطلوبه وحاجته حتى يصل اليه وينال بأمله ما رأي أحد في العالم ان يكون طالب شيء من درجات الكمال ان يقوم من وراثه حتى لم يصل اليه .

ان رجال العلم الذين نالوا المناصب العظمى والمقامات العالية دنيوية او اخروية لقد تحملوا تعباً كثيرا ومحناً زايدة في طريق مقاصدهم وضالتهم وجدوا حتى وجدوا ما ارادو من العزة والجلالة ، وان كثيرا من اكابر العلم والأدب لما لنظر الى حالاتهم ونورق صفحات كتب التاريخية وكيفية عيشتهم في هذا العالم ايزيدنا عجباً من كثرة تحملهم وصبرهم على الضيق والمشقة من ناحية عدم شيء لهم من المالية الدنيوية وكانوا يعيشون باسوء الحالات لكنهما لا اخرجوا اقدامهم من جادة منوياتهم ومقاصدهم والله تعالى عوضهم عن سعيهم وتفضل بهم السعادة في الدنيا والاخرة ، وعليك بقراءة حالات بعض العلماء الكرام المتقدمين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ، الذين اصرفوا قواهم اولا في سبيل اخذ معالم الدين وسنن المرسلين وثانياً في طريق ترويج الدين واحياء شريعة سيد المرسلين ﷺ ،

ومنهم ، كما في رياض العلماء ، العالم الرباني المولى محمد صالح المازندراني ، ان اباه المولى احمد المازندراني ، كان في غاية من الفقر والفاقة فقال يوماً لولده اني لا اقدر على تحمل نفقتك ولا من السعي للمعاش وانت في سعة من حاجتي ، فاطلب لنفسك ماتريد فهاجر المولى المزبور الى اصفهان وسكن في المدرسة ، وكان للمدارس وظائف معينة من طرف السلاطين يعطي كل طلبة على حسب رتبته ، ولما كان المولى المعظم اول امر تحصيله كان سهمه منها في كل يوم غازين وهما غيروانيين لمصارف اكله فضلاعن

سائر لوازم معاشه ، ومضى عليه مدة لم يتمكن من تحصيل ضوء لمطالعته ، وكان يقنع بسراج بيت الخلاء ، وكان يطالع بمعونته واقفاً على قدميه الى الصباح حتى صار في مدة قليلة فاهلا للتأتي من المولى محمد تقي المجلسي ، فحضر في مجلس درسه في عداد العلماء الاعلام حتى ان فاق عليهم ، وكان للمولى الجليل استاذه شفقة تامة عليه .

وكان يعتمد على جرحه وتعديله في المسائل وفي خلال ذلك حصل له رغبة في التزويج وعرف ذلك منه استاذه ، رحمه الله فقال له يوماً ان اذنت لي ازوجك امرأة فاستحي ثم اذن له ، فدخل المولى في بيته وطلب بنته آمنة الفاضلة المقدسة المجتهدة البالغة في العلوم حد الكمال وقال عينت لك زوجاً في غاية من الفقر ونهاية من الفضل والصلاح والكمال وهو موقوف على اذنك ورضاك ، فقالت الصالحة ليس الفقر عيباً في الرجال ، فهيأ والدها المعظم مجلساً عالياً وزوجها منه فلما كانت ليلة الزفاف ودخل عليها ورفع البرقع عن وجهها ونظر الى جمالها عمد الى زاوية وحمد الله شكراً واشتغل بالمطالعة ، واتفق انه ورد على مسئلة مشكلة لم يقدر على حلها وعرفت ذلك الفاضلة آمنة بيگم بحسن فراستها وتدبيرها .

فلما خرج المولى المذكور من الدار للبحث والتدريس عمدت الى تلك المسئلة وكتبتها مشروحة مبسوطة ووضعتها في مقامه ، فلما دخل الليل وصار وقت المطالعة وعثر المولى على المكتوب وحل له ما اشكل عليه سجد لله شكراً ، واشتغل بالعبادة الى الفجر وطالت مقدمة الزفاف الى ثلثة ايام واطلع على ذلك والدها المعظم ، فقال له ان تكن هذه الزوجة غير مرضية لك ازوجك غيرها فقال ليس الأمر كذلك وكما توهم ، بل المقصود اداء الشكر كلما اجهد نفسي في العبادة لا ابلغ ذرة من هذه العناية الربانية : فقال رحمة الله عليه ، الاقرار بالعجز غاية الشكر (١) .

---

(١) تحفة العالم ج ٢ ص ١١٨ نقلا عن رياض العلماء .

وله من المصنفات الفائقة والتحريرات الرائقة مالا يخفى على أهل الكمال حسنها كحاشية معالم الاصول ، وشرح قصيدة البردة ، وشرح اصول الكافي توفي باصفهان سنة (١٠٨١) ودفن في مرقد المجلسي رحمهما الله تعالى (١) .

وان شرحه على اصول الكافي من احسن الكتب والشروح لانه ورد في مقام الشرح من المعقول والمنقول وشرحه على ترتيب جيد واسلوب لطيف يستفيد منه كل من أرادها فأدعوكم الى قراءة هذا الكتاب القيم المفيد وعلى كل طالب علم ان يأخذ منه نسخة ويطالعه في طول حياته فهنيئاً لمصنفه وقارئيه رحمة الله تعالى عليه وعلى امثاله ؛

ويناسب المقام ان اذكر ابياتاً من الشعراء فارسية وعربية ولله درهم الجميع .

قال امير المؤمنين علي عليه افضل الصلاة والسلام ،

لو كان هذا العلم يحصل بالمنى ما كان يبقى بالبريـــة جاهل
اجهدوا لا تكسل ولا تك غافلا فندامة العقبى لمن يتكاسل

ولنعم ماقاله الشاعر الفارسي في هذا المعنى .

گر أهل دلي ترك هوس بايد كرد مرغ دل خويش در قفس بايد كرد
توحيد بـــآرزو ميسر نشود هر گام كه داري همه پس بايد كرد

وقال شاعر آخر بالفارسية ولله دره ؛

تن آسائي وكاهلي دور كن بكوش وزرنـــج تنت سور كن
كه الدرجهان سودبي رنج ليست كسي راكه كاهل بود گنج ليست

فايها الطالب المحصل عليك بقراءة ترجمة احد العلماء الكبار التالية : لـــكي تعتبر منها وهو :

استاذ الكل في الكل عند الكل ، كنز الحكمة ، الاقا حسين بن الفاضل الكامل

(١) تحفة العالم ج٢ ص ١١٨ نقلا عن رياض العلماء؛

جمال الدين محمد الخوانساري ، وقد انتقل من قهپايه الى إصفهان لاستفادة العلوم واكتساب الحكم والمعارف من علمائها الاعيان ونزل في مدرسة خواجه ملك التي هي بجنب مسجد الشيخ لطف الله الواقع في ميدان الشاه ، وهي اكثر مدارس البلدة المشار اليه بركة وافرها تأثيراً في بلوغ طلبة العلوم الى معارج العلم واليقين ، وقد بنيت من قبل ظهور الدولة الصفوية أو في اوائل تلك الدولة ، ثم أمر بتعميرها وتجديدها السلطان شاه عباس الماضي ، وكذا بتعمير القبة العالية التي هي بجنبها وفوض امر الجماعة والتدريس المتعلقين بهما الى الشيخ لطف الله ، وكانت المدرسة الموصوفة منذ بنيت محطاً للرجال واكابر الفضلاء ومجمعاً ومحشداً لاعاظم العلماء والفقهاء ، فهقي الآقا حسين المذكور هنالك مشغولا بالافاضة والارشاد ، الى ان جاء بمرور قليل من الدهر فائقاً على سائر اساتيذ علوم السر والجهر (١) .

وقد نقل من عجيب امره انه كان يقول مر علي في زمن تحصيلي في المدرسة شتاء بارد لم يتيسر لي فيه نار اسكن اليها وكان لي لحاف خلق فكنت القه على بدني وادور حول الحجرة لعله ينفعني من شدة البرد ، ثم بلغ امره والحمد لله في قليل من الزمان الى حيث ورد يوماً على الشاه سليمان الصفوي سطوته وصلابته ، فرآه قد لبس جبة نفيسة عالية لم ير عين الزمان بمثله من الرعونة والنعومة واحتفافه بسلسلة الجواهر والعقيق فأدخل الاقاء يده تحت ذيل تلك الجبة ووصف منزلتها فلما خرج الاقاء وضع السلطان تلك الجبة في ملبسة وأرسل بها الى جنابه المقدس معتذراً بانها ليست مما يليق بجلالة شأنكم وعظم مقامكم ، والمأمول ان لا تلقوا ذلك إلا بالقبول (٢) .

ونقل ايضاً من غاية قربه ومكانته من الحضرة السلطانية المعظم اليها ، ان السلطان

(١ - ٢) روضات الجنات باب الحاء ص ١٩٤

الموصوف التمس منه في بعض مهاجراته لنيابة السلطنة عنه واه يجلس مجلسه الاعلى ويقوم بأمر المملكة حسب مايريده ، ففعل ذلك (١) .

فأن العلماء السابقين كانوا سيرتهم سيرة الانبياء وأئمة الدين وكانوا متخلقين باخلاقهم ومتأدبين بآدابهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فأي منصب من مناصب الدنيا او الآخرة لايليق بهم بل ان درجتهم اعلى من كل مقام ومنصب وان الله تعالى لايضيع اجرهم واجر من يعمل بمثلهم وليقال في حقهم :

يا أيها العالم المرضي سيرته ... ابشر فأنت بغير الماء رباه

دع التكسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان

ومن نصايح الشافعي ولطيف اشعاره .

اخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الشاعر الفارسي ناصحاً لاخيه المسلم :

گفت كم كن كه من چه خواهم كرد ... گوي كردم مگر كه خواهم كرد

جهد بر تست بر خدا توفيق ... زالكه توفيق وجهد هست رفيق

وقال شاعر آخر بالفارسية ولله دره :

تاچند شنيدن صفت ليكورا ... جهدي كه مگر اهل شوي اين خورا

هر كس بهوا مرغ تواند ديدن ... كو آلكه نهد دام وبگيرد اورا

وقال آخر بالفارسية ونعم ماقاله :

هر كه چون سايه گشت خاله نشين ... تابش ماه وخور كجا بيند

وانكه پهلو تهي كند از كار ... صرصر سهم وزر كجا يابد

(١) روضات الجنات باب الحاء ص ١٩٤

گر هنرمند گرشه گير بود كام دل از هنر كجا يابد
باز كز آشيان خود نپرد بر شكارش ظفر كجا يابد

وان كيفية بداية تحصيل السكاكي مشهور ماظفرت بترجمة احد من العلماء السابقين حتى يكون اول امره شاقاً عليه ويتعب نفسه مثل ماتعب السكاكي في طريق تحصيله العلوم وكسبه المعارف لانه كان كل مايدرس ويتعلم لم يتحمل خاطره ولم يعرف شيئاً من كلام استاذه فعليك بقراءة ترجمته وحالاته في بداية تحصيلاته .

الشيخ الفاضل ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي الخوارزمي الملقب سراج الدين السكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم الذي يذكر فيه اثنى عشر علماً من علوم العرب مع انه من نجوم العجم .

وقال السيد مجد الدين محمد الحسيني الفاضل المؤرخ المتلخص بالمجدى المعاصر لشيخنا البهائي (ره) في كتاب زينة المجالس في باب حسن ثمات النية واستقامة العزيمة مانرجمه ، والامام السكاكي كان من جملة فضلاء الدهر والعلماء العالية المنزلة والقدر ماهراً في العلوم العربية ، وكان في مهده امره حداداً فعمل بيده محبرة صغيرة من حديد وجعل لها قفلا عجيباً ولم يزد وزن تلك المحبرة عن قيراط واحد فاهداها الى ملك زمانه ولما راه الملك وندمائه مجلسه الرفيع لم يزيدوا على ترحيب الرجل على صنعته فأتفق انه كان واقفاً في الحضور اذ دخل رجل آخر فقام الملك احتراماً لذلك الرجل واجلسه في مقامه فسأل عنه السكاكي فقيل انه من جملة العلماء ففكر السكاكي في نفسه انه لو كان من هذه الطائفة لكان الفع الى ما كان يطلبه من الفضل والشرف والقبول ، وخرج من ساعته إلى المدرسة لتحصيل العلوم وكان اذذاك قد ذهب من عمره ثلثون سنة فقال له المدرس لعلك في سن لاينفعك فيه التعلم وارى ذهنك مما لايساعدك على امر التحصيل فلابد فيما هنالك من الامتحان ، ثم اخذ يعلمه هذه المسألة التي هي من اجتهادات

امامهم الشافعي وقال له ٥ قال الشيخ جلد الكلب يطهر بالدباغة

وجعل يكرر هذه العبارة عليه إلى أن بلغ الف مرة ، ثم جاءه من الغد طلب منه ان يحاكي درس امسه الذي لقنه الف مرة فقال :

قال الكلب جلد الشيخ يطهر بالدباغة .

فضحك عنه الحاضرون وعلمه الاستاذ شيئاً آخر ، وهكذا الى ان مضى عمر السكاكي في ذلك التعب في امر التحصيل عشرة اعوام آخر فيأس من نفسه بالكلية وضاق خلقه فخرج الى البراري والجبال فأتفق انه كان يتردد يوماً في شعب الجبال اذ وقع نظره الى قليل من الماء يتقاطر من فوقه على صخرة صماء وقد ظهر فيها ثقبة من اثر ذلك التقاطر على عهد بعيد ، فأعتبر من نفسه بهذه الكيفية وقال ليس قلبك باقسى من هذه الحجرة ولا خاطرك باصلب منها حتى لايتأثر بمراقبة التحصيل ٥ ورجع ثانياً إلى المدرسة بعزمه الثابت وصمم في الأمر الى أن فتح الله عليه ابواب العلوم والمعارف والافنان وحاز قصب السبق على جميع الاماثل والاقران من العلماء والأعيان ٥ (١)

وان هذا العالم الفاضل السكاكي لقد تحمل في دور حياته وفي سبيل تحصيل العلوم والمعارف المشاكل التي اذا وقعت على أي إنسان كاد ان يذوب من غير الرجال المؤيد من عند الله تعالى ولقد نظرت حالات السكاكي لرأيت تحمله وصبره على النوائب والمصائب ، ولكل طالب علم او مقام فعليه ان يتحمل المشقات الدنيوية ويصبر على الفقر والفاقة ويجد في دروسه وعقيدته حتى يكملها ويعقب مرامه لكي ينال غايته ومطلوبه وفي هذا المقام كلمات من ارباب الفضل والكمال واشعار من الأدباء .

يقول الشاعر الفارسي ولله دره ٥

چو كوشش نباشدتن زورمند نيارد سر از آر زوها بلند

(١) روضات الجنات باب الباء ص ٧٤٦

كه اندر جهان سودبي رنج نيست كسي را كه كاهل بود گنج نيست

قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام ، في ديوان المنسوب الى حضرته .

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي

يغوص البحر في طلب اللالي ويحظي بالسيادة والنوال

ومن طلب العلى من غير كد اضاع العمر في طلب المحال

فأيها القارئ العزيز انظر الى ترجمة هذا العالم الجليل وكيفية جوعه وصبره وتحمله عليه .

الحبر العماد والخبير الاستاذ ابوبكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي المؤرخ الذي قل ان يظفر بمثله ابصار الدهور ، وهو صاحب كتاب طبقات النحاة ، ومختصر كتاب العين ، وكتاب اجلية سيبويه ، والموضح ، وكتاب لحن عوام الاندلس ، وكتاب الرد على ابن مسرة ، واهل مقالته سماه هتك ستور الملحدين وغير ذلك من المصنفات (١) .

ومن جملة ماحكي عنه نقلا عن ابن هبيرة الوزير ، انه قال ، جلست مع الزبيدي من بكرة الى الظهر وهو يلوك شيئاً في فيه ، فسألته ، فقال لم يكن لي شيء فأخذت نواة اتعلل بها (٢) .

ونعم ماقاله الشاعر العربي ولله دره .

لعمرك ما الانسان إلا ابن سعيه فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا

ولم يتأخر من يريد تقدماً ولم يتقدم من يريد تأخرا

وبالهمة العليا يرقى الى العلا فمن كان اعلى همة كان اشهرا

في اداب المتعلمين ، الفصل الرابع في الجد والمواظبة والهمة ، ثم لابد لطالب

(١-٢) روضات الجنات باب الميم ص ٦٨٦

العلم من الجد والمواظبة والملازمة، قيل من طاب شيئاً وجد وجد ، ومن قرع باباً ولج وقيل بقدر مايسعى ينال مايتمنى (١) ،

المرء مخبوء تحت لسانه

قال الله العزيز الحكيم ، وقال الملك اثنوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه ، قال انك اليوم لدينا مكين امين (٢)

ان الانسان مادام لم يتكلم لم يعرف مقداره من العلم ومبلغه من الكمالات والفضائل ، واذا تكلم وافتتح لسانه بالتكلم يعرف كمال فضيلته ويبين قدره من المعارف والعلوم اويظهر مقامه من الجهل واللاانسانية اذا كان فاقد الفضائل الملكوتية ، والصفات البشرية فبناء على هذا ، ان اعظم جزء من اجزاء بدن الانسان الذي يعين به قيمة الانسان هو اللسان حين التكلم ، وبه تظهر جواهر الرجال ومقاماتهم .

اذا كان الانسان صاحب مقام وكمال ، فى حين التكلم يبين فضله ، وبقدر فضيلته يصعد الى الدرجات العالية ، وان قصة يوسف عليه السلام شاهد حي لمن يعرف مقامه من الكمالات والآداب خصوصاً اذا كان للانسان قدرة فائقة للتكلم فحينئذ يقدر ان يظهر فضله امام كل شخص في اي مكان ،

(وقال الملك اثنوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين) .

بعد انتهاء التحقيق فى امر النسوة وظهور براءة يوسف من كل سوء ، طلب الملك احضاره اليه من السجن بعد ان وفى له بما اشترط لمجيئه فلما جاء وسمع كلامه فهم من فحوى

---

(١) اداب المتعلمين فى جامع المقدمات ص ١٨٩

(٢) سورة يوسف ى ٥٤

حديثه ، ومع امانته على مال العزيز وعرضه وحسن تصرفه ، ومن سيرته الحسنة في السجن من علمه وفهمه في تأويله للرؤيا ومن حرصه على اظهار شرفه وكرامته في مسئلة النسوة مادل على انه اهل لان يرفع الى اعلى المراتب ويولى اسمى المناصب وذلك هو مافعله الملك لحصافة رأيه وبصره باقدار الرجال ولم يصرفه عن ذلك كونه غريباً او فقيراً ، اوعملوكا كما تشير الى ذلك الايتان :

(وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي) اى وقال الملك احضروه من السجن الى بعد ان وفيت له بما طلب ، اجعله خالصاً لي ومحل ثقتي فلا يشاركه احد في ادارة ملكي ولا تكون وساطة بينه وبيني ، وقد جرت عادة الملوك ان يجعلوا الاشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم ، قال ابن عباس ، ان الرسول اتاه فقال القى عنك ثياب السجن والبس ثياباً جدداً وقم الى الملك فدعا له اهل السجن ودعالهم وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما اتاه رآه غلاماً حدثاً ، فقال ايعلم هذا رؤياي ولم يعلمها السحرة والكهنة واقعده قدامه وقال لاتخف والبسه طوقاً من ذهب وثياب من حرير واعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك وضرب الطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك .

فلما كلمه ، قال ، انك اليوم لدينا مكين امين) اي فأتوه به فلما كلمه وسمع ما اجاب به ، قال له انك لدينا ذو مكانة سامية ، ومنزلة عالية ، وامانة تامة ، فانت غير منازع في تصرفك ، ولا متهم في امانتك .

وفى هذا ايماء الى ان الحوار بين المخاطبين يظهر معارف الانسان واخلاقه وآدابه وجميع شمائله فيقدره من يعرف اقدار الرجال ويزنهم بفضائلهم ومزاياهم .

والظاهر ان الملك كلمه مشافهة بدون ترجمان ، لان يوسف عليه السلام . كان قد عرف اللغة المصرية من العزيز وامرأته بمحادثته اياهما ومع حاشية الوزير من حين قدم مصر ومن محادثته صاحبيه فى السجن .

وقد تكون اللغة التي كان يتكلم بها يوسف لغة جده ابراهيم واولاده وحفدته وكانوا من العرب القحطانيين ثم تفرعت من هذه العربية الاسماعيلية فالمصرية والعبرانية والسريانية وكان ملوك مصر وكبراء حكامها في ذلك العهد من اولئك العرب وهم الذين يسمون بالرعاة (الهكسوس) ويقولون المؤرخون ان ملك مصر في ذلك العهد كان يسمى الوليد الريان (١) .

روى ان الملك قال ليوسف عليه السلام ، مامن شيء الا واحب ان تشركني فيه إلا في أهلي وفي ان لا تأكل معي ، فقال يوسف عليه السلام ، اما ترى اني اكل معك وانا يوسف ابن يعقوب ابن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال (فلما كلمه) وفيه قولان .

احدهما ان المراد فلما كلم الملك يوسف عليه السلام قالوا الان في مجلس الملوك لايحسن لاحد ان يبتديء بالكلام وانما الذي يبتديء به هو الملك .

والثاني ، ان المراد ، فلما كلم يوسف الملك قبل لما صار يوسف الى الملك وكان ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة ، فلما رآه الملك حدثاً شاباً قال للشرابي ، هذا هو الذي علم تأويل رؤياي من ان السحرة والكهنة ماعلموها قال نعم ، فأقبل على يوسف وقال ، اني احب ان اسمع تأويل الرويا منك شفاهاً فأجاب بذلك الجواب وشهد قلبه بصحته ، فعند ذلك قال له (انك اليوم لدينا مكين امين) يقال فلان مكين عند فلان يين المكانة اي المنزلة ، وهي حالة يتمكن بها صاحبها مما يريد ، وقوله (امين) اي قد عرفنا امانتك وبراءتك مما نسب اليه) (٢) .

(وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي) .

---

(١) تفسير المراغي ج ١٣ ص٦

(٢) تفسير مفاتيح الغيب ج ١٨ ص ١٥٩

وقال البحتري :

اما في رسول الله يوسف اسوة لمثلك محبوساً على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة فقاد به الصبر الجميل الى الملك

وراء مضيق الخوف متسع الامن واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيئس فالله ملك يوسفا خزائنه بعد الخروج من السجن

اي قال الملك هذا الرجل الذي يعرف العلم كذا وهو في السجن لايطلقوه ائتوني به حتى اجعله خاصة لنفسي ، ويليق ان اعطيه منصب الوزارة من مملكتي ولايناسبه ان يعيش في السجن ، والأستخلاص استفعال من الخلاص ومن الخلوص أيضاً ، ويحتمل صحة كلا الوجهين .

(فلما كلمه) أي ان الملك امتحنه بالكلام فعرف الملك انه اعلى مما قالوه في حقه كما قال الشاعر :

واستكبر الاخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وان الملك قبل ان يرى يوسف عليه السلام كان يسمع فضائله ، ولايكون ان يصدق بكل مايسمع لان الخبر يحتمل الصدق والكذب ، لكن لما رآه عرفه وعلم مكانته من القدر وكلم معه وسمع منه الكلام ، واستطقه وهو تكلم ، ومن كلامه عرف مبلغ عقله وعلمه ومنتهى معرفته وفضله ، وبهذه المناسبة قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ، المرء مخبوء تحت لسانه (١)،

وايضاً قال عليه السلام ، لسان المرء ترجمان عقله (٢)،

وايضاً منه عليه السلام ، لاتنظر الى من قال والظر الى ماقال (٣)

(١-٣) تفسير ابو الفتوح رازي ج ٦ ص ٤٠٢

وقال الشاعر الفارسي ولله دره :

سخن آراي هرچه بردارد — مايه خويش ان آن پديد آرد
بنمايد بخلق پايه خويش — اگهي شاد دهد زمايه خويش
گرچه مردي بزرگوار بود — در معاني سخن گذار بود
تا نگويد سخن ندانندش — خيره وعمر سال خوانندش
مرد زير زبان بود پنهان — ساير است اين مثل بگرد جهان

وقال الشاعر الآخر في الفارسية ولله دره :

بي كمالهاي انسان از سخن گردد عيان — پسته بي مغز گر لب واكند رسوا شود
اين سخن را گفت آن استاد پير معنوي — هر كه گوشمالي خورد در كار خود استاشود

وقال علي بن هشار ، ونعم ماقاله :

رأيت لسان المرء آية عقله — وعنوانه فالظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه — يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زى الفتى وجماله — فيسقط من عيني ساعة يلحن

فقد جاء في الخبر ، المرء باصغريه ، قلبه ولسانه ، وان تكلم تكلم بلسانه وان قاتل قاتل بجنانه (١) .

جاء في الاثر ، تكلموا تعرفوا فان المر مخبوء تحت لسانه ، وقال الشاعر الفارسي

تامرد سخن نگفته باشد — عيب وهنرش نهفته باشد

ولكن جائت هذه العبارة في نهج البلاغة المرء مخبوء تحت لسانه .

انما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه ، فكأنه قد خبئ تحت لسانه فاذا تحرك اللسان انكشف (٢) .

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب ج١ ص ٢٠١

(٢) شرح نهج البلاغة لابن عبده ج ٣ ص ١٨٩

وقال عليه السلام ، الكلام في وثاقك مالم تتكلم به ، فاذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهنك وورقك ، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة (١)

ولقد جائت هذه العبارة التالية بصورة مختلفة من امير المؤمنين عليه السلام وشرحها جمع من العلماء ومن جملتهم ابن الحديد ، رضوان الله تعالى عليهم ،

قال امير المؤمنين علي عليه السلام . المرء مخبوء تحت لسانه (٢) ،

قال ابن ابي الحديد ، في شرح هذه العبارة ، فأما هذه اللفظة فلا نظير لها في الايجاز والدلالة على المعنى ، وهي من الفاظه المعدودة ،

وقال الشاعر :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أونقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وتكلم عبد الملك بن عمير واعرابي حاضر ، فقيل له كيف ترى هذا ، فقال لو كان كلام يؤتدم به لكان هذا الكلام مما يؤتدم به ،

وتكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك فاسهبوا في القول ، ولم يصنعوا شيئاً ، ثم افرغ المنطق رجل من اخريانهم ، فجعل لايخرج من فن إلا الى احسن منه فقال مسلمة ، ماشبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء الا بسحابة لبدت عجاجة وسمع رجل منشداً ينشد ،

وكان اخلائي يقولون مرحبا فلما رأوني مقتعا مات مرحب

فقال ، اخطأ الشاعر ، أن مرحبا لم يمت وانما قتله علي بن ابيطالب (ع) ،

وقال رجل لاعرابي ، كيف اهلك ، قال ، صلبا ان شاء الله ،

وكان مسلمة بن عبد الملك يعرض الجند فقال لرجل ما اسمك فقال عبد الله

(١) شرح نهج البلاغة لابن عبده ج ٣ ص ٢٤٦
(٢) « « « لابن ابي الحديد ج ١٨ ص ٣٥٤

وخفض، فقال ابن من، فقال، ابن عبد الله وفتح، فأمر بضربه، فجعل يقول، سبحان الله ويضم، فقال مسلمة ويحكم، دعوه فانه مجهول على اللحن والخطأ، لو كان تاركاً للحن في وقت تركه وهو تحت السياط (١).

وصف العلم

قال بعض الحكماء، العلم درك حقايق الاشياء مسموعاً ومعقولاً.

وقال بعض الآخر ان الامور اربعة اقسام، قسم يرضاه العقل دون الشهوة كاره الدنيا، وقسم عكس ذلك كالمعاصي، وقسم يرضاه الشهوة وهو العلم والعقل والجنة، وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار، فمن يرضى بالجهل فقد رضى بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش وكما يموت يبعث (٢).

وقال آخر، الناس عندنا في عرفان المنافع والمضار اربعة اصناف عالم وجاهل، وعاقل واحمق، فاعلم الناس من عرف منافع الدنيا والآخرة ومضارهما، واجهل الناس من جهل منافع الدنيا والآخرة ومضارهما، واحمق الناس من اختار المضار على المنافع بعد معرفته اياها، واعقل الناس من ترك المضار وتمسك بالمنافع بعد معرفته اياها، وقد بينت لك ايها المتعلم من اصول ما ذكرت لك من المنافع والمضار ما ان وعيته وحفظته وفهمته صدك عن الجهل وصيرك الى العلم، وان استعملته ابدلك بظلمة الحمق نور العقل وان استعنت على تأليفي هذا الكتاب بعلم العلماء (٣).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٨ ٣٥٤

(٢) تفسير غرائب القرآن ج ١

(٣) مختصر كتاب العالم والمتعلم ص ٥

ومن المعلوم لدى كل ذي عقل سليم وفكر مستقيم ، ان العلم هو زيادة العقل ونور القلب وعماد الروح وضياء البصر وزينة الانام والنور المتلألئ في جنح الظلام والواسطة المستقلة لاعلاء كلمة الدين واحقاق كيد المفسدين ، وهو الحبيب الوحيد لعمران البلاد وسعادة العباد فعلى العاقل السعي والاجتهاد في تحصيل ما يرقيه الى اوج الكمال فان العلم الذي يكسبه هو الفارق بين الهدى والضلال وهو الذي يرفع الصعلوك الى درجات الملوك (١) .

ولقد انشد احمد بن سعيد لبعض الادباء :

رأيت العلم صاحبه شريف ... وان ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه الى ان ... يعظم قدره القوم الكرام
ويتبعونه في كل امر ... كراع الضأن تتبعه السوام
ويحمل قوله في كل افق ... ومن يك عالماً فهو الامام
فلولا العلم ماسعدت نفوس ... ولاعرف الحلال ولا الحرام
فبالعلم النجاة من المخازي ... وبالجهل المذلة والرغام
هو الهادي الدليل الى المعالي ... ومصباح يضيء به الظلام
كذلك عن الرسول اتى عليه ... من الله التحية والسلام

وفي رواية اخرى :

وان طلابه حق على من ... له عقل وليس به سقام
فاما عالماً يغدو واما ... الى التعليم يخرجك اغتنام
وسائر ذاك من لاخير فيه ... ومن يك عالماً فهو الامام
كذاك عن النبي أتى عليه ... من الله التحية والسلام

(١) تحفة العالم ج ١ ص ٥٨

قال سقراط الحكيم ، من فضيلة العلم انك لاتقدر على ان يخدمك فيه أحد كما تجد من يخدمك فى سايرالاشياء بل تخدمه بنفسك ، ولا يقدر احد على سلبه عنك (١)،

وقال بعضهم ، العلم فى الارض بمنزلة الشمس فى الفلك . لولا الشمس لاظلم الجو ولولا العلم لاظلم أهل الارض (٢) ،

عن النبي ﷺ قال ، العلم خليل المؤمن : والحلم وزيره ، والعقل دليله والعمل قائده (٣) .

قال الشاعر ولله دره ،

لاتدخر غير العلوم فانها نعم الذخائر
فالمرء لوربح الهقاء مع الجهالة كان خاسر

سئل عالم عن عالم : فما افضل الاشياء ، قال طلب العلم من العلماء حين يعرف الطلب فيعمل به ممن أظهر مصباح الهدى في قلبه اخلص النية والعمل لربه وانطق لله بالحكمة (٤) .

انشد عمر بن محمد بن محمدبن عبد الحكم لبعض الحكماء ،

بنور العلم يكشف كل ريب ويبصر وجه مطلبه المريد
فأهل العلم فى رحب وقرب لهم مما اشتهوا ابدا مزيد
اذا عملوا بما علموا فكل له مما ابتغاه ما يريد
فأن سكتوا ففكر فى معاد وان نطقوا فقولهم سديد

(١ – ٢) تحفة العالم ج ١ ص ٥٤

(٣) اثنى عشرية ص ٢٢

(٤) مصباح الانظار ص ٣

سأل ابن المعتز ، العلم جمال لايخفى ونسب لايجفى (١)

قال بزرجمهر الحكيم ، الجهل هو الموت الاكبر ، والعلم هو الحياة الشريفة ، من كثر ادبه شرف وان كان وضيعاً وساد وان كان غريبا ، وارتفع صيته وان كان خاملا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا (٢) .

وفي نهج البلاغة : قال أمير المؤمنين عليه السلام ، لا شرف كالعلم ، ولاعلم كالتفكر .

وقال (ع) في ديوان المنسوب الى حضرته .

الناس موتى واهل العلم احياء ... والناس مرضى وهم فيهم اطباء

والناس ارضى وأهل العلم فوقهم ... سماء نور ومافي النور ظلماء

وزمرة العلم راس الخلق كلهم ... وسائر الناس في التمثيل اعضاء

وقيل بالفارسية في هذا المعنى ولله در القائل :

علمت بكمال معرفت راه دهـــد ... علمت دل پاك وجان آگاه دهد

گر جاه طلب كني ترا جاه دهد ... ور حق طلبي بقـــاء بالله دهد

قال بعض الحكماء ، لاشيء انفع من العلم ولاارفع منه ولا لأحد غنى عنه ، ومن ومن طعم حلاوته وتنعم بآبائه وسحب في اثوابه وشرب صافي اكوابه لم يشتغل بسواه ولم يعدل عن سواه ، ورآه ، انفع شيء ناله في اكتسابه وارفع ثواب اكتسى به (٣) .

روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : نعم وزير الايمان العلم ، ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الرفق الصبر ، (٤) .

قال بديع الزمان الهمداني في وصف العلم ، العلم شيء بعيد لايصاد بالسهام ، ولا يقسم ولا يرى في المنام ، ولايضبط باللجام ، ولايورث عن الاباء والاعمام ، وزرع

(١ ــ ٢) مجاني الادب ج ٢ ص ١٣٢ - ١٣٣

(٣ ــ ٤) تحفة العالم ج ١ ص ٥٤

لايزكو الا متى صادف من الحزم ثرى طيباً من التوفيق مطرا صيبا ومن الطبع جواً صافياً ومن الجهد روحاً دائماً ومن الصبر سقياً نافقاً وغرض لايصاب إلا بافتراش المدر واستناد الحجر ورد الضجر وركوب الخطر وادمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر واعمال الفكر (١) .

ونعم ماقاله مؤيد الدين الاصفهاني المعروف بالطغرائي في اول لاميته المشهورة

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

قال امير المؤمنين « ع » ، ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك (٢) .

قال أمير المؤمنين « ع » ليس لسلطان العلم زوال (٣) .

وقال « ع » أيضاً ، مجلس العلم روضة الجنة (٤) .

وقال امير المؤمنين « ع » العلم أفضل الكنوز واجملها خفيف المحمل عظيم الجدوى في الملاء جمال ، وفي الوحدة انس (٥) .

قال بعض الحكماء ، العلم حياة القلوب ، ومصباح الابصار .

وقال سابق البلوى في قصيدة له :

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلى سواد الظلمة القمر

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ولا البصير كأعمى ماله بصر

قال احمد بن محمد بن يزيد بن مسلم الانصاري ، كنا على باب محمد بن مصعب القرقسائي جماعة من أهل الحديث وفينا رجل عراقي بصير في الشعر ونحن نتمنى ان يخرج الينا فيحدثنا حديثاً واحداً أو حديثين اذ خرج الينا فقال قد خطر على قلبي بيت من

(١ - ٢) تحفة العالم ج ١ ص ٥٥

(٤ - ٥) نثر اللئالي ص ١٦ - ١٧

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ ص ٣٣٩

الشعر ، فمن اخبرني لمن هو حدثته ثلاثة احاديث فقال الفتى العراقي يرحمك الله اي بيت هو فقال الشيخ :

العلم فيه حياة للقلوب كما تحيا البلاد اذا مامسها المطر

فقال الفتى هو لسابق البلوى ، فقال الشيخ صدقت فما بعده فقال :

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلى سواد الظلمة القمر

فقال الشيخ صدقت فحدثه ستة احاديث سمعنا هامعه (١) ،

قال سفين لرجل من العرب ، ويحكم اطلبوا العلم فأني اخاف ان يخرج العلم من عندكم فيصير الى غيركم فتذلون ، اطلبوا العلم فأنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة .

انشد ابوبكر قاسم بن مروان الوارق لنفسه :

مالي بقيت وأهل العلم قد ذهبوا عنا وراحوا الى الرحمن والقلبوا
اصبحت بعدهم شيخا اخا كبر كالهلك تعتادني الاسقام والوصب
صحبتهم وزمام الطرف يجمعنا دهرا دهيراً فزالوا كل من صحبوا

من قصيدة طويلة يذكر قوماً من الفقهاء قرطبة سلفوا ومن شعره ذلك :

والعلم زين وتشريف لصاحبه اتت الينا بذا الانباء والكتب
والعلم يرفع اقواماً بلاحسب فكيف من كان ذا علم له حسب
فاطلب بعلمك وجه الله محتسباً فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

وقال بعضهم الآخر ولعم ماقاله :

واذا طلبت من العلوم اجلها فاجمالها منها قريب الألسن
العلم يرفع كل بيت هين والفقه يجعل بالاديب الدين
والحرب يكرم بالوقار وبالنهي والمرء تحقره اذا لم يزرن

(١) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٥٠

فاذا طلبت من العلوم اجلها فاجلها عند التقي المؤمن
علم الديانه وهو ارفعها لدى كل امرئ مستيقظ متدين
هذا الصحيح ولا مقامة جاهل فاجلها منها مقيم الالسن
ولو كان مهتدياً لقال بادراً فاجلها منها مقيم الاذهن

وقال بعض الادباء ولعم ماقاله .

يعد رفيع القوم من كان عالماً وان لم يكن في قومه بحسيب
وان حل ارضا عاش فيها بعلمه وما عالم في بلدة بغريب

وقال بعض الحكماء ، من اتخذ العلم حلما ما اتخذه الناس امراماً ، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار (١) .

وقال اديب من الادباء ولعم ماقاله :

لايارك الله في قوم اذا سمعوا ذا اللب ينطق بالا مثال والحكم
قالوا وليس بهم الا فاسقه الا قبح ذا من الافلاس والعدم

وقال السنائي الشاعر الافغاني :

علم باشد دليل نعمت وناز خنك آنرا كه علم شد دمساز
روزگارند اهل علم وهنر سينه شان چرخ ولكنه شان اختر
گوش سوى همه سخنها دار آنچه زو به درون جاه بنگار
نيك نادان در اصل نيك منه بد دانا زنيك نادان به
كار بيعلم بار وبر لدهد تخم بي مغز پس ثمر لدهد

وقال شاعر آخر بالفارشية ولعم ماقاله :

ذلت وبيچارگي وسوء حال محنت وبدبختي ورنج وملال

اينهمه دان از عدم علم وبس ليست روا غفلت از آن يكنفس
علم كليدي است صغيرا كزان باز شود قفل مهم جهان

ولابي سليمان جليس ثعلب :

لقد ضلت حلوم من اناس يرون العلم افلاساً وشوما
كسانا علمنا ذخرا وجودا وبالجهل اكتسبوا عجزاً ولوما
هم للثيران ان فكرت فيهم فكيف بان ترى ثورا عليما
فجانبهم ولا تعتب عليهم وكن للكتب دونهم لديما

وقال آخر من الادباء ونعم ماقاله :

العلم بالغ قوماً ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من الخزف
ياصاحب العلم مهلا لاتدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف

وقال شاعر حكيم آخر ولله دره :

لو ان العلم مثل كان نورا يضاهي الشمس او يحكي النهارا
لذاك الجهل اظلم جانباه ونور العلم اشرق واستنارا

قال الشاعر ولله دره :

يطيب العيش اذ تلقى لبيبا غذاه العلم والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل فضل العلم يعرفه الاريب
سقام الحرص ليس له دواء وداء الجهل ليس له طبيب

ويناسب المقام ذكر اشعار فارسية ونعم ماقاله :

وقر وشرف بمرد نه مال است ونه عقار علم است ، مايه شرف وپايه وقار
شاخ امل ، بريشه علم است بارور كاخ عمل ، بپايه علم است استوار
خود جهل ، نزد علم بسان گل است ودر خود علم پيش جهل ، مثال گل است وخار

علم اگر بهار باشد، جهل است چون خزان ور جهل ، لیل باشد، علم است چون نهار
دانش بساط پایه ودلیا بود جدار عالم بسان دائره ، عالم بود مدار
بادانش آورلد همی لعل راز سنگ با دانش آورلد همی لؤلؤ از بحار
آنرا که خود ، زحله دانش بود شعار وآنراکه خود، زخلعت بینش بود دثار
باشد قرین دولت واقبال ، در جهاد گردد لدیم عز وسعادت بروزگار
از دانش است هر که به بدهر است نامدار وز دانش است هر که به بهر است کامگار
نادان بود رهین شقاوت بهر زمان دانا شود قرین شرافت بهر دیار
دانائی است، موجب اقبال وعز وشأن نادانی مورث ادبار ولنگ وعار
بادانش است در آفاق ارجمند بی دانش است درهمه احوال پست وخوار
قدر بلند مردم دانش پژوه را (هل یستوی الذین) دلیل است آشکار
با جهل کی برد بمیدان زندگی خواهی اگر بخنگ سعادت شوی سوار

شرف العالم على العابد

قال الله العزيز الحكيم ، فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين (١) .

العالم اشرف من العابد ، ويتفوق عليه بدرجات عالية وعظيمة بحيث لايمكن للانسان ان يحصيها لان العالم من شأنه هداية الناس وارشادهم إلى السعادة والفضيلة ، ويقودهم نحو الخير والكرامة ، ويفوز هم بالنعمة السرمدية التي لانهاية لها .

والمقصود من ذكر الآية الشريفة ، انها وردت في ذيلها وتفسيرها روايات من طريق الائمة عليهم السلام تدل على شرف العالم وفضله على العابد الذي ليس له علم ومعرفة بالدين ومعالمه ، وقبل ذكر الروايات لنقل قول بعض المفسرين .

فلولا كانت قرية آمنت ايمانها أي فهل كان أهل قرية من قرى اقـوام اولئك الرسل آمنوا بعد دعوتهم واقامه الحجة عليهم فنفعهم ايمانهم قبل وقوع العذاب الذي انذروا به .

وخلاصة ذلك ، انه لم يؤمن قوم منهم بحيث لم يشذ منهم أحد ،

الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ، يونس عليه السلام ، بعث في أهل نينوى بأرض الموصل ، وكانو اهل كفر وشرك فدعاهم الى الايمان بالله وحده وترك مايعبدون من الاصنام فأبوا عليه وكذبوه (٢) .

---

(١) سورة يونس ى ٩٨

(٢) تفسير المراغي ج ١١ ص ١٧٥

فاخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلثين أو إلى اربعين ان لم يتوبوا فقالوا ، انا نجرب عليه فان بات فيكم ليلة العذاب فليس بشيء فان لم يبث فيكم فاعلموا ان العذاب مصبحكم .

فلما كان في جوف الليل خرج يونس عليه السلام ، بين أظهرهم فلما أصبحوا أغامت السماء غيماً اسوداً هائلا يدخن دخاناً شديداً فهبط حتى غشي مدينتهم وأسودت سطوحهم قال ابن عباس ، وكان العذاب فوق رؤوسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك طلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم والبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة واخلصوا النيه وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتها واختلطت اصواتها بأصواتهم ، وتضرعوا إلى الله تعالى ، وقالوا : آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم (١) .

قال عبد الله بن مسعود ، بلغ من قومه أهل نينوى ان يردو المظالم بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه ويرده (٢) .

وروي عن ابن مخلد انه لما غشيهم العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا لقد نزل العذاب بنا فما ترى ، قال ، قولوا ، يا حي ياقيوم ، ياحي حين لا حي ، ويا حي يا محيي الموتى ، وياحي لا إله إلا أنت ، فقالوا ، فكشف الله العذاب عنهم(٣)

في الحديث ، بحذف الاسانيد ، عن ابيعبدالله قال ، كان فيهم رجل اسمه مليخا عابد وآخر اسمه روبيل عالم وكان العابد يشير إلى يونس بالدعاء عليهم والعالم ينهاه عن الدعاء عليهم ويقول : ان الله تعالى يستجيب دعائك فلا تدع عليهم والله لا يحب اهلاك عباده ، فقبل يونس عليه السلام قول العابد فدعا عليهم فاوحى الله تعالى اليه انه يأتيهم

(١-٢-٣) تفسير مقتنيات الدرر ج ٥ ص ٢٨٤

العذاب في شهر كذا وفي يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس مع العابد وبقي العالم فيهم ، فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم ، افزعوا فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم فاخرجوا الى المفازة وفرقوا بين النساء والأولاد وبين سائر الحيوانات واولادها وتضرعوا الى الله وابكوا ، ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد قرب منهم(١) ،

للعياش عن ابي عبيدة الحذاء (الخزاعي خ) عن ابي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول وجدنا في بعض كتب امير المؤمنين عليه السلام قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله ، ان جبرئيل حدثه ان يونس بن متى عليه السلام بعثه الله الى قومه وهو ابن ثلثين سنة وكان رجلا يعتريه الحدة وكان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم عاجزاً عما حمل من ثقل حمل اوقار النبوة واعلامها وانه يفسح عنها كما يفسح (ينفسخ خ) الجذع تحت حمله واله قائم فيهم يدعوهم الى الايمان بالله والتصديق به والباعه ثلثا وثلثين سنة فلم يؤمن به ولم يتبعه من قومه إلا رجلان اسم احدهما روبيل واسم الآخر تنوخاً ، وكان روبيل من من أهل بيت العلم والنبوة والحكمة وكان قديم الصحبة ليونس بن متى عليه السلام من قبل ان يبعثه الله بالنبوة ، وكان تنوخاً رجلا مستضعفاً عابدا زاهدا منهمكاً في العبادة وليس له علم ولا حكم وكان روبيل صاحب غنم يرعاها ويقوت منها وكان لتنوخا رجلا حطابا يحتطب على رأسه ويأكل من كسبه ، وكان لروبيل منزلة من يونس غير منزلة تنوخا لعلم روبيل وحكمته وقديم صحبته فلما رأى يونس عليه السلام ان قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون ضجر وعرف من نفسه قلة الصبر فشكى ذلك الى ربه وكان فيما شكى ان قال يارب انك بعثتني الى قومي ولي ثلثون سنة فلبثت فيهم ادعوهم الى الايمان بك والتصديق برسالاتي واخوفهم عذابك ونقمتك ثلثا وثلثين سنة فكذبوني ولم يؤمنوا بي وجحدوا نبوتي واستخفوا برسالاتي وقد تواعدوني وخفت ان يقتلوني فانزل عليهم عذابك فانهم قوم

(١) تفسير مقتنيات الدرر ج ٥ ص ٢٨٤ .

لايؤمنون قال : فاوحى الله الى يونس عليه السلام ان فيهم الحمل والجنين والطفل والشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والمتضعف المهين وانا الحاكم العدل سبقت رحمتي غضبي لا اعذب الصغار بذنوب الكبار من قومك وهم يا يونس عبادي وخلقي وبريتي في بلادي وعيلتي ، احب ان اتاناهم (اتأناهم خ) وارفق بهم وانتظر توبتهم وانما بعثتك الى قومك لتكون حيطاً عليهم تعطف عليهم لسخاء الرحمة الماسة (الماشية خ) منهم وتأناهم برأفة النبوة فاصبر معهم باحمال الرسالة وتكون لهم كهيئة الطبيب المداوي العالم بمداواة الدواء فخرقت بهم ولم تستعمل قلوبهم بالرفق ولم تسسهم بسياسة المرسلين ثم سألتني عن سوء نظرك وفي نسخة مع سوء نظرك العذاب لهم عند قلة الصبر منك وعبدي نوح عليه السلام كان اصبر منك على قومه واحسن صحبة واشد تأنيا في الصبر عندي وابلغ في العذر فغضبت له حين غضب لي واجبته حين دعاني فقال يونس يارب انما غضبت عليهم فيك وانما دعوت عليهم حين عصوك فدعوتك ، وفي نسخة فوعدتك لاتعطف عليهم برأفة أبدا ولا انظر اليهم بنصيحة شفيق بعد كفرهم وتكذيبهم اياي وجحدهم نبوتي فانزل عليهم عذابك فانهم لايؤمنون ابداً فقال الله يايونس انهم مأة الف او يزيدون من خلقي يعمرون بلادي ويلدون عبادي ومحبتي ان اتاناهم للذي سبق من علمي فيهم وفيك وتقديري وتدبيري غير علمك وتقديرك وانت المرسل وانا الرب الحكيم وعلمي فيهم يا يونس باطن في الغيب عندي لاعلم مامنتهاه وعلمك فيهم ظاهر لاباطن له يايونس عليه السلام قد اجبتك الى ما سئلت من انزال العذاب عليهم وماذلك يا يونس بأوفر سخطك عندي ولا احمد لشأنك وسيأتيهم عذاب في شوال يوم الاربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس فاعلمهم ذلك .

قال فسر ذلك يونس عليه السلام ولم يسؤه ولم يدر ماعاقبته فانطلق يونس عليه السلام الى نينوخا العابد فاخبره بما اوحى الله تعالى اليه من نزول العذاب على القوم في ذلك اليوم ،

وقال له انطلق حتى اعلمهم بما اوحى الله تعالى الى من نزول العذاب فقال تنوخا فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم حتى يعذبهم الله فقال له يونس عليه السلام ، بل ائتي روبيل وشاوره فانه رجل عالم حكيم من أهل بيت النبوة فانطلقا الى روبيل فاخبر يونس «ع» بما اوحى الله اليه من نزول العذاب على قومه في شوال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس فقال له ماترى انطلقوا بنا حتى اعلمهم ذلك فقال له روبيل ارجع الى ربك رجعة نبي حكيم ورسول كريم واسئله ان يصرف عنهم العذاب فانه غني عن عذابهم وهو يحب الرفق بعباده وماذلك باضر لك عنده ولا اسوء لمنزلتك لديه ولعل قومك بعد ماسمعت ورأيت من كفر وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأناهم فقال له تنوخا ويحك يا روبيل على ماأشرت على يونس وامرته بعد كفرهم بالله وجحدهم للنبيه وتكذيبهم اياه واخراجهم إياهم من مساكنه وماهموا به من رجمه (رحمتخ) فقال روبيل لتنوخا اسكت فانك رجل عابد لا علم لك ثم اقبل على يونس فقال ارأيت يايونس اذا انزل الله العذاب على قومك اينزله فيهلكهم جميعاً او يهلك بعضاً ويبقى بعضاً ، فقال له يونس بل يهلكهم الله جميعاً وكذلك سألته مادخلتني لهم رحمة تعطف ، قال فأرجع الله فيهم واسئله ان يصرف عنهم ، فقال له روبيل اتدري يا يونس لعل الله إذا انزل عليهم العذاب فاحسوا به ان يتوبوا اليه ويستغفروه فيرحمهم فانه ارحم الراحمين ، ويكشف عنهم العذاب من بعد ما اخبرتهم عن الله إنه ينزل عليهم العذاب يوم الاربعاء فتكون بذلك عندهم كذابا فقال له تنوخا ويحك ياروبيل لقد قلت عظيما يخرك النبي المرسل ، ان الله اوحى اليه بان العذاب ينزل عليهم فترد قول الله تعالى وتشك فيه وفي قول رسول الله اذهب فقد حبط عملك فقال روبيل لتنوخا لقد فشل رأيك ثم اقبل على يونس «ع» ، فقال انزل الوحي والامر من الله فيهم على ما انزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم وقوله الحق ارأيت إذا كان ذلك فهلك قومك كلهم وخربت قريتهم ليس يمحوا الله

اسمك من النبوة وتبطل رسالتك وتكون كبعض ضعفاء الناس ويهلك على يديك مائة الف او يزيدون من الناس فابي يونس «ع» ان يقبل وصيته فانطلق ومعه نوخا من القرية وتنحيا عنهم غير بعيد إلى قومه فاخبرهم ان الله أوحى اليه اني منزل عليكم العذاب يوم الاربعاء في شوال في وسط الشهر بعد طلوع الشمس فردوا عليه قوله فكذبوه واخرجوه من قريتهم اخراجاً عنيفاً فخرج يونس «ع» ومعه نوخا من القرية وتنحيا عنهم غير بعيد واقاما ينتظران (إلى خ) العذاب ، واقام روبيل مع قومه في قريتهم حتى إذا دخل عليهم شوال صرخ روبيل باعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم انا روبيل شفيق عليكم رحيم بكم لها إلى انه قد الكرتم عذاب الله تعالى .

هذا شوال قد دخل عليكم وقد اخبركم يونس نبيكم رسول ربكم ان الله اوحى اليه ان العذاب ينزل عليكم في شوال في وسط الشهر يوم الاربعاء بعد طلوع الشمس ولم يخلف الله وعده رسله فانظروا ماانتم صانعون فانزعهم كلامه ووقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب فاقبلوا نحو روبيل وقالوا له ماذا انت مشير به علينا يا روبيل فانك رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرأفة علينا والرحمة لنا وقد بلغنا ما اشرت به على يونس «ع» فينا فرنا بامرك واشر علينا برايك فقال لهم روبيل أرى لكم واشير عليكم ان تنظروا وتعمدوا اذا طلع الفجر يوم الاربعاء في وسط الشهر ان تعزلوا الاطفال عن الامهات في اسفل الجبل في طريق الأودية وتقفوا النساء في سفح الجبل وكل المواشي جميعاً عن اطفالها ويكون هذا كله قبل طلوع الشمس فعجوا عجيجا الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله والتوبة اليه والاستغفار له وأرفعوا رؤسكم الى السماء وقولوا ربنا ظلمنا انفسنا وكذبنا نبيك وتبنا اليك من ذلوبنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين المعذبين فاقبل توبتنا وارحمنا يارحم الراحمين .

ثم لا تملوا من البكاء والصراخ والتضرع الى الله تعالى والتوبة اليه حتى توارى

الشمس بالحجاب ويكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك قال: قال فأجمع رأي القوم جميعاً على ان يفعلوا ما اشار به عليهم روبيل ،

فلما كان يوم الاربعاء الذي توقعوا فيه العذاب تنحى روبيل عن القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذ انزل فلما طلع الفجر يوم الاربعاء فعل قوم يونس (ع) ما امرهم روبيل به .

فلما بزغت الشمس اقبلت ريح صفراء مظلمة ممرعة لها صرير وحفيف وهدير (وهار خ) فلما رأوها عجوا جميعاً بالصراخ والبكاء والتضرع الى الله وتابوا اليه واستغفروه وصرخت الأطفال باصواتها تطلب امهاتها وعجت سخال البهائم تطلب الثدى وسغب الانعام لطلب الرعى فلم يزالوا بذلك ويونس ولنوخا يسمعان ضجيجهم (ضجيجهم خ) وصراخهم ويدعون الله عليهم بتغليظ العذاب عليهم وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم .

فلما ان زالت الشمس وفتحت ابواب السماء وسكن غضب الرب تعالى رحمهم الرحمن فاستجاب دعائهم وقبل توبتهم واقالهم عثرتهم واوحى الله إلى اسرافيل ان اهبط إلى قوم يونس (ع) فانهم قد عجوا الى بالبكاء والتضرع وتابوا الى واستغفروني فرحمتهم وتبت عليهم وأنا التواب الرحيم : اسرع الى قبول توبة عبدى التائب من الذنب (الذنوب خ) وقد كان عبدي يونس (ع) ورسولي سئلني نزول العذاب على قومه وقد انزلته عليهم وأنا ان احق من وفى بعهده وقد انزلته عليهم ولم يكن اشترط يونس حين سئلني أن انزل عليهم العذاب ان اهلكهم فاهبط اليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي فقال اسرافيل يارب ان عذابك قد بلغ اكنافهم وكاد ان يهلكهم وما اراه إلا وقد نزل بساحتهم قال ايها اصرف ، فقال الله كلا انى قد امرت ملائكتي ان يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتى يأتيهم امري فيهم وعزيمتي فاهبط يا اسرافيل

عليهم واصرف عنهم واضربه (واصرف به خ) الى الجبال بناحية مفاض العيون ومجاري السيول في الجبال العاتية (العادية خ) المستطيلة على الجبال فاذلها به ولينها حتى تصير ملتئمة حديدا جامداً فهبط اسرافيل عليهم فنشر اجنحته ، فاسقاق بها ذلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال التي اوحى الله اليه ان يصرفه اليها ،

قال ابو خعفر « ع » وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم فصارت حديداً إلى يوم القيامة ، فلما رأي قوم يونس « ع » ان العذاب صرف عنهم هبطوا إلى منازلهم من رؤس الجبال وضموا اليهم نسائهم وأولادهم واموالهم وحمدوا الله على ماصرف عنهم واصبح يونس وتنوخا يوم الخميس في موضعهما التي كانا فيه لايشكان ان العذاب قد نزل بهم واهلكهم جميعاً لما خفيت اصواتهم عنهما فاقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشمس ينظر ان ماصار اليه القوم فلما دنوا من القوم واستقبلتهم الخطـــابوة والحمارة والرعاة باغنامهم ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين قال يونس « ع » لتنوخـــا يا تنوخا كذبني في الوحي وكذبت وعدي لقومي لاوعزة ربي لايرون لي وجهي ابداً بعد ماكذبني الوحي فانطلق يونس « ع » هارباً على وجهه مغاضباً لربه ناحية بحرايلة منكرا فراراً من ان يراه أحد من قومه فيقول له يا كذاب فذلك قال الله ، وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه الآية ،

فرجع تنوخا إلى القرية فلقى روبيل فقال له يا تنوخا أي الرأيين كـــان اصوب والحق ان يتبع رأيي او رأيك ، فقال له تنوخا بل رايك كان اصوب ولقد كنت اشرت برأي الحكماء والعلماء ، وقال له تنوخا اما انى لم ازل ارى انى أفضل منك ، لزهدى وفضل عبادتى حتى استبان فضلك لفضل علمك وما اعطاك الله ربك من الحكمة مع ان التقوى افضل من الزهد والعبادة بلا علم فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما ومضى يونس « ع » على وجهه مغاضباً لربه فكان من قصته ما أخبر الله تعالى به في كتابه الى قوله فآمنوا

فمتعناهم الى حين . قال ابوعبيدة قلت لابيجعفر عليه السلام كم كان غاب يونس عليه السلام عن قومه حتى رجع اليهم بالنبوة والرسالة فآمنوا به وصدقوه ، قال اربعة اسابيع سبعاً منها في ذهابه الى البحر وسبعاً منها فى رجوعه الى قومه فقلت له وماهذه الاسابيع شهوراً وايام اوساعات فقال : يا اباعبيدة ان العذاب اتاهم يوم الاربعاء في النصف من شوال وصرف عنهم من يومهم ذلك فانطلق يونس مغاضباً فمضى يوم الخميس سبعة ايام في مسيره إلى البحر وسبعة ايام فى بطن الحوت وسبعة ايام تحت الشجرة بالعراء وسبعة ايام في رجوعه الى قومه فكان ذهابه ورجوعه مسيرثمانية وعشرين يوماً ثم اتاهم فآمنوا به وصدقوه والوعود فلذلك قال الله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس « ع » لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى (١)

عن الثمالي ، عن ابى جعفر « ع » قال ان يونس « ع » لما اذاه قومه دعا الله عليهم فاصبحوا أول يوم وجوههم صفر ، واصبحوا اليوم الثانى وجوههم سود ، قال وكان الله واعدهم ان يأتيهم العذاب فأتاهم العذاب حتى نالوهم برماحهم ، ففرقوا بين النساء واولادهن والبقر واولادها ولبسوا المسوح والصوف ووضعوا الجبال فى اعناقهم والرماد على رؤسهم وصاحوا صيحة واحدة الى ربهم وقالوا آمنا باله يونس قال فصرف الله عنهم العذاب الى جبال امد قال واصبح يونس وهو يظن انهم هلكوا فوجدهم فى عافية فغضب وخرج كما قال الله مغاضباً حتى ركب سفينة فبها رجلان فاضطربت السفينة فقال الملاح ياقوم فى سفينتي مطلوب فقال يونس « ع » انا هو وقام ليلقي نفسه فابصر السمكة وقد فتحت فاها فهابها وتعلق به الرجلان وقالا له انت وحدك (ويحك ح) ونحن رجلان لنساهم فتساهموا (فساهمهم خ) فوقعت السهام عليه فجرت السنة بان السهام اذا كانت ثلاث مرات انها لاتخطى فالقى نفسه فالتقمه الحوت فطاف به البحار السبعة حتى صار الى البحر المسجور وبه يعذب قارون فسمع قارون صوتاً فسئل الملك

(١) تفسير البرهان ج ٢ ص ٢٠٢

عه قال هذا يونس (ع) قد حبسه في بطن الحوت فقال له قارون ، ائذن لي ان اكلمه فأذن له ، فقال يايونس فما فعل الشديد الغضب لله موسى بن عمران فاخبره انه مات قال فما فعل الرؤوف العطوف على قومه هرون بن عمران ، فاخبره انه مات فبكى وجزع جزعاً شديداً وسئله عن اخته كلثم وكالت سميت له فاخبره انها ماتت ، فقال واأسفاه على آل عمران ، فأوحى الله تعالى الى الملك الموكل به بان ارفع عنه العذاب بقية الدنيا لرقته على قومه (قرابه خ) (١) ؛

(١) تفسير البرهان ج ٢ ص ٢٠٣

العالم والعابد والفرق بينهما

قال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد بسبعين درجة ، بين كل درجة حدو الفرس سبعين عاماً ، وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها ، والعابد يقبل على عبادته لايتوجه ولايتعرف لها (١) .

وقد سبق البحث في هذا الموضوع ، اي فضل العالم على العابد ولكنا نتعرض أيضاً بحثاً آخر في هذا العنوان لايضاح المطلب ، ومن البديهي ان كلية العبادات كالصلاة ، والصوم ، والزكاة وغيرها من باقي الواجبات التي يجب على الانسان ان يعمل بها تحتاج إلى المعرفة والعلم ، وان الشخص الذي ليس له علم ولا معرفة بما يصدر منه من الاعمال فلاقيمة له ولا لعمله فكذلك العابد فانه لايعرف كيفية العبادات والاحكام كما حقها بخلاف العالم فان بينه وبين العابد فروق كثيرة .

منها ان العالم يعرف كيفية وصوله الى السعادة الأبدية ، والعابد لايعرفها والعالم يمكنه ان يرشد الناس الى الحق وينجيهم من الضلالة والبدع التي يضعها الشيطان بين الخلق لاضلالهم من الحق الى الباطل والعابد لايمكنه ان يقوم بمثل هذه الواجبات .

فخلاصة الكلام ، ان العالم هو منبع العلوم الربانية ومعدن المعارف السبحانية ومعلم طريق الصواب من الخطأ ، والاكسير الوحيد لأزالة الأوهام والكفر والزلدقة من بين

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب ٢ ج ص ١٨٠

ابناء البشر ، وان الاخبار الواردة في هذا الموضوع لكثيرة ، وفي التاريخ أيضاً ثبت افضلية العالم على العابد نذكر قصصاً وجملا منها ،

روي عن ابن عباس رضوان الله تعالى عليه ، انه قال : ان الشياطين قالوا لابليس ياسيدنا مالنا نراك تفرح بموت العالم مالاتفرح بموت العابد ، فقال انطلقوا: فانطلقوا إلى عابد قائم يصلي ، فقالوا له انا نريد ان نسالك فانصرف ، فقال له ابليس هل يقدر ربك ان يجعل الدنيا في جوف بيضة ، فقال لا فقال اترونه كفر في ساعة ، ثم جاء الى عالم في حلقة يضاحك اصحابه ويحدثهم فقال انا نريد ان نسألك ، فقال سل فقال هل يقدر ربك ان يجعل الدنيا في جوف بيضة قال نعم ، قال وكيف ، قال يقول لذلك ، اذا أراده كن فيكون ، قال ابليس اترون ذاك لايعدو نفسه وهذا يفسد على عالماً كثيراً (١) ،

قال عبد الله بن وهب ، وكان أول امرى في العبادة قبل طلب العلم ، فوقع مني الشيطان في ذكر عيسى ابن مريم (ع) كيف خلقه الله تعالى ونحو هذا فشكوت ذلك الى شيخ فقال لي ايني قلت نعم ، قال اطلب العلم ، فكان سبب طلبي للعلم (٢).

وذكر عند النبي ﷺ رجلان من بني اسرائيل ، كان احدهما يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير ، وكان الآخر يصوم النهار ويقوم الليل ، فقال النبي ﷺ فضل الأول على الثاني كفضلي على ادناكم (٣) ،

عن ابي عبد الله (ع) قال : اذا كان يوم القيامة بعث الله عز وجل العالم والعابد

(١ - ٢) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٢٩

(٣) الواعظ ج ٥ ص ٢٦٤

فاذا اوقفا بين يدي الله تعالى ، قيل للعابد انطلق الى الجنة وقيل للعالم قف فشفع للناس بحسن تأديبك لهم » (١) .

قال الشاعر ولله دره :

عالم عامل زعابـــد افضلست اوست عاقل لبك عالم اعقلست
پستي عباد أز اهـــل علوم فهم كن از ثبت شمس ونجوم

قال النبي ﷺ ، ان فضل العالم على العابد كفضل الشمس على الكواكب وفضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب (٢) »

وقال ايضاً ﷺ فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم (٣) ،

وقال ابو عبدالله «ع» اذا مر العالم على الصراط نودي من قعر جهنم منادي اغثني فيشفع له عند الله ، فيقول الله ارم طرف ردائك في جهنم فاخرجه فيرميه في جهنم فيتشبث بكل سلك منه سبعون من أهل العذاب فيخرجهم ثم ينادي آخر فيقول للعالم من انت فيقول أنا الذي كنت معك في سفر كذا فيخرجه كما مر ، ثم يناديه آخر وآخر بعد آخر هكذا حتى يخرج خلقاً كثيراً ثم يناديه رجل فيقول للعالم ، من انت ، فيقول انا الذي لم ارك في دار الدنيا ولم يصدر عني اليك خدمة لكني سمعت اسمك وأجبتك غياثاً فيخرجه العالم وينجيه (٤) »

عن الامام العسكري « ع » قال : قال موسى بن جعفر « ع » فقيه واحد ينقذ يتيما من ايتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج اليه اشد على ابليس من الف

---

(١) لآلي الأخبار ج ٢ ص ٢٥٩

(٢ - ٣) لآلي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٣

(٤) لآلي الاخبار ج ٢ ص ٢٥٩

عابد ، لان العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وامائه لينقذهم من يد ابليس ومردته فلذلك هو أفضل عند الله من الف عابد والف الف عابدة ، (١) .

ونعم ماقاله الشاعر الفارسي الشيخ سعدي الشيرازي ولله دره :

صاحب دلي بمدرسه آمدز خانقاه ... بشكست عهد صحبت اهل طريق را

گفتم ميان عالم وعابد چه فرق بود ... تا اختيار كردي از آن اين فريق را

گفت آن گليم خويش همي برد ز موج ... واين سعي ميكند كه بگيرد غريق را

وعنه « ع » قال علي بن موسى الرضا « ع » يقال للعابد يوم القيامة نعم الرجل كنت همك ذات نفسك وكفيت مؤنتك فادخل الجنة ، إلا ان الفقيه من افاض على الناس خيره ، وانقذهم من اعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله تعالى وحصل لهم رضوان الله تعالى .

ويقال للفقيه ، يا ايها الكافل لايتام آل محمد الهادى لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من اخذ عنك او تعلم منك ، فيقف فيدخل الجنة معه فئاما وفئاما ، حتى قال عشراً وهم الذين اخذوا عنه علومه واخذوا عمن اخذ عنه الى يوم القيامة ، ، فانظروا كم صرف مابين المنزلتين (٢) .

روي عن الصادق « ع » انه قال : الى عالم عابدا ، فقال له كيف صلاتك فقال مثلي يسئل عن صلاته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا ، فقال كيف بكائك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال له العالم ، فان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٩

(٢) الاحتجاج ج ١ ص ٩

مدل ، ان المدل لايصعد من عمله شيء (١) .

وقال الشاعر الفارسي ونعم ماقال :

گنهكار انديشه ناك از خداي — بسي بهتر از عابد خود نماي

كه آنرا جگر خون شد از سوز درد — كه اين لكيه بر طاعت خويش كرد

ندانست در بارگاه غني — سر افكندگي به ز كبر ومني

بر اين استان عجز ومسكينيت — به از طاعت وخويشتن بينيت

وجاء ايضاً ، ان اخوين كانا فيما مضى من الزمان احدهما عالم مقتصد فى علمه والآخر متزهد جاهل ، فكانت بينهما مناقشات فيما هما فيه فخرج المتزهد وفارق اخاه مدة من الزمان ، فلما رجع إلى اخيه وقد شد احدى عينيه ، فقال له اخوه العالم ، يا اخي ما اصابك عينك ، قال : ما اصابها الا خير ، إلا الي شددتها لأرى الدنيا بنصف العين لا ستحق الثواب عليه ، فقال له اخوه ، يا اخي اخطأت لأنه لو كان الامر على ما ظننت لما خلق الله تعالى ، لنا عينين ، ولكن اخبرني عن وضوئك للصلاة ، اتحل هذا من عينك أم لا ، قال له بل امسح يدي على الخرقة ، قال : منذ كم قال منذ اربعين سنة أو اقل او اكثر ، قال : اعد صلاتك التي صليتها بتلك الطهارة فهي غير مقبولة ولا واقعة موقعها (٢) .

---

(١) مقالات احمدية ص ٢١٢

(٢) لآلي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٦

قصص من العباد

قال رسول الله ﷺ ، فضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب (١) .

ولقد شبه النبي ﷺ في كلامه ، العابد بالقمر والباقي من افراد الانسان بالنجوم من حيث الفضيلة والمقام ، وانه تشبيه جيد وانما العابد في الحقيقية كالقمر بين عباد الله تعالى ، وكما ان القمر لها تفوق على النجوم السماوية من ناحية الأنارة وغيرها ، فكذلك العابد ، له فضيلة وتفوق على باقي افراد الانسان من جهة عبادته وذكره الله تعالى والانسان العابد الزاهد يكون أفضل من غيره الذى لايكون كذلك وهذه فضيلة جليلة مختصة بالعابد ولانصيب لاحد من غيره ونذكر هنا قصصاً منهم مع درر كلماتهم ،

جاء انه كان في بني اسرائيل رجل زاهد عابد ، قد عبد الله تعالى مأة وثلاثين سنة لم يعصي الله طرفة عين ، فبلغ خبر عبادته الى الملائكة ، فأستأذن ملك من الملائكة ربه عز وجل في زيارته ، فأذن الله تعالى له ، فلما صار بين يديه اقام ستة ايام فلم يكلمه العابد ولم يلتفت اليه ، فقال الملك ماتسئلني من أنا ، فقال ، فضل الكلام وبال به فقال الملك يا اخي انى ملك من الملائكة اشفقت اليك والى زيارتك فصرت بين يديك ، عظني واوصني فقال العابد :

اوصيك بعشرة اشياء فأفهمها ، كن عالماً جاهلا ، محباً مبغضاً ، راغباً زاهداً ، سخياً بخيلا ، شجاعاً عاجزاً ، قال الملك وماذاك ، قال العابد :

كن عالماً بالله جاهلا بغيره ، محباً لاوليائه مبغضاً لاعدائه ، زاهداً في الدنيا راغباً في

---

(١) لالى الاخبار ج ٢ ص ٢٦٢

الآخرة ، سخياً بالدنيا بخيلا بالدين ، شجاعاً في طاعة الله عاجزا عن معصيته ، قم حفظك الله تعالى ، اشغلتني عن عبادة ربي (١)

وجاء ايضاً كان سالم بن عبد الله بن عمر زاهداً ورعاً ، دخل هشام بن عبد الملك الكعبة ايام خلافته فرأى سالماً فقال سلني ياسالم حاجة ، فقال انى استحي من الله ان اسأل في بيته غيره ، فلما خرج سالم خرج هشام في اثره وقال له اسألني الآن حاجة قال امن حوائج الدنيا ام من حوائج الآخرة ، فقال من حوائج الدنيا ، فقال ما سألت من يملكها فكيف اسأل من لايملكها (٢) ،

قال مالك بن دينار رأيت في الجبال شاباً اصفر اللون ناحل الجسم ومرتعش الاعضاء لايستقر على وجه الارض كان وخز الاسنة ودموعه تجري على خديه فقلت له من أنت فقال عبد آبق من مولاه فقلت تعد وتعتذر فقال العذر تحتاج إلى حجة ولا حجة لي فكيف اعتذر فقلت تتعلق بشفيع قال كل الشفعاء يخافونه قلت تخدم مولا غيره قال هيهات لايوجد مولا غيره لانه خالق السموات والأرض ، فقلت يا غلام الامر اسهل مما نظن فقال هذا حديث المغرورين هيه تجاوز وعفي فابن الاخلاص والصفاء(٣)

وجاء ايضاً ، ان عابداً اعتزل الناس واتخذ الجبال مسكناً للطاعة ، عابدا ربه ، قائماً ليله صائماً نهاره ، في سنين متكاثرة ، ثم رجع الى البلد لصلة الارحام ، فبلغ مزرعة واجتنى منها سنبلة وأكل منها صبح حبوب حنطة غفلة ، ثم التفت اليه من غير اذن صاحبها فندم واستغفر واستدعى من الله تعالى ان يجعل عقابه في الدنيا فسخ ثوراً في الحال فحضر صاحب المزرعة فتملكه ، واثار به الأرض وسقى الحرث سبع سنين ، ثم مات واكل لحمه السباع والكلاب ، وبقى عظمه مشرحاً ثم جاء سارق فرأى صبرة حنطة ،

(١) موعظة السالكين ج ١ ص ١٤ - ١٥

(٢-٣) برهان دانش ص ٤٠ - ٤١

فاراد ان يسرق منها فتكلم عظم رأس الثور بقدرة الله تعالى ، وقال ايها السارق اني اكلت سبع حبوب من هذه فابتليت بهذه البلية وانت تريد ان تسرقها (١) .

وجاء أيضاً ان عيسى «ع» كان في سياحته ، فنظر إلى جبل عال ، فقصده فاذا بصخرة في ذروته اشد بياضاً من اللبن ، فصار يمشي حولها ويتعجب من حسنها ، فاوحى الله تعالى اليه ، ياعيسى اتحب ان ابين لك اعجب ماترى قال ، نعم يارب ، فانفلقت الصخرة عن شيخ عليه مدرعة من الشعر وبيده عكاز اخضر ، وبين عينيه عنب وهو قائم يصلي ، فتعجب عيسى «ع» من ذلك فقال : يا شيخ ، ماهذا الذي ارى فقال هذا رزقي في كل يوم ، فقال له ، كم تعبد الله في هذا الحجر ، فقال اربع مأة سنة ، فقال عيسى «ع» الهي وسيدي ما أقول انك خلقت خلقاً أفضل من هذا فأوحى الله تعالى اليه ، ان رجلا من امة محمد ﷺ ادرك شهر شعبان وصلى ليلة النصف منه أفضل عندي من عبادة هذه الاربعمأة سنة فقال عيسى «ع» ، ياليتني كنت من امة محمد ﷺ (٢).

وروي أيضاً انه كان في بني إسرائيل امرأة بغية وكانت مفتنة بجمالها وكان باب دارها ابداً مفتوحاً وهي قاعدة في دارها على السرير بحذاء الباب وكل من نظر اليها افتتن بها فأن أراد الدخول عليها احتاج الى احضار عشرة دنانير حتى تأذن له بالدخول فمر ببابها عابد فوقع بصره عليها فافتتن بها ولم يملك نفسه حتى باع مماشاله واتى اليها بالدنانير فأخذتها وجلس معها على السرير فلما مد يده اليها وقع في قلبه ان الله تعالى يراني على على هذه الحالة فوق عرشه وانا في الحرام وقد حبط عملي كله فتغير لونه فنظرت اليه فقالت له أي شيء اصابك قال الي اخاف الله تعالى فأذني بالخروج فقالت ويحك اله كثيراً من الناس يتمنون الذي وجدته فقال لها انى اخاف الله والمال لك ، فأذني لي بالخروج فخرج من عندها وهو يدعوا ياويل والثبور ويبكي على نفسه فوقع الخوف في قلب المرأة

(١) موعظة السالكين ج ١ ص ١٠٢

(٢) الدين في قصص ج ١ ص ٣٦

فقالت ان هذا الرجل اول ذنب اذنبه وقد دخل عليه من الخوف ما دخل وانى اذابت منذ كذا وكذا سنة وان ربه الذي يخاف منه هو ربي وخوفي منه ينبغي ان يكون اشد فتابت الى الله تعالى ، واغلقت بابها وليست ثيابا خلقة واقبلت على العبادة ، فقالت فى نفسها انى لو انتهيت الى ذلك الرجل فعله يتزوجني فأكون عنده فأتعلم منه امور ديني ويكون عوناً لي على عبادة الله تعالى ، فتجهزت وحملت امولها وخدمها فانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه فأخبر للعابد بأنه قد قدمت امرأة تسأل عنك فخرج العابد اليها فلما رأته المرأة كشفت عن وجهها ليعرفها فلما رأها عرفها وتذكر الامر الذي كان بينه وبينها فصاح صيحة وخرجت روحه فبقيت المرأة حزينة ، فقالت انى خرجت لاجله وقد مات فهل له من اقربائه احد يحتاج الى امرأة فقالوا لها ان له اخاً صالحاً ولكنه معسر ليس له مال فتزوجته فولد له منها خمسة اولاد كلهم صاروا انبياء من بني اسرائيل (١) .

روي عن النبي ﷺ انه كان في بني اسرائيل عابد وكان قد اوتى جمالا وحسنا وكان يعمل القفاف (٢) بيده فيبيعها فمن ذات يوم بباب الملك فنظرت اليه جارية لامرأة الملك فدخلت اليها وقالت لها هينا رجل ما رأيت احسن منه يطوف بالقفاف يبيعها فقالت ادخليه علي فادخلته اليها فلما دخل نظرت اليه فأعجبها فقالت له اطرح هذه القفاف وخذ هذه الملحفة وقالت لجاريتها هات الدهن يا جارية فنقضي منه حاجتنا ويقضيها منا وقالت تغنيك عن بيع هذا فقال ما اريد ذلك مراراً فقالت وان ترده فانك غير خارج حتى نقضي حاجتنا منك وامرت بالابواب فأغلقت فلما رأي ذلك قال : هل فوق قصركم هذا متوضأ قالت نعم : ثم قالت يا جارية ارقي له بوضوء فلما رقي جاء إلى ناحية السطح فرأي قصراً مرتفعاً ولا شيء يتعلق به ليرسل نفسه من السطح فجعل يعانب

(١) الانوار للنعمانية .

(٢) القفة ما ارتفع من متن الارض والجمع قفاف ، المختار من الصحاح .

نفسه ويقول يا نفس منذ سبعين سنة تطلبين رضاء ربك خريصة عليه في الليل والنهار ثم جاءتك غشية واحدة تفسد عليك هذا كله وانت والله خائبة ان جائتك هذه الغشية ارسلي نفسك من هذا السطح تموتين فتلقي الله ببقية عملك فجعل يعاتبها :

قال ﷺ فلما تهيأ ليلقي نفسه قال الله سبحانه وتعالى : لجبرائيل ياجبرائيل قال لبيك يارب وسعديك قال عبدي يريد ان يقتل نفسه فراراً من سخطي ومعصيتي فالقه بجناحك لايصيبه مكروه فبسط جبرئيل جناحه فأخذه بيده ثم وضعه وضع الوالد الرحيم لولده قال : فأتى امراته وترك القفاف وقد غابت الشمس فقالت له امراته ابن ثمن القفاف فقال لها ما اصبت اليوم لها ثمناً فقالت فعلى أي شيء نفطر الليلة ، قال تصبر ليلتنا هذه .

ثم قال لها فأشتجري تنورك فانا نكره ان يرى جيراننا اذا لم يروا انا شجرنا التنور اشتغلت قلوبهم بنا فقامت وشجرت ثم جائت وقعدت فجائت امرأة من جيرانها فقالت يافلانة هل عندك وقود فقالت نعم ادخلي وخذي من التنور فدخلت ثم خرجت فقالت يافلانة مالي اراك جالسة تتحدثين مع فلان يعني زوجها وقد نضج خبزك في التنور يريد ان يحترق فقامت فاذا التنور محشواً خبزاً نقياً فجعلته في جفنة ثم جائت به الى زوجها فقالت له ان ربك لم يصنع بك هذا الاوانت عليه كريم : فأدع الله تعالى ان يبسط علينا بقية عمرنا في معايشنا قال لها تصبري على هذا فلم تزل به حتى قال نعم افعل فقام في جوف الليل يصلي ودعا الله تعالى :

وقال : اللهم ان زوجتي قد سئلتني فاعطها مالتوسع به في بقية عمرها ، فأنفرج السقف فنزلت اليه كف عليها باقوتة بيضاء اضاء لها البيت كما يضيء الشمس فغمز رجلها وكانت قائمة فقال لها اجلسي وخذي ماسألني فقالت لاتعجل كنت قد رأيت في المنام كأني انظر الى كراسي مصفوفة من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد فيها ثلمة فقلت لمن هذا قالوا هذا مجلس زوجك فمالي حاجة في شيء اسلم عليك مجلسك ادع ربك

ربك فدعا ربه فرجع الكف (١) .

عن محمد بن سليمان الديلمي عن ابيه ، قال قلت لابي عبد الله عليه السلام فلان من عبادته ودينه وفضله كذا فقال كيف عقله قلت لاادري ، فقال ان الثواب على قدر العقل ، ان رجلا من بني اسرائيل كان يعبد الله تعالى في جزيرة من جزاير البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر طاهرة الماء وان ملكاً من الملائكة مر به ، فقال يارب ارني ثواب عبدك هذا فأراه الله ذلك فاستقله الملك فأوحى الله تعالى اليه ان اصحبه فأتاه الملك في صورة انسي ، فقال له من انت ، فقال انا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لاعبد الله معك ، فكان معه يومه ذلك فلما اصبح قال له الملك ان مكانك لنزه ومايصلح إلا للعبادة ، فقال له العابد ان لمكاننا هذا عيباً فقال له وماهو قال ، ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع ، فان هذا الحشيش يضيع فقال له ذلك الملك وما لربك حمار ، فقال لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش ، فأوحى الله تعالى الى الملك انما اثيبه على قدر عقله (٢) .

روي صاحب الروضة : قال كان رجل من أهل بيت المقدس ورد الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حسن الثياب مليح الصورة فزار حجرة النبي صلى الله عليه وآله وقصد المسجد فلم يزل ملازماً مشتغلا بالعبادة صائم النهار قائم الليل وذلك في زمن خلافة عمر ابن الخطاب حتى كان اعبد الناس والخلق يتمنى ان يكون مثله وكان عمر يأتي اليه ويسئله ان يكلفه حاجة فيقول له المقدس الحاجة الى الله ولم يزل كذلك حتى عزم الناس على الحج فجاء الى عمر بن الخطاب وقال يا ابا حفص اني قد عزمت على الحج ومعي وديعة احب ان تستودعها مني الى حين عودي من الحج فقال له عمر هات الوديعة فاحضر

(١) الانوار النعمانية

(٢) اصول الكافي ج١ كتاب العقل والجهل

الشاب حقاً من عاج عليه قفل من حديد مختوم بخاتم الشاب فسئله فخرج الشاب مع الوفد وخرج عمر الى مقدم الوفد وقال له اوصيك بهذا المقدسي خيراً فرجع عمر وكان في الوفد امرأة من اهل الشام فمازالت تلاحظ المقدسي وتنزل بقربه حيث ينزل فلما كان في بعض الايام دنت منه وقالت له ياشاب انى والله ارق لهذا الجسم الناعم المترف كيف يلبس الصوف فقال لها ياهذه جسم يأكله الدود ومصيره التراب هذا له كثير فقالت انى اخاف على هذا الوجه المضيء تشعشه الشمس فقال لها ياهذه اتقي الله وكفي فقد اشغلتني بكلامك عن عبادة ربي فقالت له لي اليك حاجة فان قضيتها فلا كلام وان لم تقضيها فما انا بتاركيك حتى تقضيها فقال لها وماحاجتك قالت له حاجتي ان تواقعني فزجرها وخوفها من الله تعالى فلم يردعها ذلك قالت والله ان لم تفعل ما امرك به لاصيبنك بداهية من دواهي النساء ومكرها فلاتنجو منها فلم يلتفت اليها ولم يعبأ بكلامها فلما كان في بعض الليالي وقد سهر اكثر ليله من عبادة ربه ثم رقد في آخر الليل وغلب عليه النوم التقه وتحت رأسه مزادة فيها زاده فانتزعتها من تحت راسه وطرحت فيها كيساً فيه خمسمأة دينار ثم اعادتها تحت رأسه فلما ثور الوفد قامت الملعونة من نومها وقالت أنا بالله وبالوفد مستجيرة وانا امرأة مسكينة وقد سرق مالي ونفقتي انا مستجيرة بالله وبكم فجلس المقدم على الوفد وامر رجلا من الانصار ورجلا من المهاجرين ان يفتش الفريقين ففتشوا فلم يجدوا شيئاً ولم يبق من الوفد رحل إلا وقد فتش رحله غير المقدس فاخبروا مقدم الوفد بذلك فقالت الملعونة ياقوم ماضركم لو فتشتموه فله اسوة بالمهاجرين والانصار وما يدريكم ان يكونوا ظاهره مليا وباطنه قبيحاً ولم تزل بهم حتى حملتهم على تفتيش رحله فقصده جماعة من الوفد وهو قائم يصلي فلما رأهم اقبل عليهم فقال ما بالكم وماحاجتهم فقالوا له هذه المرأة الشامية ذكرت انه قد سرق نفقتها وقد فتشنا رحل الوفد باجمعه ولم يبق منهم غيرك ونحن لانتقدم إلى رحلك إلا باذنك لما سبق من وصية عمر في حقك فقال لهم ياقوم مايضرني ذلك ففتشوا ما احببتم وهو واثق من نفسه فأول

مالفضوا المزادة التى فيها زاده وقع منها الهمياه فصاحت الملعونة الله اكبر هـذا والله كيسي ومالي فيه كذا وكذا دينار وفيه عقد لؤلؤ وزنه كذا وكذا مثقال فنظروا فوجدوه كما قالت فمالوا عليه بالضرب الموجع واللسب والشتم وهو لايرد جواباً فسلسلوه وقادوه الى مكة راجلا فقال لهم يا وفد الله بحق هذا البيت الحرام إلا ما تصدقتم علي وتركتمونى حتى اقضي الحج واشهد الله تعالى ورسوله على اني إذا قضيت الحج رجعت اليكم فأوقع الله الرحمة فى قلوبهم واطلقوه فلما قضى مناسكه وماعليه من الحج والفرائض عاد إلى القوم وقال لهم ها انا قد عدت اليكم فافعلوا بى ماتريدون .

فقال بعضهم لبعض لو اراد المفارقة لما عاد اليكم فاتركوه فتركوه ورجـع الوفد طالباً مدينة الرسول فاعوذ تلك المرأة الملعونة الزاد فى الطريق ووجدت راعياً فطلبت منه الزاد فقال لها عندي ماتريدين غير انى لا ابيعه قال فأنه اردت ان تمكنني من نفسك اعطيك ففعلت واخذت منه زاده

فلما انحرفت عنه اعترض لها ابليس لعنه الله ، فقال لها يا فلانة انت حامل فقالت ممن فقال لها من الراعي فقالت وافضيحتاه فقال لها مع رجوعك الى الوفد فقولي لهم اني قد سمعت قرأة المقدسى فقربت منه فلما غلبني النوم دنى مني وواقعني ولم اتمكن من الدفاع عن نفسي وقد حملت منه وانا امرأة من الانصار وخافي جماعة ففعلت الملعونـة ما اشار عليها ابليس فلم يشكوا في قولها لما عاينوه من وجود الكيس في رحله فعكفوا على الشاب المقدسى وقالوا يا هذا ماكفاك السرقة حتى فسقت فاوجعوه ضرباً وشتماً وسباً واعادوه الى السلسلة وهو لايرد جوابا فلما قربوا من المدينة خرج عمر بن الخطاب ومعه جماعة من المسلمين للقاء الوفد ، فلما قرب من الوفد لم يكن له همة من السؤال الا عن المقدسى فقالوا له يا ابا حفص ماالغفلك عن المقدسى فقد سرق وفسق وقصوا عليه القصة فامر باحضاره بين يديه فأتوا به وهو مسلسل فقال له ياويلك يامقدسي تظهر بخلاف ماننظر

فيك حتى سرقت وفضحك الله تعالى ، والله لانكلن بك اشد النكال وهو لايرد جوابا فاجتمع الناس ينظرون ماذا يفعل به فبينما هم كذلك واذا بالنور قد سطع فتأملوه فاذا هو عبهة علم النبوة علي بن ابيطالب عليه السلام .

فقال ما هذا الرهج في مسجد رسول صلى الله عليه وآله فقالوا له يا امير المؤمنين ان شاب المقدسي الزاهد سرق وفسق فقال عليه السلام والله ماسرق ولا فسق ولا حج احد غيره فلما اخبروا عمر بذلك قام على قدميه واجلسه مرضعه فنظر الى الشاب المقدسي وهو مسلسل مطرق الى الارض والامرأة قاعدة .

فقال امير المؤمنين عليه السلام محل المشكلات وكاشف الكربات ياويلك قصي علي قصتك فأنا باب مدينة العلم ، فقالت يا امير المؤمنين ان هذا الشاب سرق مالي وقد شاهده الوفد في مزادته وما كفاه ذلك حتى كنت ليلة من الليالي قريبة منه فاستغرلي بقرائته واستأمنني فوثب الي وواقعني وما تمكنت من المدافعة عن نفسي خوفاً من الفضيحة وقد حملت منه فقال لها امير المؤمنين عليه السلام كذبت يا ملعونة فيما ادعيت ٥

ثم قال يا اباحفص ان الشاب مجبوب ليس له احليل واحليله في حق من عاج ثم قال عليه السلام ، يامقدسي ابن الحق فرفع المقدسي رأسه و قال ياعلي من يعلم ذلك يعلم ابن الحق فالتفت عليه السلام الى عمرو قال له يا اباحفص قم هات وديعة الشاب فارسل عمر فأحضر الحق بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام فأمر بفتحه ففتحوه فأذا فيه خرقة حرير وفيها احليل الشاب فعند ذلك قال الامام يا مقدسي قم فقام فقال عليه السلام جردوه من ثيابه لتنظروا وتتحققوا من اتهمه بالفسوق فجردوه من اثوابه فاذا هو مجبوب فعند ذلك ضج الناس بالتكبير فقال لهم الامام اسكتوا واسمعوا مني حكومة اخبرني بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله ٥

ثم قال ويلك ياملعونة فقد تجربتي على الله تعالى الم تأتين اليه وقلتي له كيت وكيت الى ذلك فقلت له والله لارمينك بحيلة من حيل النساء لاتنجو منها ابداً فقالت لي

يا امير المؤمنين قد كان ذلك

ثم قال عليه السلام فأتيته وهو نائم فوضعت الكيس في مزادته فقري فقالت نعم يا امير المؤمنين فقال اشهدوا عليها ».

ثم قال عليه السلام حملك هذا عن الراعي الذي طلبتي منه الزاد فقال انا لا ابيع الزاد ولكن مكنتني من نفسك وخذي حاجتك ففعلت ذلك واخذت الزاد وهو كذا وكذا قالت نعم يا امير المؤمنين فضج العالم فكسكتهم امير المؤمنين عليه السلام وقال لها لما خرجتي من الراعي عرض لك شيخ صفته كذا وكذا فناداك وقال لك يا فلانة انك حامل من الراعي فصرختي وقلتي وافضيحتاه فقال لا بأس عليك قولي الموفدين المقدسي استئامني وواقعني وقد حملت منه فيصدقوك لما ظهر لهم من سرقته ففعلت ماقال لك الشيخ فقالت نعم.

فقال لها الامام عليه السلام اتعرفين ذلك الشيخ فقالت لا قال لها هو ابليس لعنه الله تعالى فتعجب الناس من ذلك فقال عمر يا ابى الحسن ماتريد ان تفعل بها قال لها يحفر لها في مقابر اليهود وتدفن الى نصفها وترمى بالحجارة ففعل بها ذلك كما امر مولانا امير المؤمنين عليه السلام واما المقدسي فأنه لم يزل ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الى ان قبض رضوان الله عليه فعند ذلك قام عمر وهو يقول لولا علي لهلك عمر ثم انصرف الناس وقد تعجبوا من حكومة علي « ع » (١).

(١) الانوار النعمانية ».

العامل الجاهل وعواقبه السيئة

قال الامام ابو عبد الله «ع» ، العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لايزيده سرعة السير الا بعداً(١)

قال المرحوم المولى محمد صالح المازندراني ، في شرح هذا الحديث الشريف عن طلحة بن زيد قال سمعت ابا عبد الله «ع» يقول . العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق »

شبه الجاهل العامل على غير بصيرة قلبية ومعرفة يقينية بما يعلمه بالسائر على غير طريق المطلوب تنفيراً بذلك التشبيه عن الجهل الموجب لسقوط العمل عن درجة الاعتبار وايضاحاً للمقصود واشار الى وجه التشبيه بقوله ، لايزيده سرعة السير إلا بعداً ، عن المطلوب اوعن طريقه ادبعده عن المطلوب بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وسر ذلك ان الطريق الموصل الى الحق واحد متوسط بين اضداد متعددة وطرق متكثرة موصلة الى الى الباطل ومن عميت قوة بصيرته وانطمست عين عين رؤيته يقع في اول قدم في طريق الضلال ثم لايزيده سرعة سيره إلا بعده عن المطلوب وبخلافه »

للعامل على معرفة وبصيرة في سلوكه وحركته من قربه من المطلوب، فان العامل العالم يعلم بنور بصيرته وضوء معرفته طريق المطلوب فيبتدء به ويترقب احوال نفسه فيما ينفعه ويضره فيطلب الاول ويترك الثانى وهكذا يراعي حاله دايماً حتى ينتهي طريقه ويتم عمله على وجه الكمال ويحصل له القرب الى المطلوب الحقيقي الذي هو لقاء الله سبحانه ، والله الموفق والمعين (٢).

(١-٢) شرح اصول الكافى للمولى محمد صالح المازندراني ج ٢ ص ١٥٧

ونعم ما قاله الشاعر الفارسى :

جاهـــل زكجا راه حقيقت دانند طى كردن اين باديه كى بتواند
هر چند زند چرخ بجائى نرسد مانند خرى كه آسيا كردانـــد

عليك بالقصص التالية التى تحكى عن حالات عباد كانوا يعبدون الله تعالى فى سابق الزمان فى حالة الخشوع والخضوع ولما لم يكن لهم علم لقد كانوا يرتكبون المعاصي كبيرة لاجل أن ينالوا مقاماً شامخاً فى العبادة والسعادة وأن يفوزوا فوزاً كبيرا .

فى بعض الكتب المعتبرة ، أنه كان رجلا عابداً زاهداً ترك الدنيا ونعيمها ولذاتها وأشتغل بالعبادة ليلا ونهاراً ، وبلغ فى العبادة ما تتعجب منه الملائكة . كان الشيطان يقصده ولم يظفر عليه حتى مضى عليه مائتا وعشرين سنة فلبس يوما ثياباً خشنة خلقة بزى العباد ودخل معبده وصومعته فقال . من أنت وماتريد قال : أنا من العباد أريد أعبد الله معك وأكون معينك على عبادتك فقبل كلامه وأشتغل الشيطان بالعبادة وجد فيها وواظب عليها بحيث لم يكن يأكل شيئا ولا نام حتى مضى عليه ثلاثة ايام فلما رأى حرصه ذلك الجد والطاقة منه تعجب وسئله عن سبب ذلك فقال له الباعث على ذلك أنى عصيت الله مرة فكلما ذكرتها أنقطع عنى الأكل والشرب والنوم وأشتغل بالطاعـــة والعبادة ندامة على ماصدر منى فقال له حرصه . ما التدبير فى أن أصير مثلك فى العبادة قال : اعص الله وتب منه فانه كريم غفور يغفر لك ثم تصير مثلى فى العبادة ندامة على ما فعلت قال : أى المعصى ارتكب .

قال ازن ، قال ، لا أفعله ، قال أشرب الخمر فانه أصغر وأسهل منه قال من أين أجده قال أذهب إلى القرية الفلانة تجده فيها فذهب حرصه إلى القرية مسرعا فلاقى امرأة جميلة فاشترى منها خمراً فشربه . فلما أثر فيه الخمر دعته نفسه إلى المرأة فزنى بها فاذا جاء زوجها فنام حرصه وقتله ، فذهب الشيطان بصورة الانسان إلى حاكم القرية وأخبره بما فعله

برصيصا فاخذه الحاكم وضربه ثمانين سوطا لشرب الخمر ومائة للزنا ثم أمر أن يصلبوه للقتل فلما صلبوه جائه الشيطان بالصورة التي جائه أولا قال له كيف ترى حالك قال من أطاع أنيس السوء فهذا جزائه .

قال اني كنت ارصدك منذ مائتي وعشرين سنة حتى ابتليتك بما ترى اتحب ان انجيك من هذه البلية ، قال نعم ، وأوتيك كلما شئت قال اسجد لي مرة حتى أنجيك قال كيف اسجد مرة لك وأنا مصلوب لا أقدر على السجود قال : اسجد لي بالايماء ، فسجد له ، فصار كافراً خالداً في النار (١) .

وروى ايضا ان عابداً كان في بني إسرائيل قد بلغ في الزهد والعبادة مابلغ حتى صار مستجاب الدعوة ولم يكن يرد الله دعاء من دعواته واشتهر ذلك في نواحيه واطرافه وكان الناس يجيئون عنده بمرضاهم ويدعو لهم فيجدون في الساعة الشفاء والصحة من الأمراض القوية وكان الشيطان يرصده ولم يغلب عليه حتى مرضت بنت من ملك مصر ، وعجز الأطباء عن علاج مرضها فذهب بها اخوتها إلى صومعة العابد ، والتمسوا منه الدعاء لها قال : الدعاء وقت مخصوص إذا بلغ ادعو لها فقالوا أنا نتركها عندك ونذهب للسير في الصحاري حتى يبلغ الوقت فلما خرجوا وبقيت وحدها نظر العابد اليها وافتتن بها فاغواه الشيطان حتى زنى بها ، ثم ظهر عليه الشيطان بصورة شيخ وسأله عما فعل بها فقصه القصة بتمامها .

فقال له الشيطان لا تهتم ان الله غفور إذا تبت يقبل توبتك ويغفر لك ، لكن الشأن والمهم ان تدبر في اخفاء ذلك عن اخوتها إذا رجعوا اليك وطلبوها منك ، قال ما أحيل قال هذا أمر سهل أقتلها وأدفنها . فاذا جاؤا قل لهم اني كنت في الصلاة وهي خرجت من الصومعة ، ولم أعلم أين ذهبت فحسن تدبيره فقتلها ودفنها في خارج صومعته فلما

(١) لآلي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٧

رجع اخوتها وسألوه عنها اجابهم بما علمه الشيطان .

ولما كان العابد عندهم مقبول القول قبلوا منه وذهبوا فى الصحارى والبراري يطلبونها فظهر عليهم الشيطان بصورة عجوز فسألوها عنها ،

قالت تطلبون بنت الملك قد زنى بها الزاهد ثم قتلها وأخفاها فى التراب ، فجائت معهم ودلتهم عليها فلما حفروا التراب وجدوها مقتولة ملطخة بدمها فبكوا بكاءاً شديداً وشقوا ثيابهم وضربوا على رؤسهم وقيدوا العابد وجاؤا به إلى مصرهم فاجتمع الناس عليه متحيرين متعجبين منه رامين عليه الحجارة فصلبوه فاذا ظهر عليه ابليس بصورة شيخ حسن الخلقة .

قال له إيها العابد ، أنا اله الأرض وقد عبدت إله السماء سنين كثيرة فجزاك ماترى اسجد لي مرة حتى أنجيك من هذه البلية ، فسجد له بالاشارة وصار كافراً فرجموه ودخل النار (١) .

روي عن الصادق (ع) قال كان عابد فى بنى إسرائيل لم يقارن من أمر الدنيا شيئاً فتخر ابليس لعنه الله تخرة ، فاجتمع جنوده فقال: من لي بفلان بن فلان ، فقال : بعضهم أنا له قال : من أين تأتيه ، قال من ناحية النساء .

قال لست له لم يجرب النساء قال آخر: فانا له من ناحية الشراب و اللذات ، قال: لست له قال آخر: فانا له من ناحية البر ، قال انطلق فانت صاحبه ، فانطلق إلى موضع الرجل فاقام حذاه يصلي قال وكان الرجل ينام والشيطان لاينام ويستريح والشيطان لايستريح فتحول اليه الرجل وقد تقاصرت اليه نفسه واستصغر عمله فقال يا عبد الله بأى شيء قويت على هذه الصلاة فلم يجبه ثم أعاد عليه فقال يا عبد الله انى اذنبت ذنباً وأنا تائب منه ، فاذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة قال فاخبرنى على ذنبك حتى اعمله فاتوب واذا فعلته قويت عـلي

(١) لآلي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٨

الصلاة .قال ادخل المدينة وسل عن فلانة البغية فاعطها درهمين ونل منها قال: ومن أين لى درهمين ما أدرى ما الدرهمين ، فتناوله الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله اياهما

قال فقدم المدينه بجلابيه فسأل عن منزل فلانة البغية فارشدوه الناس اليها وظنوا انه جاء يعظها فارشدوه فجاء اليها فرمى اليها بالدرهمين فقال :قومى فقامت. ودخل منزلها وقالت ادخل وقالت انك جئتنى فى هيئة ايس يؤتى مثل من مثلها فاخبرني بخبرك فاخبرها فقالت له يا عبد الله ان ترك الذنب اهون عليك من طلب التوبة وايس كل من طلب التوبة وجدها وانما ينبغى ان يكون هذا الشيطان مثل ذلك .

فانصرف ومانت من ليلتها ، فاصبحت فاذا على بابها مكتوب احضروا فلانة فانها من أهل الجنة .

فارتاب الناس ومكثوا ثلثا لايدفنونها ارتيابا فى امرها ، فاوحى الله عز وجل الى نبى من الانبياء ولا اعلمه الا موسى بن عمران ان ائت فلانة فصل عليها وامر الناس أن يصلوا عليها فانى قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيتها فلان عبدى من معصيتى (١) .

(١) الأنوار النعمانية .

جلالة العالم وفضيلته

ان الله تعالى قال لعيسى «ع» (١) عظم العلماء وأعرف فضلهم فان فضلتهم على جميع خلقي الا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب وكفضل الاخره على الدنيا ، وكفضلي على كل شيء .. (٢)

ان للعالم جلالة وفضيلة ليس لاحد أن ينكرها ، وهذه المرتبة العظمى مخصوصة للعالم وموهبة من الله تعالى عليه وليس لغير العالم هذه الجلالة والفضيلة لانه ليس بعالم والعالم انما وهذا المقام بسبب علمه وعرفانه ومعلوماته من الفضائل والكمالات الملكوتية والانسانية التي بسببها ينال الانسان الدرجات العالية والكرامات الاخروية وان جلالة العالم وفضيلته لا يمكن تصوره لاحد من الانسان .

وانما نستفيد جلالة العالم وفضيلته من كثير من الايات الكريمة والاحاديث الشريفة خصوصا من الخبر الذي ذكرناه وجعلناه عنوانا للكلام من انه قال عز وجل:

فاني فضلتهم على جميع خلقي ، إلا النبيين والمرسلين ، وفي رواية اخرى جائت عن النبي (ص) علماء امتي كانبياء بني اسرائيل (٣) .

جاء في سيرة العالم الجليل المقدس الاردبيلي ، أنه رأى ليلة في المنام رسول الله (ص)

---

(١) قال مقاتل بن سليمان وجدت في الانجيل أن الله تعالى قال لعيسى «ع» الخ

(٢) لآلي الاخبار ج ٢ ص ٢٦٣

(٣) نفس المصدر « « «

وعنده موسى كليم الله « ع » فسأل موسى « ع » عنه « ص » من هذا الرجل فقال : سل عنه فقال موسى له : من أنت : قال أنا أحمد بن محمد الأردبيلي الساكن في محلة كذا وفي بيت كذا فقال : سئلتك عن اسمك فلم فصلت في الجواب ، فقال الاردبيلي : قال الله تعالى : لك مالك بيمينك يا موسى فلم فصلت في الجواب :

فتوجه موسى « ع » الى رسول الله « ص » وقال :

صدقت في قولك : علماء امتي كانبياء بني إسرائيل (١) .

ان الانسان لا يمكنه أن يتصور فضل الله تعالى بالنسبة على باقي الاشياء من مخلوقاته بل الاشياء بالنسبة إلى الله تعالى بمنزلة العدم ولا يتصور اى فضل لهـــا كذلك الدنيا بالنسبة الى الآخرة ، والنجوم بالنسبة إلى الشمس ، و كذلك غير العالم بالنسبة إلى العالم وهذا شيء بديهي لا يحتاج إلى أي شاهد آخر من البراهين .

بعث الرضا « ع » إلى البزنطي بحماره ليركبه ويأتيه ، ومبيته عنده (ع) وأمر جاريته بأن تفرش له فراشاً وبات في ملحفته التي كان (ع) ينام فيها (٢) .

عن ابن عيسى عن البزنطي قال بعث الى الرضا (ع) بحمار له فجئت الى صيريا فمكثت عامة الليل عنده : ثم أتيت بعشاء ثم قال افرشوا له ثم أتيت بوسادة طبريـــة ومرادع و كساء قياصري وملحفة مروي فلما اصبت من العشاء قال لي ما: تريد أن تنام ، قلت بلى جعلت فداك . فطرح على الملحفة والكساء . ثم قال: بيتك الله في عافية و كنا على السطح فلما نزل من عندي ، قلت : في نفسي قد نلت من هذا الرجل كرامة ما نالها احد قط فاذا هاتـــف يهتف بي يا أحمد ولم اعرف الصوت حتى جاءني مولى لي فقال : أجب مولاي فنزلت فاذا هو مقبل الي . فقال : كفك فناولته كفي ، فعصرها ثم قال :

(١) لآلي الاخبار ج ١ ص ١١٦

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٨١ بزنط

ان أمير المؤمنين (ص) اتى صعصعة بن صوحان عائد الله فلما اراد ان يقوم من عنده قال يا صعصعة بن صوحان لا تفتخر بعيادتى اياك وانظر لنفسك فكان الامر قد وصل اليك ولا يلهينك الأمل استودعك الله وأقرء عليك السلام كثيراً (١)

احمد بن محمد بن ابى نصر الكوفى أحد من اجمع الاصحاب على تصحيح ما يصح عنه واقروا له بالفقه وكان ممن لقى الرضا وابا جعفر عليهما السلام وكان عظيم المنزلة عندهما له كتاب الجامع (٢) .

عن يونس بن يعقوب قال كان عند أبيعبد الله الصادق (ع) جماعة من اصحابه فيهم حمران بن أعين ، ومؤمن الطاق وهشام بن سالم وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال ابو عبد الله (ع) ياهشام قال : لبيك يارسول الله قال . الا تحدثنى كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته قال هشام جعلت فداك يابن رسول الله انى اجلك واستحييك ولا يعمل لسانى بين يديك :

فقال ابو عبد الله الصادق (ع) : يا هشام إذا أمرتكم بشيء فافعلوه قال هشام : بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه فى مسجد البصرة وعظم ذلك على فخرجت اليه ودخلت البصرة فى يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة كبيرة وإذا أنا بعمر ابن عبيد عليه شملة سوداء متزر بها من صوف وشملة مرتد بها والناس يسئلونه فاستفرجت الناس فافرجوا لى ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى ثم قلت :

أيها العالم أنا رجل غريب تأذن لى فأسالك عن مسألة . قال : فقال نعم قال قلت له الك عين ، قال اذا يرى شيء كيف يسئل عنه ، يا بنى أى شيء هذا من السؤال ، فقلت هكذا مسألتى فقال : يا بنى سل وان كانت مسئلتك حمقاء قال : قلت اجبنى فيها قال : فقال لى سل ، فقلت ، الك عين ، قال نعم قلت : فما ترى بها ، قال الالوان والإشخاص

(١ ـ ٢) سفينة البحار ج ١ ص ٨١ بتلخيص

قال فقلت الك أنف . قال نعم قلت فما تصنع بها قال اشم بها الرائحة قال قلت : ألك فم قال نعم قلت وما تصنع به قال أعرف به طعم الاشياء قال قلت الك لسان قال نعم قلت وما تصنع به قال أتكلم ، قال قلت الك أذن قال نعم قلت وما تصنع بها قال اسمع بها الاصوات قال قلت الك يد قال نعم ، قلت وما تصنع بها قال ابطش بها واعرف اللين من الخشن قال قلت ألك رجلان قال نعم قلت ما تصنع بهما قال انتقل بهما من مكان الى مكان قال قلت ألك قلب قال نعم قلت: وما تصنع به قال أميز به كلما ورد على هذه الجوارح قال قلت أفليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب قال لا قلت وكيف ذلك وهى صحيحة سليمة قال يابنى أن الجوارح إذا شكت فى شىء شمته اورأته او ذاقته او سمعته أو لمسته رددته إلى القلب ، فتتقن اليقين ويبطل الشك. قال فقلت : انما أقام الله القلب لشك الجوارح قال نعم قلت فلابد من القلب والألم تستيقن الجوارح قال نعم قال فقلت يا أبا مروان ان الله تعالى ذكره لم يترك جوارحك حتى جعل اماما يصح لها الصحيح ويستيقن ماشك فيه ، ويترك هذا الخلق كلهم فى حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم اماما يردون اليهم شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما بجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك قال فسكت ولم يقل شيئا قال ثم التفت الى ، فقال انت هشام فقلت لا فقال لى أجالسته فقلت لا فقال فمن اين أنت قلت من أهل الكوفة قال فانت اذا هو .

قال ثم ضمنى اليه واقعدنى فى مجلسه وما نطق حتى قمت فضحك ابو عبد الله الصادق عليه السلام ، ثم قال: ياهشام من علمك هذا قال فقلت : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله جرى على لسانى ، قال : ياهشام هذ والله مكتوب فى صحف ابراهيم وموسى (١). ان عمران الصابى كان واحدا من المتكلمين فقال : (سائلا عن الامام الرضا ع ،) يا عالم الناس لولا انك دعوت إلى مسئلتك لم اقدم عليك بالمسائل فلقد دخلت بالكوفة

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٢٦٧

والبصرة والشام والجزيرة ، ولقيت المتكلمين ، فلم أنع على أحد يثبت لى واحداً ليس غيره قائما بوحدانيته ، أفتأذن لى أن أسئلك . قال الرضا (ع) أن كان فى الجماعة عمران الصابى فانت هو قال : انا هو . قال سل ياعمران وعليك بالنصفة وأياك والخطل والجور فقال : والله ياسيدى ما أريد إلا أن تثبت لى شيئا أتعلق به فلا أجوزه قال سل عما بدالك فازدحم الناس وانضم بعضهم إلى بعض .

ومن جملة المسائل الكلامية التى سألها عن الامام الرضا (ع) هى قال عمران: اسئلك عن الحكيم فى أى شئ هو ، وهل يحيط شىء وهل يتحول من شئ إلى شىء أو به حاجة إلى شىء ، ،

قال الرضا (ع) أخبرك ياعمران فاعقل ماسئلت عنه ، فانه من أغمض مايرد على الخلق فى مسائلهم وليس يفهم المتفاوت عقله العازب حله ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون أما أول ذلك فلو كان خلق ماخلق لحاجة منه لجاز لقائل ان يقول يتحول إلى ماخلق لحاجته إلى ذلك .

ولكنه عز وجل لم يخلق شيئا لحاجة ولم يزل ثابتا لافى شىء ولا على شىء إلا أن الخلق يمسك بعضه بعضا ، ويدخل بعضه فى بعض ويخرج منه ، والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله وليس يدخل فى شى ولا يخرج منه ولا يؤده حفظه ولا يعجز عن إمساكه ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك ، إلا الله عزوجل ومن اطلعه عليه من أطلعه عليه من رسله وأهل سره والمستحفظين لامره وخزانه القائمين بشريعته وإنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئاً فانما يقول له ، كن فيكون ، بمشيته وإرادته ، وليس شئ من خلقه أقرب اليه من شىء ولا شىء أبعد منه من شىء أفهمت يا عمران . قال نعم ياسيدى قد فهمت وأشهد أن الله تعالى على ما وصفت ووحدت وأشهد أن محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ، ثم خر ساجداً نحو القبلة وأسلم :

قال الحسن بن محمد النوفلي : فلما نظر المتكلمون الى كلام عمران الصابي وكان جدلا لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط ، لم يدن من الرضا عليه السلام ، أحد منهم ولم يسئلوه عن شيء وأمسينا ، فنهض المأمون والرضا عليه السلام قد خلا وإنصرف الناس وكنت مع جماعة من أصحابنا ، إذ بعث إلى محمد بن جعفر فأتيته ، فقال لي : يانوفلي أما رأيت ماجاء به صديقك ، لا والله ماظننت أن علي بن موسى الرضا عليه السلام خاض في شيء من هذا قط ولا عرفناه به ، أنه كان يتكلم بالمدينة أو يجتمع اليه أصحاب الكلام قلت قد كان الحاج يأتونه فيسئلونه عن أشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم وربما كلم من يأتيه يحاجه فقال محمد بن جعفر :

يا ابا محمد أني أخاف عليه أن يحسده عليه هذا الرجل فيسمه أو يفعل به بلية فاشر عليه بالامساك عن هذه الاشياء قلت : إذا لايقبل مني، وما أراد الرجل إلا امتحانه ليعلم هل عنده شيء من علوم آبائه عليهم السلام ،

فقال لي : قل له : أن عمك قد كره هذا الباب وأحب أن تمسك عن هذه الاشياء لخصال شتى فلما أنقلبت إلى منزل الرضا عليه السلام ، أخبرته بما كان عن عمه محمد بن جعفر فتبسم عليه السلام ثم قال : حفظ الله عمي ما أعرفني به لم كره ذلك ياغلام صر الى عمران الصابي فأتني به فقلت . جعلت فداك انا أعرف موضعه وهو عند بعض أخواننا من الشيعة ، قال : فلا بأس ، قربوا اليه دابة فصرت الى عمران فأتيته به فرحب به ودعا بكسوة فخلعها عليه وحمله ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله بها قلت جعلت فداك حكيت فعل جدك أمير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام هكذا نحب ثم دعا عليه السلام بالعشاء ، فاجلسني عن يمينه واجلس عمران عن يساره حتى إذا فرغنا قال لعمران إنصرف مصاحبا وبكر علينا نطعمك طعام المدينة ، فكان عمران بعد ذلك يجتمع اليه المتكلمون من اصحاب المقالات فيبطل أمرهم حتى إجتنبوه ووصله المأمون بعشرة الاف

درهم وأعطاه الفضل مالا وحمله، وولاه الرضا عليه السلام صدقات بلـــخ فاصاب الرغائب (١) .

وأيضا نتعرض جملا من قصص العلماء وسيرتهم التى تدل على جلالتهم وفضيلتهم

فى الكتب المعتبرة نقل : أن يوسف الصديق عليه السلام كان جالساً فى قصره وكان جبرئيل (ع) فى خدمته ، فاذا بشاب خلق الثياب كان يعبر من قريب القصر فقال جبرئيل ليوسف عليهما السلام :

تعرف هـــذا الشاب ، فقال : لا قال: هذا هو الطفل الذى شهد عند العزيز بطهارتك .

فنزل يوسف عليه السلام من القصر والصقه بصدره وأمر بتنظيفه إحضار الثوب الجديد والبسه مفاخر الثياب وأكرمه غاية الاكرام إلى آخر الرواية (٢) .

جاء فى الكتب التاريخية ، إن هرون الرشيد لقى الكسائى فى بعض الطرقات فوقف عليه وسئله عن حاله ، فقال : لولا أجتنى من ثمرة العلم والادب إلا ما وهب الله تعالى من وقوف أمير المؤمنين لكان كافيا (٣) .

أبو إسحاق الشيرازى إبراهيم بن على بن يوسف الفيروز آبادى الشافعى كان، معاصر الامام الحرمين .

وله كتاب (التنبيه) فى الفقه ، وحكى أن المقتدى بامر الله الخليفة جهزه إلى نيسابور سفيرا له فى خطبة ابنة الملك جلال الدولة فانجز الشغل وناظر أمام الحرمـــين إستاذ الغزالى هناك ، فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين الى وداعه

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١ ص ١٧٨

(٢) برهان دانش ص ٢٥

(٣) لئالى الأخبار ج ٢ ص ٢٤٦

وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق بغلته وظهر له فى خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون من التراب الذى وطأته بغلته فيتبركون به (١)

إن أبا إسحاق بن إبراهيم بن هلال الصابى الكاتب قال : كنت عند الوزير ابي محمد المهلبي ذات يوم . فدخل الحاجب وإستأذن للشريف المرتضى فاذن له .

فلما دخل قام اليه وأكرمه وأجلسه معه فى دسته وأقبل عليه يحدثه حتى فرغ من حكايته ومهامته .

ثم قام اليه وودعه وخرج فلم تكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضى وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فالقاها ، وقام كالمدهش حتى إستقبله من دهليز الدار وأخذ بيده واعظمه و أجلسه فى دسته ، ثم جلس بين يديه متواضعا وأقبل عليه بمجامعه فلما خرج الرضى خرج معه وشيعه إلى الباب الخ (٢) .

بحر العلوم : هو السيد الاجل والمولى الأكمل فريد عصره ووحيد دهره السيد مهدى بن السيد المرتضى البروجردي الطباطبائى (ره) وقد اذعن له جميع علماء عصره ومن تأخر عنه بعلو المقام والرتبة فى العلوم النقلية والعقلية وسائر الكمالات النفسانية حتى أن الشيخ الفقيه الاكبر الشيخ جعفر النجفى (آل كاشف الغطاء) مع ماهو من الفقاهة والزهادة والرياسة كان يمسح تراب خفه بحنك عمامته الخ . (٣)

ان معاصر « الفيض الكاشانى مصنف تفسير الصافى ره) الفاضل المحدث المولى محمد طاهر القمى (ره) مؤلف كتاب حجة الاسلام وغيره كان مسيئ الظن فيه وكان ينكر عليه كثير، ثم رجع فى أواخر عمره عن ذلك الاعتقاد السوء فيه

(١) الكنى والالقاب ج ١ ص٦

(٢) روضات الجنات ترجمة الشريف الرضى ره

(٣) ذرايع البيان ج ٢ ص ١٥٦

فخرج من بلدة قم إلى بلدة كاشان ماشيا على قدميه تمام المسافة بين البلدتين الاعتذار اليه والاعتراف بالخطأ لديه ، ولما انتهى إلى داره ونادى برفيع صوته (يا محسن قد أتاك المسيئ) فخرج اليه المولى محسن وتصافحا وتعانقا واستحى كل واحد منهما من صاحبه .

ثم رجع المولى محمد طاهر من ساعته إلى بلده وقال إنى لم أرد من هذه الحركة إلا هضم النفس وتدارك الذنب وطلب رضوان الله العزيز الوهاب (١) .

إن صالح بن مرداس صاحب حلب ، خرج إلى المعرة وقد عصى عليه أهلها فنزل عليها وشرع فى قتالها ، رماها بالمناجيق ، فلما أحس أهلها التغلب سعوا إلى أبى العلاء وسألوه الخروج اليه والشفاعة فيهم عنده ، فخرج متوكئا على يد قائد له ،

وقيل لصالح : إن باب المدينة قد فتح . وخرج منها رجل يقاد كانه أعمى فقال صالح : هو أبو العلاء بطلوا القتال ، الى أن نرى فى أى أمر جاء . فلما وصل إلى الخيمة أذن له ، وأكرمه عند دخوله عليه وعرفه وشوقه إلى نظره ، ولما إستقر بمجلسه قال له :

الملك حاجة ، فقال له أبو العلاء ، الامير (أطال الله بقاه) كالسيف القاطع ، لان متنه ، وخشن حداه ، وكالنهار الماتع قائظ وسطه وطاب ابرداه (٢) .

خذا العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين(٢)

فقال له صالح : قد وهبتها لك يا أبا العلاء ثم قال له صالح أنشدنا شيئا من شعرك يا أبا العلاء لنرويه عنك فانشد إرتجالا فى المجلس :

تغيبت فى منزلى برهة ستير العيوب فقيد الحسد

---

(١) مقدمة تفسير الصافى ج ١ ص٢

(٢) سورة اعراف اية ١٩٩

فلما مضى العمر إلا الاقل وحم لروحي فراق الجسد

بعثت شفيعا الى صالح وذاك من القوم رأى فسد

فيسمع منى سجع الحمام وأسمع منه زئير الاسد

فلا يعجبنى هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسد

فقال الصالح : بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام وانت الذى تسمع منك زئير الاسد ثم أمر بخيامه فوضعت ، وبأثقاله فرفعت ورحل عنها (١)

واتفق يوم وصوله (ابو العلاء) الى بغداد موت الشريف الطاهر يعنى أبا أحمد الحسين ابن والد الشريفين : الرضى والمرتضى ، فدخل أبو العلاء إلى عزائه والناس مجتمعون ، والمجلس غاص باهله ، فتخطى بعض الناس فقال له بعضهم ولم يعرفه : إلى اين ياكلب فقال : الكلب من لايعرف للكلب كذا وكذا اسما (وصرح فى بعض المقامات من حالاته انه قال بسبعين).

ثم جلس فى اخريات المجلس ، الى أن قام الشعراء وأنشدوا فقام أبو العلاء وأنشد قصيدته التى أولها :

اودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

يرثى بها الشريف المذكور فلما سمعه ولداه الرضى والمرتضى قاما اليه ورفعا مجلسه وقالا له : لعلك أبو العلاء المعرى قال نعم : فاكرماه واحترماه (٢)

---

(١) تعريف القدماء بابى العلاء ص٣٦

(٢) تعريف القدماء بابي العلاء ص٢٢٣

قيمة العلم

قال الله العزيز الحكيم : رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين . (١)

قال يوسف (رب قد آتيتني من الملك) ، اي اعطيتني ملك النبوة وملك مصر (وعلمتني من تأويل الاحاديث) أي بأويل الرؤيا (فاطر السموات والارض) أي خالق السموات والأرض ومنشأهما (انت ولي) أي ناصري ومدبري وحافظي (في الدنيا والآخرة) تتولى فيها إصلاح معاشي ومعادي (توفني مسلما .)

قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل الممات الا يوسف ، لما انتظمت أسباب مملكته اشتاق إلى ربه ، وقيل معناه ثبتني على الايمان إلى وقت الممات وامتني مسلما ، والحقني بالصالحين ، أي باهل الجنة من الانبياء والاولياء والصديقين .

قيل : لما جمع الله سبحانه بينه وبين أبويه وإخوته احب ان يجتمع مع آبائه في الجنة فدعا بهذا الدعاء والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم .

قيل : تتوفيه الله تعالى بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته فرأوا أن يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعا سواء فكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام حين خرج من مصر . (٢)

---

(١) سورة يوسف « ع » آيه ١٠١

(٢) تفسير مجمع البيان ج ١ ص ٥٧٣

والغرض من ذكر هذه الاية الشريفة ، أنـــه اورد فى ذيلها بعض المفسرين جملة تاريخيه التى تدل على قيمة العلم و كرامة صاحبه ونذكر بعد ذكرها أيضا جملا اخرى راجعة فى الموضوع وهى .

ان يوسف «ع» لما حضرته الوفاة قال يا اخوتاه انى لم انتصر من أحد ظلمنى فى الدنيا ، وانى كنت احب ان ظهر الحسنة واخفى السيئة فذلك زادى من الدنيا يا اخوتاه انى أشركت آبائى فى اعمالهم فاشركونى معهم فى قبورهم واخذ عليهم الميثاق فلم يفعلوا حتى بعث الله موسى «ع» فسأل عن قبره فلم يجد احدا يخبره إلا امرأة يقال لها «شارخ» بنت شير ابن يعقوب فقالت : ادلك عليه على أن اشترط عليك : قال : ذاك لك قالت : اصير شابة كلما كبرت ، قال ذاك لك .

قالت : وأكون معك فى درجتك يوم القيامة ، فكأنه امتنع فأمر أن يعطى لها ذلك ، ففعل فدلته عليه فاخرجه فكانت كلما كانت بنت خمسين سنة صارت مثل ابنة ثلاثين سنة حتى عمرت عمر نسرين ، الف وستمائة سنة او الف واربعمائة سنة حتى ادركها سليمان بن داود «ع» فتزوجها (١)

وفى رواية اخرى ، ان الله تعالى حين أمر موسى «ع» بالسير ببنى اسرائيـــل امره ان يحتمل معه عظام يوسف «ع» ، وان لا يخلفها بأرض مصر وان يسير بها معه حتى يضعها بالارض المقدسة فسأل موسى «ع» عمن يعرف موضع قبره فاوجد إلا عجوزاً من بنى اسرائيل فقالت :

يانبى الله انى اعرف مكانه ان أنت اخرجتنى معك ولم تخلفنى بارض مصر دللتك عليه ، قال افعل وقد كان موسى «ع» وعد بنى اسرائيل ان يسير بهم اذا طلع الفجر فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف «ع» ففعل فخرجت به العجوز

(١) تفسير الدر المنثور ج ٤ ص ٣٨

حتى أرته فى ناحية من النيل فى الماء ، فاستخرجه موسى عليه السلام صندوقا من مرمر فاحتمله (١)

إنظر أيها الطالب إلى قيمة العلم وعظمة صاحبه ، كيف أمر الله تعالى نبيه بمتابعة العجوز فى قولها ، لأنها كانت عالمة محل دفن جثمان يوسف النبي عليه السلام وهذا أمر عظيم حيث أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بقبول ما تطلبها العجوز منـــه ، واشيرت فى الرواية أنفا طلباتها التى أرادتها عنه وهذه فضيلة كبيرة الى نالتها العجوز بسبب قليل من العلم وهو العلم بمحل دفن تابوت يوسف عليه السلام وهذا تدل على قيمة العلم وكرامة صاحبه .

وأحب أن أدرج أبياتا هنا عربية وفارسية لكى تبين قيمة العلم وجلالته قال حليم دموس ، ورقه دره .

ياخادم العلم أنت السيد الراقى	فاهنأ بعرشك فهو الخالد الباقى
عرش من المجد فى تاجين ، تاج بهى	وتاج شيب على فوديك براق
إذا سقيت كؤس العلم صافية	والناس من ظماء ، فالفضل للساقى
علم وهذب فما من أمة نهضت	إلا وقامت على علم وأخلاق

وقال الشاعر الفارسى :

زدانش تراسر فرازى بود	زدانش ترابى نيازى بود
زبى دانشى رنج بينى بسى	برى دست حاجت بر هر كسى
زدانش شود آدمى سر بلند	بچشم خلايق شود ار جمند
گواه آرم از گفته أو ستاد	كه روحش بخلد برين شادباد
پزشكك همه رنجها دانش آست	كليد همه گنجها دانش است

[١] تفسير الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨

کسی کزهنر باشدش توشه جهانی است افتاده در گوشه

من کتاب جلاء الارواح ، سأل الرشيد موسى بن جعفر عليهما السلام ، كيف زعمتم أنكم أقرب الى رسول الله صلى آله عليه وآله ، منا فقال : لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله نشر فخطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه ، فقال : سبحان الله أفتخر بذلك على العرب والعجم ، فقال لكنه لا يخطب الى ولا أزوجه .

وفى رواية أخرى ، أنه قال : هل كان يجوز أن يدخل على حريمك وهن مكشفات فقال الرشيد لا : قال : لكنه يدخل فى حرمى وهن كذلك ، فقال الرشيد صدقت (١)

حكى حنين قال : أن سلويه النصرانى ، كان عالما بصناعة الطب فاضلا فى وقته ولما مرض عاده المعتصم ، وبكى عنده ، وقال له اشر على بعدك بمن يصلحنى ، فقال عليك بهذا الفضولى يوحنا ، ابن ماسويه ، وإذا وصف شيئاً فخذه ، ولما مات سلويه ، قال المعتصم : سألحق به لانه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى ، وأمتنع عن الاكل فى ذلك اليوم وأمر باحضار جنازته إلى الدار ، وأن يصلى عليها بالشمع والبخور على رأى النصارى ففعل ذلك وهو يراهم (٢) ونعم ما قاله الشاعر فى قيمة العلم وفضيلته .

لا تروق الحياة الا مع العلم فتصرى الحياة معه طويلة
إن للعلم لذة عرفتها نفس حر تذوقت سلسبيله
فاطلب العلم ما حييت لذات العلم إن كنت من هواة الفضيلة
رفع العلم للسماء رجالا اتخذوا العلم غاية لا وسيلة

أن يوسف عليه السلام : لما صار ملكا ، احتاج إلى وزير فسأل جبريل عن ذلك فقال إن ربك يقول : لا تختر الا فلانا فرآه فى أسوء الاحوال . فقال لجبرئيل كيف

(١) برهان دانش ص ٥٠ [٢] بحانى الادب ج ١ ص ١١٣

يصلح لهذا العمل وسوء حاله . فقال له جبرئيل : إن ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والمكنة ان من ذب عن يوسف عليه السلام ، استحق الشركة فى مملكته «١» .

ونعم ما قالت الشاعرة الفارسية —

بگيتى بهترا زدانشورى نيست — بجز دانش بگيتى مهترى نيست
سرى سخت ودلى ستراربايد — كه كاردين ودانش سرسرى نيست
زدا نشور سخن باورتوان كرد — كه نادان هر چه گويد باورى نيست
بنا دان داورى بردن نشايد — كه جز دانش بگيتى داورى نيست
پريزه كردن ديو وپرى را — بدست جم جزاين انگشترى نيست
بجزيك پرتواز انوارد انش — فروغ آفتاب خاورى نيست
بجز اندر پى دانش غريدن — تكا پوهاى چرخ چنبرى نيست

قال حذيفة المرعشى : قدم شقيق البلخى مكة وابراهيم بن أدهم ، فاجتمع الناس فقالوا نجمع بينهما فى المسجد الحرام ، فقال ابراهيم لشقيق يا شقيق على ماذا اصلتم اصولكم فقال شقيق : اصلنا واصولنا على انا إذا رزقنا اكلنا وإذا منعنا صبرنا ، فقال ابراهيم هكذا كلاب بلخ إذا رزقت اكلت وإذا منعت صبرت ، فقـــال شقيق على ماذا اصلتم اصولكم يا أبا اسحاق ، قال أصلنا واصولنا على انا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا حمدنا وشكرنا ، فقال شقيق وجلس بين يديه ، وقال يا أبا اسحاق انت استاذنا «٢» .

فى تاريخ ابن خلكان ، دخل النضر بن شميل على المأمون ليلة فتفاوضا الحديث فروى المأمون عن هيثم بسنده الى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا

(١) تفسير غرائب القرآن ج ١ ص ٨٣
(٢) برهان دانش ص ١٥٦

تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها فيه سداد من عوز ، فقال النضر حدثنا فلان عن فلان الى على بن ابيطالب عليه السلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها فهو سداد من عوز ، بكسر السين ، قال وكان متوكئاً فاستوى جالسا وقال كيف قلت : سداد قال قلت لان السداد هنا لحن ، فقال المأمون انلحنني ، قلت انما لحن هيثم فتبع امير المؤمنين لفظه ، فقال ما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل ، والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد ، فقال او تعرف العرب ذلك قال قلت نعم ، هذا العرجى يقول

أضاعونى واى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذ المأمون قرطاسا كتب فيه ، ثم قال لخادمه ابلغ معه الى الفضل بن سهل ، فلما قرء الفضل الرقعة ، قال يا نضر قد امرك امير المؤمنين بخمسين الف درهم فما كان السبب فاخبرته فامر لى بثلاثين الف درهم اخرى فاخذت ثمانين الف درهم بحرف واحد استفيد منا «١» .

كان ابو يوسف مريضا . قد رأى فى المنام قائلا يقول : كل لا ، اشرب لا ، فانك تبرء ، فدعى المعبرون والعلماء لم يعلموا شيئا ، فاوله ابو على خياط بشجرة مباركة زيتونة لا شرقيه ولا غربية «٢» .

بعث السلطان محمود الى الخليفة القادر بالله ، يتهدده بخراب بغداد ، وأن تحمل تراب بغداد على الفيلة الى الغزنة ، فبعث اليه الخليفة كتابا (الم) وليس فيه سوى ذلك ولم يدر السلطان ما معنى ذلك ، وتحير علماؤه عن حل هذا الرمز ، وجمعوا كل سورة فى القرآن فى اولها (ا ، ل ، م) فلم يكن فيها ما يناسب الجواب ، وكان فى جملة الكتاب

(١) برهان دانش ص ٨٩

(٢) نفس المصدر « ١٨٤-١٨٥

شاب لم يعبأ به ، فقال ان أذن لى السلطان حللت الرمز ، فاذن له ، فقال : ألم تهدده بالفيلة قال نعم ، قال : كتب اليك « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » فاستحسن السلطان ذلك وقربه وأجازه «١»

قال صاحب الكامل ، فى حوادث سنة تسع وثمانين واربعمأة ، اجتمعت فى هذه السنة ستة كواكب فى برج الحوت فحكم المنجمون بطوفان يقارب طوفان نوح ، فاحضر الخليفة المستظهر ، ابن عيسون المنجم فسأله فقـــال : ان طوفان نوح اجتمعت سبعة السيارة فى برج الحوت ، والآن اجتمعت ستة ، وزحل غير داخل فيها ، وهذا يدل على غرق مدينة أو بقعة فيها خلق كثير ، فخاف الخليفة على بغداد الكثرة من فيها ، فأمر بتحصينها من السيل ، فاتفق ان الحجاج نزلوا فى وادى المنى قبة ، فاتاهم سيل عظيم ، فاغرقهم ولم ينج منهم الا من تعلق بالجبال ، وذهبت الاموال والدواب جميعا فخلع المستظهر بالله على ابن عيسون خلعا فاخرا «٢» .

عن الباقر عليه السلام قال : ولى عمر رجلا الكورة من الشام فافتتحها واذا أهلها اسلموا فبنى لهم مسجداً فسقط ، ثم بنى فسقط ، ثم بنى فسقط ، فكتب الى عمر بذلك فلما قرأ الكتاب سأل اصحاب محمد ، هل عندكم فى هذا علم قالوا لا ، فبعث الى على عليه السلام ، فاقرئه الكتاب ، فقال هذا نبى كذبه قومه فقتلوه ودفنوه فى هذا المسجد وهو متشحط فى دمه ، فاكتب الى صاحبك فلينبشه فانه ستجده طريا ليصلى عليه وليدفنه فى موضع كذا ، ثم ليبنين مسجداً فانه سيقوم قال عمر لعلى عليه السلام ، ما حال هذا الرجل فقال نبى اصحاب الاخدود .

---

(١) برهان دانش ص ١٨٤-١٨٥

(٢) نفس المصدر ص ٢٢٥-٦٩

جاء ان الرشيد جلس يوما لازاحة المظالم ، فتقدمت اليه امرأة ودفعت اليه رقعة فاذا فيها ، أتم الله أمرك ، وفرحك بما أتاك ، وزادك رفعة، فلقد عدلت فقسطت ، فقال الرشيد لمن حضر حين وقف الرقعة ، أتدرون ماذا أرادت هذا المرأة ، فقالوا : ماذا أرادت يا أمير المؤمنين ، قال أما قولها أتم الله أمرك ، فانها عنيت قول الشاعر

إذا تم أمر دنى نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

وأما قولها ، وفرحك بما أتاك ، فاخذته من قول الله عز وجل (حتى إذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وأما قولها زادك رفعة فانه من قول الشاعر :

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وأما قولها ، عدلت فقسطت فاخذته من قول الله تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) فتعجب الحاضرون لوقوع خاطر الرشيد من ذلك ، ثم دعى بها ، وسألها عن حالها وأزاح علتها واكرمها وانصرفت داعية (١)

إن هرون الرشيد كانت له جارية حبشية زكية حسناء ، وكانت قارئة القرآن ، قال : لها ليلا ، دورلى خلفك ، قالت الجارية ، قال الله تعالى (وأتوهن من حيث أمركم الله) قال هرون ، (نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم) قالت الجارية هذه الآية منسوخة بهذه الآية الشريفة (وأتوا البيوت من أبوابها) (٢)

جاء ، ان غلاما لقى أبا العلاء المعرى، فقال : من انت يا شيخ . قال : فلان . قال أنت القائل من شعرك

وانى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

قال نعم ، قال : يا عماه إن الأوائل قد رتبوا ثمانية وعشرين حرفا للهجاء فهل لك

(١ ـ ٢) برهان دانش ص ١٠٤ ص ٢١٥

أن تزيد عليها حرفا . « قال » فدهش المعرى من ذلك وقال : إن هذا الغلام لا يعيش لشدة حذقه وترقد فؤاده «١»

جاء يهودى للمدينة فسأل عن الوصى فعرف ابو بكر فحضر فى مجلسه ، قال : انت الوصى ، فقال: نعم قال ما قرابتك للرسول صلى الله عليه وآله ، فقال أبو بكر : هو زوج ابنتى ، فقال يهودى ، أين ربك ، قال فى العرش فخرج يهودى فعرف عمر ، فجرى بينه ما جرى فى ابى بكر فخرج مهموما فعرف علي بن ابيطالب عليه السلام ، فحضر فسلم وسأل عن القرابة فقال أنا صهره ، وزوج ابنه ، فقال : أين ربك ، فقال على عليه السلام . أتحب جواب أخى موسى للسائل قال نعم : فقال على عليه السلام : جاء رجل الى موسى النبي عليه السلام ، فسأل عن هذا فقال مرسى جاء الى اربعة ملك فى آن واحد أحدها من فرق ، احدها من تحت الارض ، أحدها من المغرب ، احدها من المشرق ، فسئلهم فقالوا عند ربنا (٢) .

جاء شخص فى عهد ابى بكر وسأل عنه ، وقال انى نذرت ان لا اتكلم حين، مع اهلى ، فقال ابو بكر . عليك انلا تتكلم الى القيامة، فقال من أين تقول فقال:من قول الله تعالى ، ومتاعا الى حين ، فسأل عن عمر ، فقال : الى اربعين سنة لان الله تعالى يقول هل اتى على الانسان حين من الدهر ، فسأل عن عثمان ، فقال الى سنة لان الله تعالى يقول تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ، فسأل عن امير المؤمنين عليه السلام ، فقال إن نذرت بالليل فتتكلم بالنهار ، وإن نذرت بالنهار فتتكلم بالليل ، فقالوا من أين تقول ، فقال عليه السلام يقول الله تعالى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون «٣»

---

(١) مجانى الادب ج١ ص ٦٢

(٢) برهان دانش ص ٢١ (٣) برهان دانش ص ١٧٥

الادب

قال امير المؤمنين علي عليه السلام: اذك بالادب قلبك (١)

وفضيلتــه

الادب فى اللغة الظرف وحسن التناول او التعليم والتهذيب كقوله أدبه فلان ، وفى الاصطلاح معاملة الانسان لقومه باللطف والانصاف ولمعاشريه بالبشاشة والصداقة ورعاية جانبهم فى درجاتهم ومراتبهم ، والمحبة الخالصة للعزه الالهية ودوام عبادته والخضوع لقضائه وقدره وهو ملكة تعصم من قامت به عما يشينه وتصونه عن ارتكاب الخطأ وكثرة القدم فهو دستور المعاملة والمعاشرة وبه نعصم من أن نغيظ الغير او نسيء اليه ، ومن شرائطه فى الاجتماعات ان لا نظهر حدة طباعنا مهما اضطرتنا الأحوال الى ذلك وان نحذر كل الحذر من كل كلمة او اشارة تعثر عواطف الحضور أو تخدش اذهانهم إذ الكلام اللين يلين القلوب ولو كانت أقسى من الصخور والكلام الخشن يخشن القلوب ولو كان انعم من الحرير ، قال الشاعر :

تعظيمك الناس تعظيم لنفسك فى　　قلوب الاعداء طرا والاوداء

من يعظم الناس يعظم فى النفوس بلا　　مؤنة وينــل عز الأعزاء

ويمتاز الاديب بلين القلب والشفقة على بنى نوعه واعتبارهم كنفسه وعدم مؤاخذة الغير بهفواتهم وبحلمه وكرمه وسلامة ذوقه وامتلاك نفسه .

وكثيراً ما تؤخذ كلمة الادب بمعنى مجموع العلوم والفنون التى يقصد تهذيب النفوس وتحسين الاخلاق ومنه قولهم ذك عقلك بالعلم والادب كما تذكى النار الحطب .

---

(١) مجمع البحرين مادة ادب ونهج السعادة ج ١

قيل الادب اسم لخصوص المستظرف من العلوم ولا يطلق على غيره .

وقالوا : الفرق بين الاديب والعالم إن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه ، والعالم من يقصد بفن من العلم فيتعلمه . ولذلك قال الامام على عليه السلام ، العلم اكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه (١)

قيل الادب هو الصبر على الغصة حتى تدرك الفرصة

قيل الادب عند أهل الدنيا والذين ضل سعيهم فى حياتها وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، عبارة عن تزيين الاقوال الكاذبة بالفاظ طريفة ، وتحسين الكلمات الفارغة بعبارات ظريفة ، وجذب القلوب باكاذيب الاشعار ، وسحر النفوس بتنميق المقال ، وتحبير البيان .

وأما اهل المعنى والروحانيون ، فالادب عندهم عبارة عن رياضة النفس على التخلق بمكارم الأخلاق ، والتجنب عن مساويها ، والتحلى بمحامد الأوصاف ، والتخلى عن رذائل السجايا .

أو الادب عندهم هو الملكة الحاصلة من الرياضة المذكورة ، وأيا ماكان فلا خفاء فى أن الادب بالمعنى المذكور أحسن عون ومساعد للطبيعة الانسانية ، أو لذوى العقول على تحصيل العلم بالاشياء عن تجربة واختبار (٢) .

قال الشيخ أبو نصر سراج : الناس فى حفظ الاداب على ثلثة طبقات

الطبقة الأولى ، اهل الدنيا وأدبهم فى البلاغة والفصاحة وحفظ العلوم واسماء الملوك والاشعار .

والثانية ، أهل الدين وأدبهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات .

(١-٢) نهج السعادة ج ١ ص ٢٦٥

والثالثة ، اهل الخصوصية وأدبهم فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الاوقات وقلة الالتفات بالخواطر واستواء السر والعلانية ، وحسن الادب من مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب .

قال بعض الحكماء : العقل يحتاج الى مادة الأدب كما يحتاج الابدان الى قوتها من الطعام (١) .

قال بعض الشعراء فى فضيلة الادب وجلالته

السبع سبع ولو كانت مخالبه والكلب كلب ولو بين السباع ربى
وهكذا الذهب الابريز خالطه صفر النحاس فكان الفضل للذهب
لا تنظرن لأثواب على أحد إن رمت تعرفه فانظر الى الادب
فالعود لو لم تفح منه روائحه لم يفرق الناس بين العود والحطب

قال مطلقة الزبيدى : لا يستغنى الأديب عن ثلاث واثنين

فاما الثلاثة ، فالبلاغة والفصاحة وحسن العبادة .

واما الاثنان ، فالعلم بالاثر والحفظ للخبر «٢» .

قال انوشيروان للوبذ وهو العالم بالفارسية : ما كان افضل الاشياء ، قال : الطبيعة النقية تكتفى من الادب بالرائحة ، ومن العلم بالاشارة ، وكما يموت البذر فى السباخ ، كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة ، قال له : صدقت ونحن لهذا فلدناك ما فلدناك (٣) .

وقيل لاردشير : الادب أغلب ام الطبيعة ، فقال : الأدب زيادة فى العقل ، ومنبهة للرأى ، ومكسبة للصواب ، والطبيعة أملك لأن بها الاعتقاد وبها الفراسة وتمام

---

(١) المستطرف ج١ ص ٢٤

(٢) العقد الفريد ج١ ص٣٦٢

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٣٦٣

الغذاء «١» .

وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أهون للعقل بعد الطبيعة المولدة ، قال ادب مكتسب وقالوا : الإدب أدبان : ادب الغريزة وهو الاصل ، وادب الرواية وهو الفرع ، ولا يتفرع شيء إلا عن أصله ولا ينظر إلا لاصل المادة ، وقال الشاعر

ما السيف إلا زهرة لو تركته على الخلقة الاولى لما كان يقطع

وقال آخر ونعم ما قال

ما وهب الله لامرىء هبة أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فان فقدا فان فقد الحياة أحسن به

قال أبو حفص : حسن الادب فى الظاهر عنوان حسن الادب فى الباطن «٢» .

قيل لابى وائل : أيكما اكبر ، أنت ام الربيع ابن خثيم ، قال: أنا اكبر منه سنا ، وهو اكبر منى عقلا «٣» .

قيل : للعباس عم النبي صلى الله عليه وآله ، أنت اكبر أم النبي صلى الله عليه وآله قال : هو اكبر منى وانا ولدت قبله وذلك من أدبه .

قيل : الاديب نسيب الاديب .

قال ارسطوطاليس : ليت شعرى أى شيء فات من ادرك الادب ، وأى شيء ادرك من فاته الادب .

قال افلاطون : بعد الجاهل ان يلتحم به الادب ، كبعد النار أن تشتعل بالماء فاذا رأيت المستمع غير قابل أثر الحكمة فلا تطمع فى صلاحه .

روى ان صبياً كان له سبع سنين وقف على الحجاج ، فقال : أيها الامير ، اعلم ان

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٣

(٢-٣) مجانى الادب ج١ ص ١٣٧

أبي مات وانى حمل فى بطن أمى وماتت امى وانا رضيع وكفلنى الغرباء وخلف لى ضيعة اتمون بها واستند اليها وقد غصبها رجل من عمالك لا يخاف الله ولا يخشى من سطوة الامير عليك بردع الظالم ورد المظالم لتجد ذلك يوم تجدكل نفس ما عملت من خير محضر او ما عملت من سوء تود لو ان بينها امداً بعيد فأمر برد ضيعته وصرف الادباء من بابه «١»

فى بحار الأنوار ، روى عن الصادق عليه السلام ، انه قال : خمس من لم تكن فيه لم يكن كثرة تمتع ، قيل : وما هن يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : الدين ، والعقل ، والحياء ، وحسن الخلق ، وحسن الادب .

كان يقال : من حسن الادب ، أن لا تنازع من فوقك ، ولا تقول إلا بالعلم ولا تتعاطى ما لم تنل ، ولا يخالف لسانك ما فى قلبك ولا قولك فعلك ولا تدع الامر إذا أقبل ولا تطلبه اذا أدبر (٢) .

قال أبو شهيخ فى وصاياه لولده : ثلاث ليس منهن غربة ؛ حسن الادب ، وكف الاذى ، واجتناب الريب الخ

عن الصادق عليه السلام قال ثلاثة ليس معهن غربة حسن الادب ، وكف الاذى ، ومجانبة الريب «٣» .

أوصى رجل بنيه ، فقال يا بنى أصلحوا من السنتكم ، فان الرجل تنوبه النائبة يحتاج ان يتحمل فيها فيستعير من اخيه دابة ومن صديقه ثوبا ، ولا يجد من يعيره لسانا .

---

(١) ارشاد القلوب ج ١ ص ١٧١

(٢) مجموعة ورام ج٢ ص ٢٢

(٣) تحف العقول ص ٣٢٤

وقال آخر الادب مال واستعماله كمال .

قال الشعبي الادب للفقير مال ، وللغنى جمال ، وللحكيم كمال .

قال الاصمعي : بعث إلي الرشيد ، فدخلت فاذا صبية ، فقال : من هذه الصبية قلت : لا أدرى ، قال : هذه مواسة بنت أمير المؤمنين ، فدعوت لها وله . فقال : قم فقبل رأسها ، فقلت إن أنا اطعته أدركته الغيرة فقتلني ، وإن أنا عصيته قتلني بمعصية فوضعت كمي على رأسها ، فقبلت كمي ، فقال : والله يا أصمعي لو اخطأتها لقتلتك ،اعطوه عشرة آلاف درهم (١) .

قال ارسطاطاليس : في آدابه التي كتبها وكان يعلمها الاسكندر : إذا تم العقـــل التحم به الأدب ، كالتحام الطعام بالجسد الصحيح ، فهو يغذيه ويربيه وإذا نقص العقل نبا عنه ما يسمع من الادب ، كما نبا عن المصفور (٢) ما أكل من الطعام ، وإن آثر الجاهل أن يحفظ شيئاً من الادب تحول ذلك الادب فيه جهلا كما يتحول ما خالط جوف المريض من طيب الطعام داء ، فاذا كان الأمر على هذا فاحمد العقلاء من كان عقله من صحة طبيعة وكان رأيه عن سبب معرفة وعلمه من قبل حجة ، وزين منطقه من صدق مقال ، وحسن عمله من حسن نية ، وحسن أدبه من فضل رغبة ، وحسن عطائه من سماع نخيرة (٣) وأداء أمانته عن صدق عفاف ، واجتهاد سعيه في قصد سبيل . ثم وصل

---

(١) تحفة المجالس ص ١١٨

(٢) صفر الرجل ، بالبناء المجهول ، اجتمع في بطنه الصفار ، فهو مصفور ، والصفار حية في البطن تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع ، وقيل حيوان آخر يعض الضلوع والتراشيف ، وقيل دود في البطن .

(٣) النخيرة كالطبيعة لفظا ومعني

الطبيعة بحسن العادة ، وذكاء العقل بشدة الفحص ونفاذ الرأى بدرك المنافع ، وصدق المنطق بحسن الادب ، وحسن الادب بكثرة التعهد وكثرة العطاء بصواب الموضع ، واجتهاد السعى بشدة الورع الخ (١)

لما أمر الرشيد أن يحبس ابى العتاهية لما امتنع من نظم الشعر ، قال ابو العتاهية لما دخلت السجن وأغلق الباب علي ، دهشت كما يدهش مثل فى مثل ذلك الحال ، وإذا برجل جالس فى جانب الحبس مقيداً فجعلت انظر اليه من دون أن اكلمه واسلم عليه فتمثل الرجل قائلا

تعودت مس الضر حتى الفته ... واسلنى حسن العزاء الصبر
وصيرنى يأسى من الناس راجيا ... لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له: أعد اعزك الله هذين البيتين ، فالتفت إلي قائلا ويحك ، يا اسماعيل ، ما أقل ادبك ، وأنقص عقلك دخلت على الحبس فما سلمت على تسليم المسلم على المسلم ولا سئلت مسئلة الحر الحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضل فيك غيره لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسئلتك عذراً لنفسك فقلت يا أخى انى دهشت لهذا الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا ، فقال : أنا والله بالدهشة والحيرة أولى منك ، لأنك حبست فى ان تقول الشعر الذى به ارتفعت فاذا قلته سلمت وأنا مأخوذ بأن ادل على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ليقتل أو اقتل دونه وقد والله لا أدل عليه ابداً والساعة يدعى بى فاقتل ، فاينا أولى بالدهش ، فقلت : انت والله أولى بالدهش سلك الله وكفاك فقال : لا تبخل علينا إذاً ثم قرأ البيتين وكررهما حتى حفظتى فسئلته من هو فقال : انا حاضر داعية عيسى بن زيد بن على بن الحسين عليهم

(١) نهج السعادة ج١ ص ٢٦٨

السلام ، وابنه أحمد ولم يلبث ان سمعت صوت الاقفال . فقام وسكب عليه الماء من جرة كانت عنده ولبس ثوباً نظيفاً ، ودخل الحرس والجند ومعهم الشمع وأخرجنا جميعا وقدم قبلي الى الرشيد فسئله عن احمد بن عيسى ، فقال : لا تسألني عنه واصنع ما انت صانع فلو انه تحت ثوبي ما كشفت عنه فأمر فضربت عنقه رحمه الله ، فقال : ارتعت يا اسماعيل ، فقلت دون ذلك ما تسيل منه النفوس ولم يردني الى الحبس وانتحلت البيتين وزدت عليهما :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلما تكرهت منه طال عتبي على الدهر (١)

(١) الاخلاق المرضية ص ٢٣٩

التعلم في الصغر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر (١) .

إن هذا الحديث الشريف يؤكد الانسان ان يتعلم العلم والفضيلة فى صغره وحين طفوليته وفى وقت يقدر أن يميز الاشياء زينها من شينها . لأن الانسان فى تلك الحالة ، أى حالة الطفولية ، إذا أقبل الى أى علم من العلوم أو فن من الفنون وقرء منه مسئلة أو فصلا لايزال العلم ثابتا فى قلبه وينقش على خاطره ولا ينساه إلا اذا لم يرجع اليها ابداً فهذا هو فضل كثير ونعمة كبيرة على كل انسان من عند الله تعالى .

وبهذا المعنى جاءت الاحاديث والاخبار حثاً للافراد الذين يحبون الكمال والاخلاق الملكوتية والاداب الانسانية أن يجدوا بتربية أولادهم وتعليم أطفالهم فى صغر سنهم من ابتداء تشخيصهم الخير من الشر أو من الوقت الذى يشخص الطفل يده اليمنى من اليسرى فهذا أوان تحصيله المكارم والآداب وتعلمه العلوم والفضائل ، ذكر ابن وهب عن موسى بن على عن أبيه ، إن لقمان الحكيم قال لابنه : يا بنى ابتغ العلم صغيرا ، فان ابتغاء العلم ليشق على الكبير (١) .

وأما الانسان إذا اشتغل بالتعلم فى كبره فاولا لا يفهم المسائل العلمية كمال الفهم . وثانيا لا يرتكز العلم والمعارف فى قلبه فبعد قليل يزول عن خاطره المسئلة العلمية التى تعلمها واستمعها من استاذه ، كما ورد عن الامام امير المؤمنين على عليه السلام انه قال :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٨٦

انما قلب الحدث كالارض الخالية ما القى فيها من شيء إلا قبلته (١) .

ويدل على هذا المعنى كثير من الأخبار التى وردت عن الائمة الهدى عليهم السلام وأقوال العلماء الاخيار ونكتفى بجملة منها ، لتشويق المتعلمين ولمن يعلمون أطفالهم ويبادرون بتأديبهم فى صغر سنهم ، مضافا الى ما مر فى الحديث الذى جعلناه عنوانا للكلام والبحث .

جاء فى الخبر أيضا ، مثل الذى يتعلم العلم فى صغره كالنقش على الحجر ومثل الذى يتعلم العلم فى كبره ، كالذى يكتب على الماء (٢) .

عن ابن عباس رضوان الله تعالى عليه ، ما ارتى عالم علما إلا وهو شاب وقد نبه الله على ذلك بقوله تعالى (وأتيناه الحكم صبيا) (٣) .

وأيضا عن النبى صلى الله عليه وآله : من تعلم فى شبابه كان بمنزلة الرسم فى الحجر ، ومن تعلم وهو كبير كان بمنزلة الكتاب على وجه الماء (٤) .

وقد عقدت عقدة فى قلبى ، وهى أنه فى وقت كنت لايقا للتعلم ما كان لى اى مربى ومعلم أن يربينى ويعلمنى فى صغرى ، وانى أيضا لست أعرف الفضيلة ولا قيمتها حتى أبادر نحوها لانجى نفسى من الظلة والهلكة ، فبعد انقضاء الوقت أصبحت نادما فتى اتمم ما أريد أن اتحصل من العلوم فتغرب شمس حياتى فانى أحب أن أنصح أولياء الاطفال أن لا يعاملون مع أطفالهم معاملة الحمق والجهال لأجل تعليمهم وتأديبهم فضائل الاخلاق وتهذيبهم من الأخلاق المذمومة والصفات الرذيلة .

وإن كثيراً من العلماء الاعلام لقد نالوا منصب العظمى من العلم فى سن لا يتجاوز عن عشرين سنة وبعضهم رضوان الله تعالى لقد وصلوا الدرجة العالية من العلم والاجتهاد

---

(١) الواعظ ج١ ص ٥٢ نقلا عن السفينة

(٢-٣) منية المريد ص ٧٨

(٤) مجموعة الاخبار ص ٢٧

فى عشرة سنة الى خمسة عشر سنة ، كالعلامة الحلى أو العلامة المجلسى أو غيرهما عمن نال العلم بتمامه قبل البلوغ كابن سينا البلخى الافغاني .

عن أبي هريرة ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من تعلم العلم وهو شاب كان كوشم فى حجر ، ومن تعلم العلم عند ما يدخل فى السن كان كالكاتب على ظهر الماء.(١).

قال الحسن بن على عليهما السلام : لبنيه ولبنى أخيه ، تعلموا العلم فانكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً فمن لم يحفظ فليكتب (٢) .

عن ابى عروة بن الزبير أنه كان يقول لبنيه : يا بنى إن أزهد الناس فى عالم أهله فهلموا إلي فتعلموا منى ، فانكم توشكون أن تكونوا كبار قوم انى كنت صغيرا لا ينظر إلى فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني وما شيء أشد على امرىء من أن يسئل عن شيء من أمر دينه فيجهله .

قال ابن الانبارى : أنشدنى أبى فى أبيات ذكرها

فهبنى عذرت الفتى جاهلا ... فما العذر فيه إذا المرء شاخا

ولابن اعبس فى أبيات له

ما أقبح الجهل على من بدا ... برأسه الشيب وما أشنعه

وقال آخر :

رأيت العلم لم يكن انتهابا ... ولم يقسم على عدد السنين

ولو أن السنين تقاسمته ... حوى الاباء أنصبة البنين

وقال آخر :

إن الحداثة لا تقصر بالفتى المرزوق ذهنا

لكن تذكى عقله فيفوق اكبر منه سنا

(١-٢) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٨٢

من كلمات اكابر العلماء ، من لم يتعلم فى صغره ، لم يتقدم فى كبره .

وفى المثل المعروف ، التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر .

قال الشاعر ونعم ما قال

أرانى أنسى ما تعلمت فى الكبر ... ولست بناس ما تعلمت فى الصغر
وما العلم إلا بالتعلم فى الصبا ... وما الحلم إلا بالتحلم فى الكبر
ولو فلق القلت المعلم فى الصبا ... لاانى فيه العلم كالنقش فى الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف ... إذا كل قلب المرء والسمع والبصر
وما المرء إلا اثنان ، عقل ومنطق ... فمن فاته هذا وهذا فقد درى

وقال شاعر آخر وقد دره :

تعلم يا فتى والعود رطب ... وطينك لين للطبع قابل
ويومك لا تدع يمضى جبارا ... فيشغل فى غد عن ذاك شاغل
فان الجهل واضع كل عال ... وان العلم رافـــع كل خامل
فما أن يستوى ظلم ونور ... ولا الرجلان : سحبان وباقل
وحسبك يا فتى شرفا ونبلا ... سكوت الحاضرين وانت قائل

وأيضا قال شاعر وقد دره

ربوا بنيكم علموهم هذبوا ... فتيانكم فالعلم خير قوام
العلم مال للمعدمين إذا هم ... خرجوا الى الدنيا بغير حطام
وأخو الجهالة فى الحياة كأنه ... ساع الى حرب بغير حسام
العلم يرفع امة ويعزها ... والجهل يجعلها اذم مقام

الادب ينجى الانسان من المهالك

قال الله العزيز الحكيم : الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (١) .

فى تفسير هذه الآية المباركة وردت رواية تدل على أن الأدب ينجى الانسان من المهالك والخطرات التى كاد أن يصبح مقتولا لولا أدبه .

روى أن جارية لعلى بن الحسين عليهما السلام : جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلوة ، فسقط الابريق من يدها فشجه فرفع رأسه اليها ، فقالت له الجارية : إن الله تعالى يقول : والكاظمين الغيظ ، فقال لها : كظمت غيظى ، قالت : والعافين عن الناس ، قال : عفا الله عنك ، قالت : والله يحب المحسنين ، قال : إذهبى فانت حرة لوجه الله (٢) .

روى عن جعفر الصادق عليه السلام ، أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه ، فوقع الأبريق من يد الغلام فى الطست : فطار الرشاش فى وجهـــه فنظر الامام جعفر الصادق عليه السلام اليه نظر مغضب ، فقال : يا مولاى الله يأمر بكظم الغيظ ، قال : قد عفوت عنك ، قال : والله يحب المحسنين . قال : إذهب فانت حر لوجه الله تعالى (٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٤

(٢) تفسير الصافى المجلد الاول ص ٢٩٨

(٣) معانى الادب ج١ ص ٦٧

حضر رجل بين يدى بعض الملوك فاغلظ له السلطان ، فقال له الرجل انما أنت كالسماء إذا أرعدت وأبرقت فقد قرب خيرها . فسكن غضبه وأحسن اليه (١) .

غلام هاشمى أراد عمه أن يجازيه بسهو منه فقال : يا عم انى قد اسأت وليس لى عقل ، فلا تسىء ومعك عقلك (٢) .

دخل ذو ذنب على سلطان ، فقال باى وجه تلقانى ، فقال بالوجه الذى القى به الله وذنوبى اليه أعظم وعقابه اكبر ، فعفى عنه .

غضب الرشيد على حميد الطوسى ، فدعا له بالنطع والسيف فبكى ، فقال له : ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما افزع من الموت لأنه لا بد منه وانما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك وعفا عنه (٣) .

أمر زياد بضرب عنق رجل ، فقال : أيها الأمير إن لى بك حرمة ، قال وما هى قال إن أبى جارك بالبصرة ، قال : ومن أبوك ، قال : يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى ، فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (٤) .

تغيظ عبد الملك بن مروان على رجاء بن حياة ، فقال : والله لئن أمكننى الله منه لافعلن به كذا وكذا ، فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حياة: يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله تعالى فعفا عنه وأمر له بصلة (٥) .

حكى إن الحجاج خرج فى بعض الايام للتنزه فصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فلاقى شيخا من بنى عجل فقال له : من اين أنت يا شيخ ، قال : من هذه القرية قال : ما رأيكم بحكام البلاد . قال : كلهم أشرار يظلمون الناس ويختلسون أموالهم . قال : وما قولك فى الحجاج . قال : هذا أبخس الكل سود الله وجهه ورجه من استعمله على هذه

[١-٢] مجانى الادب ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣

(٣-٤-٥) نفس المصدر ، ص ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧

البلاد . فقال الحجاج : تعرف من أنا قال لا والله . قال أنا الحجاج . قال أنا فداك وأنت تعرف من أنا . قال لا ، قال أنا زيد بن عامر مجنون بنى عجل اصرع كل يوم مرة فى مثل هذه الساعة . فضحك الحجاج وأجازه (١) .

دخل بهلول وعليان المجنون على الرشيد ، فكلمهما وأغلظا له فى الجواب ، فامر بقطع رسيف ، فقال عليان كنا مجنونين فصرنا ثلاثة (٢) .

قال الرشيد لرجل رمى بالزندقة لاضربنك حتى تقر ، قال هذا خلاف ما أمر الله تعالى به ، أمر بأن يضرب بالايمان وأنت تضربنى لاقر بالكفر فعفى (٣) .

روى ان كسرى انوشيروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق فى العلوم . فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه . فحقد انوشيروان عليه ، فلما ولى الملك قال للمعلم :ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا . فقال له :لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فاحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم ، فقال انوشروان زه زه ، ورفع قدره (٤) .

جيء باعرابي الى أحد الحكام ليؤاخذه لجريرة ارتكبها ، فكتب الاعرابى قصته فى كتاب ورفعه الحاكم ، وهو يقول : هاؤم اقرؤ كتابيه ، فقيل له : يا إعرابى هذه آية من القرآن يقال يوم القيامة ، فقال اعرابى يومكم هذا شر من يوم القيامة إن يوم القيامة يؤتى فيه بحسناتى وسيئاتى ، وأنتم جئتم بسيئاتى وتركتم بحسناتى (٥)

كان ملك من ملوك الفرس عظيم المملكة شديد النقمة . وكان له صاحب مطبخ .

---

(١) مجانى الادب ج١ ص ٨٩

(٢-٣) برهان دانش ص ١٥٩ - ١١٠

(٤) مجانى الادب ج٣ ص ١٨٣

(٥) برهان دانش ص ٢٠٤

فلما قرب اليه طعامه فى بعض الايام سقطت نقطة من الطعام على يديه ، فزوى لها الملك وجهه وعلم صاحب المطبخ أنه قاتله ، فكفأ اله جفنة على رأسه . فقال الملك على به فلما أتاه قال له : قد علمت ان سقوط النقطة أخطأت بها يدك . فما عذرك فى الثانية ، قال : استحييت للملك أن يقتل مثلى فى سنى وقديم حرمتى فى نقطة فاردت أن أعظم ذنبى ليحسن به قتلى ولئلا ينسبك الناس الى الظلم والجور . فقال له الملك إن لطف الاعتذار ينجيك من القتل ، فانت حر لوجه الله (١) .

قيل انسكب الكأس من يد غلام انوشروان عنده فتغير . ونظر اليه بالعنف . فاكب الغلام جميع ظروف المجلس وكسرها ، قال انوشروان فما هذا ، قال علمت انك تقتلنى بانصباب القدح الاولى ، وكانت سيئة جزئية فيذمونك الناس ، وارتكبت السيئة الكبرى اتأمن من الذم واللوم ، فعفى الملك عنه وقرب اليه .

وجاء فى التاريخ إن الرشيد سخط على حميد الطوسى فدعا له بالسيف والنطع فبكى ، فقال فما يبكيك قال والله ما أفزع من الموت ، فانه لابد منه ، وإنما بكيت أسفاً على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على ، فضحك وعفا عنه ، وقال إن الكريم إذا خادعته انخدعا .

إن قطر الندى بنت خمارويه - بضم الخاء - ابن أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية . زوجة المعتضد بالله الخليفة العباسى قال ابن خلكان : كان صداقها الف الف درهم ، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل .

حكى إن المعتضد خلا بها يوما للانس فى مجلس أفرده لها ما أحضر سواها فأخذت منه الكأس فنام على فخذها ، فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة وخرجت فجلست فى ساحة القصر ، فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا ، ونادى بها فاجابته من قرب فقال

(١) مجانى الادب ج ٢ ص ١٨٨

ألم أخلو بك إكراما لك ، ألم ادفع اليك مهجتى دون سائر حظاياى فتضعين رأسى على وسادة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ما جهلت قدر ما أنعمت على ولكن فيما أدبنى به أبى ، قال لا تنامى مع الجلوس ولا تجلسى مع النيام (١) .

سخط كسرى على بزرجمهر فحبسه فى بيت مظلم وأمر أن يصفد بالحديد فبقى أياما على تلك الحالة ، فأرسل اليه من يسأله عن حاله فاذا هو مشروح الصدر مطمئن النفس فقالوا له : أنت فى هذه الحالة من الضيق وتراك ناعم البـــال . فقال : اصطنعت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها فهى التى أبقتنى على ما ترون . قالوا صف لنا هذه الاخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى فقال نعم :

أما الخلط الاول فالثقة بالله عز وجل .

وأما الثانى فكل ما شاءه الله كائن .

وأما الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن .

وأما الرابع فاذا لم أصبر فاذا أصنع ولا أعين نفسى بالجزع .

وأما الخامس فقد يكون أشد مما أنا فيه .

وأما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج ، فبلغ ما قاله كسرى . فأطلقه وأعزه (٢) .

كلم الشعبى عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين فى قوم حبسهم ليطلقهم فأبى فقال له : أيها الأمير إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم . وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم ، فأطلقهم (٣) .

---

(١) الكنى والالقاب ج ١ ص ٤٢

(٢) مجانى الادب ج ٢ ص ١٧٢

(٣) » » » ص ١٦٩

لما بنى محمد بن عمران قصره حيال قصر المأمون قيل له : يا أمير المؤمنين باراك وباهاك ، فدعاه وقال : لم بنيت هذا القصر حذاءى قال : يا أمير المؤمنين أحببت أن ترى نعمتك على فجعلته نصب عينيك فاستحسن المأمون جوابه وعفا عنه (١) .

اتى المنصور برجل أذنب فامر بقتله . فقال إن الله تعالى يأمرك بالعدل والاحسان فان أخذت فى غيرى بالعدل فخذ فى بالاحسان فأمر باطلاقه (٢)

لما قدم نصر بن منيع بين يدى المأمون وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين : إسمع منى كلمات أقولها قال : قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه والصقر منقض عليه يطير
إنى لمثلك لا اتمم لقمة واين شويت فانى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده كرما وأفلت ذلك المصفور

فعفا عنه (٣) .

وقال الشاعر الفارسى فى هذا المعنى :

تناسب ندارد بباز سفيد كه بر خيل گنجشگ بستد اميد
اگر عنقاز بى صيدى بميرد شكار از خيل گنجشكان نگيرد

سرق شاب سرقة فأتى به الى المأمون ، فأمر بقطع يده . فتقدم لتقطع يده فانشد الشاب يقول :

يدى يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك أن تلقى نكالا يشينها

---

(١) مجانى الادب ج٢ ص ١٦٩

(١) برهان دانش ص ٢٣٠

(٣) مجانى الادب ج ٢ ص ١٥٧

فلا خير فى الدنيا ولا حاجة بها إذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت أم الشاب واقفة على رأسه فبكت وقالت : يا أمير المؤمنين إنه ولدى وواحدى ، ناشدتك الله ألا رحمتنى وهدأت لوعتى . وجدت بالعفو عما استحق العقوبة . فقال المأمون : هذا حد من حدود الله تعالى . فقالت : يا أمير المؤمنين إجعل دفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التى تستغفر منها فرق لها المأمون وعفا عنه (١) .

أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد العشاء سكران ضرب عنقه . فطاف ليلة من الليالى فوجد ثلاثة فتيان يتمايلون وعليهم امارات السكر فاحاطت بهم الغلمان . وقال لهم صاحب الحرس : من أنتم حتى خالفتم أمير المؤمنين وخرجتم فى مثل هذا الوقت فقال أحدهم :

أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها

تاتيه بالرغم وهى صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

فامسك عنه وقال : لعله من أقارب أمير المؤمنين . ثم قال للاخر ، وأنت من تكون ، فقال :

أنا ابن من لا تنزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عنه وقال : لعله ابن أشراف العرب . ثم قال للاخر ، وانت من تكون فانشد على البديهة :

أنا ابن من خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت

وركبياه لا ينفك رجلاه منهما إذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

(١) مجانى الادب ج ٢ ص ١٧٦

فامسك عن الآخر ، وقال : لعله ابن أشجع العرب واحتفظ عليهم . فلما كان الصباح رفع أمرهم الى أمير المؤمنين فاحضرهم وكشف عن حالهم . فاذا الاول ابن حجام ، والثانى ابن فوال ، والثالث ابن حائك . فتعجب من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا أولادكم الأدب فو الله لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم (١)

حكى ان المأمون اشرف على قصره فرأى رجلا يكتب بفحمة على حائط قصره ، فقال المأمون لبعض خدمه : إذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وأتنى به ، فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال : ما كتبت . فاذا هو قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشؤم واللؤم متى يعيش فى أركانك البوم
يوما يعيش فيك البوم من فرحى اكون أول من ينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له أجب امير المؤمنين ، فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بى اليه . فقال الخادم لا بد من ذلك . ثم ذهب به ، فلما مثل بين يدى امير المؤمنين واعلم بما كتب فقال له المأمون ويلك ما حملك على هـــذا . فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفرش والاوانى والأمتعة والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر وصفى ، ويعجز عنه فهمى . وانى قد مررت عليه الآن وأنا فى غاية من الجوع والفاقة . فوقفت مفكرا فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال . وأنا جائع ولا فائدة لى فيه . فلو كان خرابا ومررت به لم اعـــدم رخامة أو خشبة أو مسماراً ابيعه واقتوت بثمنه . أو ما علم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرىء نصيب ولا حظ تمنى زوالها

(١) اغانى الادب ج٣ ص ١٥٢

وما ذاك من بغض له غير أنه يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف درهم . ثم قال هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا باهله مسرورا بدولته (١) .

قيمة الادب

قال أمير المؤمنين على لولده الحسن عليهما السلام : يا بنى احرز حظك من الادب ، وفرغ قلبك فانه أعظم من أن يخالطه دنس ، واعلم ، إنك إذا افتقرت عشت به ، وإن تغربت كان لك كالصاحب الذى لا وحشة معه .

يا بنى ، الادب لقاح العقل وذكاء القلب وعنوان الفضل واعلم انه لامروءة لأحد بماله ، ولا حاله ، بل الأدب عماد الرجل وترجمان عقله ودليله على مكارم الأخلاق وما الانسان لولا الادب إلا بهيمة مهملة (٢) .

ومن كلام له ايضا لولده الحسن عليهما السلام : أى بنى ما الانسان لولا الادب إلا بهيمة مهملة ، واعلم اى بنى ان العاقل يتعظ بالادب والبهيمة تتعظ بالضرب (٣) .

عن أمير المؤمنين عليه السلام ، الأدب كنز عند الحاجة ، عون على المروءة ، صاحب فى المجلس ، أنيس فى الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية وتحيى به الألباب الميتة ،

---

(١) مجانى الادب ج٣ ص ١٧٨

(٢) ارشاد القلوب ج ١ ص ١٥٨

(٣) الاخلاق المرضية ص ٢٢٢

وينال به الطالبون ما حاولوا (١) .

قال ابن المقفع : إذا اكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك ، فان الكرامة تزول بزوالهما ، ولكن ليعجبك إذا اكرموك لدين أو ادب (٢) .

قال بعض الحكماء : إعلم ان جاها بالمال انما يصحبك ما صحبك المال ، وجاها بالادب غير زائل عنك (٣)

أوصى حكيم ابنه فقال : يا بنى عز المال للذهاب والزوال ، وعز السلطان يومان يوم لك ، ويوم عليك ، وعز الخول والدثور ، وأما عز الأدب فعز راتب رابط لا يزول بزوال المال ، ولا يتحول بتحول السلطان ، ولا ينقص عن طول الزمان ، يا بنى عظمت الملوك أباك وهو أحد رعيتها وعبدت الرعية ملوكها ، فشتان ما بين عابد ومعبود يا بنى لولا أدب ابيك لكان الملوك بمنزلة الابل النقالة والعبد الخالة (٤) ،

قال أبو عبد الله عليه السلام : إن أجلت فى عمرك يومين فاجعل احدهما لادبك ، تستعين بـــه على يوم مونك ، فقيل له : وماتلك الاستعانة قال : تحسن تدبير ما تخلف وتحكمه (٥) .

قيل لبقراط الحكيم : ما الفرق بين من له أدب ، ومن لا أدب له ، قال : كالفرق بين الحيوان الناطق ، والحيوان الذى ليس بناطق (٦) .

قال الشاعر الفارسى ولله دره

---

(١) المستطرف ج ١ ص٣٢

(٢-٣) العقد الفريد ج٢ ص٢٣٢

(٤) المخلاة ص ٤

(٥) نهج السعادة ج١ ص ٢٦٧

(٦) المستطرف ج١ ص ٢٤

ادمی فضل بر دیگر حیوان بجوان مردی وأدب دارد
گر تو گوئی بصورت آدمیم هو شمند از تواین عجب دارد
پس توهمتای نقش بردیوار گوهم این گوش وچشم ولب دارد

قال بعضهم : كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر، وكل شيء يرخص إذا كثر إلا الادب فهو إذا كثر غلا .

سمع بعضهم رجلا يقول : أنا غريب ، فقال : كلا ، الغريب من لا أدب له .

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال لهم

الادب اكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، يرفع الاحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجليلة ، ويغنى من غير عشيرة ، ويكثر الانصار من غير رزية ، فالبسوه حلة ، وتزينوا به حلية ، يؤانسكم فى الوحشة ، ويجمع القلوب المختلفة ، وانشد الاصمعى

إن كان للعقل مولود فلست أرى ذا العقل مستوحشا من حادث الادب
انى رأيتهما كالماء مختلطا بالترب تظهر منه زهرة العشب (١)

قال ابن القرشى

أهل الادب هم الاكثرون وإن قلوا ، ومحل الانس أين حلوا ،

قال خالد بن صفوان لابنه

يا بني الادب بهاء الملوك ورياش الوقة والناس بين هاتين فتعلمه تجده حيث تحب .

قال اهل الظاهرية لو علم الجاهلون ما الادب ، لايقنوا انه الطرب .

يقال من قعد به حسبه ، نهض به أدبه .

قال جالينوس الحكيم : إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف ابيه زائداً فى سقوطه «٢» .

---

(١) مجاني الادب ج ٣ ص ١٤٥ «٢» المستطرف ج١ ص ٢٤

قال بزرجمهر لكسرى وعنده أولاده » : أى اولادك احب اليك ، قال أرغبهم فى الاداب وأجزعهم من العار ، وأنظرهم الى الطبقة التى فوقهم «١» .

قال امير المؤمنين على عليه السلام أدب المرء خير من ذهبه .

ويقول الشاعر الفارسى

بى ادب را بزر مكوكه نكوست ادب مرد بهتر از زر اوست

با ادب هست مرغ روحانى سنگ پر باش از زر كانى

از ادب عقل راید از زر جهل جهل نزديك عقل باشد سهل

ونتعرض هنا أبياتا راجعة فى الموضوع عربية وفارسية وفى الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام

أيها الفاخر جهلا بالنسب انما الناس لام ولاب

هل تراهم خلقوا من فضلهم هل سوى لحم وعظم وعصب

انما الفخر لعقل ثابت وحياء وعفاف وأدب

وقال شاعر وقه دره

إن الجواهر درها ونضارها من الفداء لجوهر الاداب

فاذا اكتنزت او ادخرت ذخيرة تسمو بزينتها على الاصحاب

فعليك بالادب المزين اهله كما تفوز ببهجة وثواب

فلرب ذى مال تراه مبعدا كالكلب ينبح من وراء حجاب

وترى الاديب وإن دهته خصاصة لا يستخف به لدى الاتراب

وقال آخر

ذخائر المال لا يبقى على احد والعلم تذخره يبقى على الابد

«١» مجانى الادب ج١ ص ٥٦

والمرء يبلغ بالآداب منزلة ... بذل فيها له ذو المال والعقد

قال البستى

من شاء عيشا رخيا يستفيد به ... فى دينه ثم فى دنياه إقبالا
فلينظرن الى ما فرقه أدبا ... ولينظرن الى ما دونه مالا

وقال آخر

ولم أر عقلا صح إلا بشيمة ... ولم ار علما صح إلا على ادب

وقال آخر

من كان مفتخراً بالمال والنسب ... فانما فخرنا بالعلم والادب
لا خير فى رجل حر بلا ادب ... لالا ، وإن كان منسوبا الى العرب

وقال آخر

لا فقر اكبر من فقر بلا ادب ... ليس اليسار بجمع المال والنشب (١)
ما المال إلا جزازت ملفقـــة ... فيها عيون من الاشعار والخطب

وقال البحترى وقد دره

رأيت القنوع على الاقتصاد ... قنوعا به ذلة فى العباد
وعز بذى ادب أن يضيق ... بعيشته وسع هذى البلاد
إذا ما الاديب ارتضى بالخمول ... فما الحظ فى الادب المستفاد

وقال آخر

إذا لم يكن المرء عقل يزينه ... ولم يك ذا رأى سديد ولا ادب
فما هو إلا ذو قوائم اربع ... وإن كان ذا مال كثير وذا حسب

---

(١) النشب العقار والمال

قال احد ادباء الفارسی وقد دره

از ادب پر نور گشته این فلك — در ادب معصوم وپاك آمد ملك
از خدا جوئیم توفیق ادب — بی ادب محروم ماند از فیض رب
بی ادب تنها نه خود را داشت بد — بلکه آتش بر همه آفاق زد

وقال آخر

ادب بهتر از گنج قارون بود — فزونتر زملك فریدون بود
بزرگان نکردند پروای مال — که اموال را هست روزی زوال
عنان سوی علم وادب تاختند — که نام نکو از ادب یافتند

وقال آخر وقد دره

بصورت آدمی شد قطره آب — که چل روزش قرار اندر رحم ماند
وگر چل ساله را عقل وادب نیست — بتحقیقش نشاید آدمی خـــواند

وقال آخر :

در مجلسی که شرم وادب نیست فیض نیست
زآنرو مرا نه صحبت بیگانه خوشتر است
کفران نعمت گله مندان با ادب
در کیش من زشکر گدا بانه خوشتر است

وقال الدکتور قاسم رسا وقد دره

ای جهان دیده بسوی این جهان دلفریب
که متاعش همه نیرنگ وفسون است وفریب
باز کن دیده عبرت که پی عبرت خلق
دهر آورده پدید این همه آثار عجیب

همدم اهل ادب باش كه فضل وادب است
بوستانى كه زدلها برد آرام وشكيب
زيب تن جامه نقوا وفضيلت كن وبس
كه ترا نيست بگيتى به از اين زيور وزيب
در ديار يكه ادب را نبود قدر و بها
نز ند دم زادب مرد سخندان وادبب
اى دريغا كه هنر گشته در اين قوم زبون
اى دريغا كه ادب گشته در اين ملك غريب

الادب الفطري

قال كسرى لمؤبذه (هو العالم بالفارسية وغيرها) ما خير ما يعطى الرجل فى الدنيا ، قال : علم ينتفع به ، قال : فان لم يرزق ذلك ، قال عقل يعيش به ، قال فان لم يرزق ذلك ، قال صاعقة تنزل عليه فتحرقه اتريح منه البلاد والعباد (١) .

قال انوشيروان ابزرجمهر : أى الاشياء خير للمرء ، فقال : عقل يعيش به قال : فان لم يكن ، قال : إخوان يشيرون عليه ، قال : فان لم يكن فمال يتحبب به الى الناس ، قال : فان لم يكن ، فمى صامت ، قال : فان لم يكن ، قال : فموت جارف (٢) .

قال رجل لحكيم : ما خير الاشياء لى ، قال : أن تكون عالما ، قال : فان لم اكن ،

---

(١) اسرار البلاغة ص ٣٢٣

(٢) برهان دانش ص ١١٧

قال : أن تكون مثريا ، قال : فان لم اكن ، قال : ان تكون شاريا ، قال : فان لم اكن قال : فان تكون ميتا . أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال

إذا فاتك العلم جد بالقرى وإن فاتك المال سد بالقراع
فان فات هذا وهذا وذاك فمت فحياتك شر المتاع

وقال أيضا فى المعنى بعينه

ولو لا الحجا والقراء والقراع لما نضل الاخر الأولا
ثلاث متى يخل منها الفتى يكن كالبهيمة أو أرذلا (١)

سئل بعض الملوك وزيراً له عن أفضل ما يتحلى به المرء ، فقال له : لا حلية افضل من الادب ، قال : فان عدمه ، قال : مال فهو مروة ، قال فان عدمه ، قال فقر معه صبر ، قال فان عدمه ، قال: فصاعقة تنزل عليه من السماء فتحرقه (٢) .

قال بعض الشعراء تقريبا فى هذا المعنى

إذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا أنت ذو دين فترجوك للدين
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من طين

وقال الصفدى ، لو كان أمر هذين البيتين بيدى لهدمت المافية وقلت

إذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا انت ذو جود فترجوك للقربى
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من خزى

روى انه جاء رجل الى الحسن بن على عليهما السلام ، فقال : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ، روى عن جدك رسول الله (ص) انه قال : إذا كان لاحدكم حاجة فليطلبها من ثلاثة نفر من رجل قرشى او من رجل حامل كتاب الله ، او من رجل

(١) ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٣٧٨
(٢) الاخلاق المرضية ص ٢٢٤

صبيح الوجه ، وقد جمعت فيك هذه الخصال ، فقال عليه السلام : انه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انزلوا الناس منازلهم وأنا اسئلك ثلاث خصال إن أجبتنى اعطيتك ثلاث مأة دينار ، قال : سل ولا قوة إلا بالله فقال له عليه السلام : ما زينة المرء ، قال علم معه حلم ، قال فان فاته ذلك ، قال كرم معه ورع ، قال : فان فاته ذلك ، قال فقر معه صبر ، قال فان فاته ذلك ، قال: صاعقة من السماء تهشم جلده وعظمه فتبسم عليه صلوات الله وضاعف له ما طلب (١) .

ومثل هذا الجواب قد اتفق لاعرابى جاء للحسين بن على عليهما السلام ، فقال له يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن ادائها ، وقلت فى نفسى : اسئل اكرم الناس وجئت اليك ، فقال له الحسين عليه السلام : انى سائلك عن مسائل ثلاث فان أجبت عنها اعطيتك تمام الدية وإن أجبت عن واحدة أعطيتك الثلث ، وإن اجبت عن أثنين أعطيتك الثلثين ، فقال الاعرابى ، يا سيدى مثلك من يسئل مثلى وأنت من أهل العلم والشرف، فقال عليه السلام ،سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : المعروف بقدر المعرفة ، فقال : سل ، فان أجبت وإلا تعلمت منك ، فقال عليه السلام :

أى الاعمال أفضل ، قال : الايمان بالله ، فقال عليه السلام : فما النجاة من المهلكة ، قال الثقة بالله ، قال عليه السلام : فما يزين الرجل ، قال علم معه حلم ، قال عليه السلام : فان اخطأه . قال : مال معه مروة ، قال عليه السلام : فان اخطأ ذلك ، قال : صاعقة من السماء تنزل عليه فتحرقه ، فضحك عليه السلام، ورمى اليه بصرة فيها الف دينار ، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمتـــه مائتا درهم ، فانصرف الاعرابى وهو يقول : الله يعلم حيث يجعل رسالته «٢» .

---

(١) برهان دانش ص١٥٤ «٢» الاخلاق المرضية ص ٢٢٤

لما قتل عثمان وجلس علي بن أبيطالب عليهما السلام مقامه ، فجاء إعرابي فقال : يا أمير المؤمنين إني مأخوذ بثلاث علل ، علة النفس ، وعلة الفقر ، وعلة الجهل ، فاجاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : يا أخا العرب علة النفس تعرض على الطبيب ، وعلة الفقر تعرض على الكريم ، وعلة الجهل تعرض على العالم ، فقال الاعرابي ، أنت الطبيب وأنت الكريم ، وأنت العالم ، فامر عليه السلام ، بأن يعطى له ثلاث آلاف درهم وقال تنفق الفا بعلة النفس ، والفا بعلة الفقر ، والفا بعلة الجهل .

الأدب مع الله تعالى

قال الله العزيز الحكيم : إني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى (١)

فأمره (أي موسى عليه السلام) بخلع نعليه عند مناجاته (٢) .

قيل : أمر بخلع نعليه لأن الحفوة تواضع وأدب (٣) .

ومن أعظم الامور التي يجب على الانسان مراعاتها والعمل بها ، الأدب مع الله تعالى لأن الانسان في الحقيقة خلق أن يكون مأدباً مع الله تعالى ، ووردت الاحاديث والاخبار في الموضوع كثيراً .

عن المعصوم عليهم السلام : والأدب كل الأدب ، أن لا يراك الله تعالى حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك .

---

(١) سورة طه آية ١٢

(٢) ارشاد القلوب ج١ ص ١٥٨

(٣) تفسير الصافي ج٢ ص ٤١

قال شخص : إن الجنيد قال : إذا صحت المودة سقطت شروط الادب ، قلت: هذا غلط لترك الادب ، بل إذا صحت المحبة وخلصت تأكدت على المحب ملازمة الادب ، والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله ، كان اكثر الناس محبة لله تعالى وأعظمهم أدبا .

قال الجواد عليه السلام : ما أجتمع رجلان إلا كان أفضلهما عند الله أدبهما ، فقيل يابن رسول الله ، قد عرفنا فضله عند الناس فما فضله عند الله تعالى ، فقال بقراءة القرآن كما انزل ، ويروى حديثنا كما قلنا ، وبدعو الله مفرما .

وحقيقة الادب ، إجتماع خصال الخير وتجافى الشر ، وبالادب يبلغ الرجل الاخلاق فى الدنيا والآخرة ، ويصل به الى الجنة .

والادب عند الناس النطق بالمستحسنات لا غير وهذا لا يعتد به ما لم يوصل بها الى رضاء الله سبحانه والجنة .

والادب هو أدب الشريعة ، فتأدبوا تكونوا أدباء حقا ، ومن صاحب الملوك بغير أدب أسلمه ذلك الى الهلكة ، فكيف بمن يصاحب ملك الملوك وسيد السادات (١) .

روى ، أن النبي صلى الله عليه وآله ، خرج الى غنم له وراعيها عريان يفلى ثيابه فلما رآه مقبلا لبسها فقال له النبي صلى الله عليه وآله ، إمضى فلا حاجة لنا فى رعايتك فقال ولم ذلك ، فقال إنا أهل بيت لا نستخدم من لا يتأدب مع الله ولا يستحي منه فى خلوته وإنما فعل ذلك لأن الراعى أعطاه فوق ما أعطى ربه (٢) .

---

(١) ارشاد القلوب ج١ ص١٦٧

(٢) « « « ص ١٦٨

عن بعض أولاد الائمة عليهم السلام قال ، إن الله تعالى ، أدب نبيه صلى الله عليه وآله ، فأحسن أدبه ، فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فلما أنه قد قبل أدبه ، قال (وإنك لعلى خلق عظيم) فلما استحكم له من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما أحب ،قال:ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا (١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله أدبني ربي بمكارم الاخلاق (٢)

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال

أدبت نفسي فما وجدت لها بغير تقوى الاله من أدب

روى أن النبي صلى الله عليه وآله ، سلم عليه دون البلوغ وبشر له وتبسم فرحا بالنبي صلى الله عليه وآله . فقال له أتحبني يا فتى ، فقال أي والله يا رسول الله ، فقال له مثل عينيك ، فقال اكثر ، فقال مثل أبيك ، فقال اكثر ، فقال مثل امك ، فقال اكثر ، فقال مثل نفسك ، فقال اكثر والله يا رسول الله ، فقال مثل ربك، فقال الله الله يا رسول الله ليس هذا لك ولا لاحد ، فانما أحببتك لحب الله ، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله ، الى من كان معه ، وقال هكذا كونوا أحبوا الله لاحسانه اليكم وإنعامه عليكم وأحبوني لحب الله تعالى ، فاختير صلى الله عليه وآله ، على صحة أدبه في المحبة لله تعالى (٣) .

روى عن إبن عباس ، انه قال بلغنا والله أن زليخا مكثت تخدم يوسف عليه السلام سبع سنين على صدر قدميها ، وهو معرق الى الارض ، لا يرفع طرفه اليها مخافة من ربه فقالت له يوما إرفع طرفك إلي وانظر إلى ، قال أخشى العمى في بصري ، قالت

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٧

(٢) ارشاد القلوب ج١ ص١٦٨

(٣) نفس المصدر

ما أحسن عينيك، قال :هما أول ساقط على خدى فى قبرى ، قالت ما أطيب ريحك ،قال لو شممت رائحتى بعد ثلث لهربت منى ، قالت لم لا تقرب منى ، قال أرجو بذلك القرب من ربى ، قالت فرشى الحرير ، فقم وأنض حاجتى ، قال أخشى ان يذهب من الجنة نصيبى قالت:اسلمك الى المعذبين ، قال اذاً يكفينى ربى (١) .

حكى ، إن ابراهيم بن الأدهم ، كان فى بعض الليالى قائما على سريره ، فاضطرب سقف ذلك البيت ، كان على سطحه أحد يمشى ، فصاح ابراهيم من أنت ، فقال أطلب إبلا ، فقال يا جاهل تطلب الابل على السطح ، يا غافل ، فقال تطلب الله على السرير فى الثوب الحرير ، فاحرق فؤاده من ذلك الكلام ، ووقعت عليه هيبة ، فجلس الى الصباح ولم ينم .

التادب في الصغر

قال لقمان الحكيم لابنه : يا بنى إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً ، ومن عنى بالادب اهتم به ، ومن اهتم به تكلف علمه ، ومن تكلف علمه إشتد له طلبه ، أدرك به منفعة ، فاتخذه عادة ، وإياك والكسل منه والطلب لغيره ، وإن غلبت على الدنيا فلا تغلبن على الآخرة «٢» .

قال النبى صلى الله عليه وآله : لان يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم .

وكان يقال : من أدب ابنه صغيرا أقرت به عينه كبيرا ، ولابن اغبس فى أبيات له

---

(١) هدية الاحباب ص ٦٧

(٢) نهج السعادة ج ١ ص ٢٦٧

ما أقبح الجهل على من بدا برأسه الشيب وما أشنعه

وقال آخر

رأيت العلم لم يكن انتهابا ولم يقسم على عدد السنين

ولو أن السنين تقاسمته حوى الاباء أنصبة البنين

وقال آخر

يقوم من ميل الغلام المؤدب ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

وقال امية بن ابى صلت

إن الغلام مطيع من يؤدبه ولا يطيعك كهل حين يكتهل

ومما نسب الى أمير المؤمنين عليه السلام من المنظوم

حرص بنيك على الاداب فى الصغر كيما تقر بهم عيناك فى الكبر

وانما مثل الاداب تجمعهـا فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر

هى الكنوز التى تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير

إن الأديب اذا زلت به قدم يهوى الى فرش الديباج والسرر

الناس اثنان ذو علم ومستمع واع وسائرهم كالغو والمكر

وفى الحديث «٢٠» من المجلس «١٤» من أمالى الشيخ معنعنا ، أنشدنى بعض أصحابنا شعرا :

إجعل تلادك فى المهم من الامور إذا اقترب

حسن التصبر ما استطعت فانـه نعم السبب

لا تسه عن أدب الصغير وإن شكا ألم التعب

ودع الكبير لشأنه كبر الكبير عن الادب

لا تصحب النطف المريب فقربه احـدى الريب

واعلم بأن ذنوبه تعدى كما يعدى الجرب (١)

وقالوا : من أدب ولده غم حاسده .

وقال ابن عباس : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب

لبعض الشعراء :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

قال صالح بن عبد القدوس

وإن من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه

حتى تراه مورقا ناضراً بعد الذى أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد له جهله كذى الضنى عاد الى نكسه

ما تبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه (٢)

ينبغى للوالدان لا يسهو عن تأديب ولده ، ويحسن عنه الحسن ، ويقبح عنده القبيح ، ويحثه على المكارم ، وعلى تعلم العلم والادب ويضربه على ذلك .

لا تسه عن أدب الصغير وإن شكا ألم التعب

ودع الكبير وشأنه كبر الكبير عن الادب

قال بعضهم : إن الحرم كالشجرة المعوجة التى لا يمكن لأحد أن يقومها ، وإن الانسان من بعد الحرم يعرف معايبه ، ولكن لا يقدر تبعيدها من نفسه ، فعلى ولى الطفل أن يربيه فى عنفوان شبابه بل ومن وصوله حد التمييز حتى تتغير حالته فى كبره ونعم ما قاله الشاعر

---

(١) نهج السعادة ج١ ص ٢٧٣

(٢) العقد الفريد ج٢ ص ٢٣٤

قد ينفع الادب الاطفال فى صغر ... وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون اذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين ولو قومته الخشب

وقيل فى هذا المعنى بالفارسية

هر كه را در خوردیش ادب نكنند ... در بزرگی فلاح از او بر خواست

چوب تر را چنانكه خواهی پیچ ... نشود خشك جز بانش راست

وقال آخر

كن تربیت درخت تاكج نرود ... چون رفت بكج راست بعمری نشود

چاره نه بجز بریدن وسوختنش ... آفسوس چه سود غارس ارلب بجرد

وقال آخر ايضا

در تربیت طفل مكن هیچ درنگ ... او راتو براه نام برنه ره ننگ

هر چیز كه بد هیش نبوشد فى الحال ... گرجام عسل ویا كه سر شار شرنگ

ومما ينشد لخلف الاحمر

إن تأدبت يا بنى صغيرا ... كنت يوما تعد فى الكبراء

وإذا ما أضعت نفسك الفيت كبيراً فى زمرة الغرغاء

ليس عطف القضيب إن كان رطبا واذا كان يابسا بسواء

قالت الحكماء : من أدب ولده صغيراً سر به كبيراً .

وقالوا : اطبع الطين ما كان رطبا ، وأعمر العود ما كان لدنا .

قال بعض الشعراء :

يقوم بالثاف العود لدنا ... ولا يتقوم العود الصليب

وقال آخر

إن الغلام مطيع من يؤدبه ... ولا يطيع ذو شيب بتأديب

وقال مناذر

وإذا ما يبس العود على　　أود لم يستقم منه الأود

ويقال فى المثل فى مثل هذا ، إنما يطبع الطين إذا كان رطبا، وقد أخذه منصور فى غير هذا المعنى فقال :

ولم تـــدم قط حال　　فاطبـع وطينك رطب

أنشد واحد قصيدة مطولة يوصى فيها ابنه أولها :

يا بنى اقترب من الفقهاء　　وتعلم تكن من العلماء

وقال آخر

إذا ما المرء لم يولد لبيبا　　فليس بنافع قدم الولادة

وقال آخر

إن الحداثـــة لا تقصر بالفتى المرزوق ذهنا
لـكن تذكى عقله　　فيفوق اكبر منه سنا

وقالوا ما أشد فطام الـكبير ، وأعسر رياضة الهرم .

قال بعضهم من الشعراء فى تربية الاطفال

وبعد فالتهذيب للاولاد　　سعادة الشعب والبلاد
والولد المهـــذب المؤدب　　هو الذى للخير دوما يكسب
يستوجب الاعزاز والتكريما　　ويستحق فى الورى التعظيما
والولد الخالى من الاداب　　يعد فى جماعـــة الدواب
ولا يزال سيء المعاش　　يذكر فى الناس مع الاوباش
يعيش طول عمره فى النكد　　بين خصام زوجة وولد

الادب خير الحسب

قال أمير المؤمنين على عليه السلام : لا كنز أنفع من العلم ولا حسب أبلغ من الادب (١) .

إن التعزز بكمال الغير غاية السفاهة والجهل ، فأنه لو كان خسيسا فى صفات ذاته ، فمن اين يجبر خسته كمال غيره ؛ ولو كان أباه اوجده ، بل لو كان الذى يعجب به بالانتساب حيا لكان له أن يقول الفضل لى ، لا لك ، وأنت دودة خلقت من فضلتى ، افترى ان الدودة التى خلقت من فضلة الانسان أشرف من الدودة التى خلقت من فضلة حمار ، هيهات فانهما متساويان فى الخسة ، إن الشرف للانسان لا للدودة ، ولذا قال أمير المؤمنين على عليه السلام (٢) .

أنا ابن نفسى وكنيتى أدبى من عجم كنت او من العرب
إن الفتى من يقول ها انا ذا ليس الفتى من يقول كان أبى

وقيل ،

فخرت بآباء ذوى شـــرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

نقل ، إن واحداً من رؤساء اليونان افتخر على غلام ، فقال له إن كان منشأ افتخارك اباؤك فالتفرق لهم لا لك ، وإن كان لباسك فالشرافة له دونك ، وإن كان مركوب ، فالفضيلة له لا لك ، فليس لك شىء يصلح للعجب والمفاخرة ، ولذا قال متمم مكارم الاخلاق صلى الله عليه وآله [لا تأتونى بأنسابكم وأتونى بأعمالكم] اى

(١) المستطرف ج١ ص ٢٤

(٢) جامع السعادات ج١ ص ٣٣٩

العلم والعمل (١).

تكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فقال له وقد أعجبه ، ابن من أنت يا غلام ، فقال ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك ، قال . صدقت ، أخذ هذا المعنى ابن دريد فقال

كن ابن من شئت وكن مؤدبا فانما المرء بفضل حسه

وليس من تكرمه لغيره مثل الذى تكرمه لنفسه «٢»

حكى ، أن رجلا تكلم بين يدى المأمون فأحسن . فقال ابن من أنت ، قال : ابن الادب يا أمير المؤمنين ، قال . نعم النسب انتسبت اليه .

ولهذا قيل : المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد «٣» .

جاء ، إن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نؤاس عن نسبه فقال : أغنانى أدبى عن نسبى ، فامسك عنه . قال اسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط أوسع علما من أبى نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه «٤» .

من حكم على عليه السلام فى الأدب ، الادب أفضل الحسب ، ولا شرف مع سوء الادب ، الأدب صورة العقل فحسن عقلك كيف شئت اكرم النسب حسن الادب ، واكرم الادب حسن الخلق ، شرف المرء بالفضل والأدب لا بالاصل والنسب . قال الشاعر الفارسى :

مرد بايد كه دانش آموزد تا زهر كسى شريفتر باشد

---

(١) جامع السعادات ج١ ص ٣٣٩

(٢) مجانى الادب ج١ ص ٥٤

(٣) المستطرف ج١ ص٣٢ (٤) مجانى الادب ج ٦ ص ٣٠٤

خاك بر فرق مهتری کاورا آلت خرا جگوی پدر باشد

قيل : لشريف ناقص الادب : إن شرفك بأبيك لغيرك ، وشرفك بنفسك لك ، فافرق بين ما لك وما لغيرك ، ولا تفرح بشرف النسب فانه دون شرف الادب .

وعا نسب الى أمير المؤمنين عليه السلام :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

فليس يغنى الحسب نسبته بـــلا لسان له ولا أدب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبى

ونعم ما قاله الشاعر الفارسى فى هذا المعنى

دانش طلب وبزرگى آموز تا به نگرند روزت ازروز

جائيكه بزرگ بايدت بود فرزندى كس نداردت سود

چون شير بخود سپه شكن باش فرزند خصال خويشتن باش

قال البريدى :

ليس الفتى كل الفتى إلا الفتى فى أدبه

وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسبه

قال بعض الحكماء : خمسة لا تتم إلا بخمسة ، لا يتم الحسب إلا بالأدب ، ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة ، ولا يتم الغنى إلا بالجود ، ولا يتم البطش إلا بالجراءة ، ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق ،

قال عبد الملك الصالح :

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم ما فى المكارم والتقوى لهم أرب

سوء التأدب أرداهم وأرذلهم وقد يزين صحيح المنصب الادب

ونعم قاله الشاعر الفارسى :

سودش چه، اگر تراست سيمى وزرى يا از پدر تو مانده برجا اثرى
گر نيست ترا دانش وفضل وأدبى داراثي ودودمان ندارد ثمرى

وقال امير المؤمنين على عليه السلام : الادب يغني عن الحسب (١) .

وقال عليه السلام أيضا : الادب أفضل حسب (٢) .

وقال بعضهم : الفخر بالنفس والافعال ، لا بالاعمـــام والاخوال ، قال أبو الطيب :

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبجدى فخرت لا بجدودى

وقال أيضا :

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا إذا لم يكن فى فعله والخلائق

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : إنما الشرف بالعقل والادب ، لا بالمال والحسب .

قيل : الفضل بالعقل والادب ، لا بالاصل والحسب .

قال بعضهم : الحسب محتاج الى الادب ، والمعرفة محتاجة الى التجربة (٣) .

قال بعض الشعراء :

كم من خسيس وضيع القدر ليس له فى العز أصل ولا ينمى الى حسب
قد صار بالادب المحمود ذا شرف عال وذا حسب محض وذا نسب

كلم شبيب بن شيبة رجلا من قريش ، فلم يحمد أدبه ، فقال : يا ابن اخى الادب الصالح خير لك من الشرف المضاعف وقال

(١-٢) غرر الحكم حرف الالف .

(٣) العقد الفريد ج١ ص ٣٦٣

وكم من ماجد أضحى عديما له حسن ، وليس له بيان
وما حسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسن اللسان (١)

قال بعضهم

لكل شيء حسن زينة وزينة العالم حسن الادب
قد يشرف المرء بآدابه فينا وإن كان وضيع النسب

قال بعضهم : أربعة تحتاج الى أربعة ، الحسب الى الادب ، والسرور الى الامن ، والعقل الى التجربة ، والقرابة الى المودة .

قال جالينوس الحكيم : إن ابن الوضيع إذا كان أديباً كان نقص أبيه زائداً فى منزلته ، وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائداً فى سقوطه (٢) .

قال ابو تمام : وقرابة الآداب تقصر دونها عند الاديب قرابة الارحام .

قال الصولى :

إن الكتابة والاداب قد جمعت بينى وبينك يا زين الورى نسبا

قال الشاعر الفارسى

زادب بوس مپرس از نسب وثروت زهر گوى مگوى از پدر ومادر

وأحب أن اذكر جملة تاريخية قريبة فى الموضوع وفيها حلاوة ولذة للقارئين الكرام .

نقل ، أن هشام بن عبد الملك ذات يوم فى متنزه ، إذ نظر الى صبي تبعه الكلاب ، وأحالنه الكلاب الى صبي اعرابي يرعى غنما له ، فقال هشام : يا اعرابي دونك هذا الصبي فأتنى به ، قال : فرفع الاعرابي طرفه اليه وقال له : يا جاهلا بقدر الاخبار، لقد نظرت إلى

(١) معجم الادباء ج١ ص ٥٧
(٢) جواهر الادب ج١

باستصغار ، وكلمتنى باحتقار ، فكلامك كلام جبار ، وفعلك فعل حمار ، فقال له هشام ، ويحك ما تعرفنى قال : قد عرفنى بك سوء أدبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك ، فقال : ويلك أنا هشام بن عبد الملك . فقال الاعرابى لا قرب الله دارك ، ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك وأقل اكرامك ، قال : فما استتم كلامه حتى أحدقت به الخيل والجيوش من كل جانب كل منهم يقول : السلام عليك ، يا أمير المؤمنين ، قال هشام أقصروا عنى السلام ، واحتفظوا بالغلام ، فقبضوا عليـــه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه ، فقال على بالغلام الاعرابى ، فأتى به فلما رأى كثرة الغلمان والحجاب ، والوزراء والكتاب وأبناء الدولة لم يكترث الغلام منهم ولم يسأل عنهم وحين أقبل الغلام أرخا جعل ذقنه فى صدره لينظر حيث يقع قدماه الى أن وصل هشام ، فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض ، وسكت عن الكلام ، فقال بعض الخدم يا كلب العرب ما منعك أن لا تسلم على أمير المؤمنين ، فالتفت اليه الصبى مغضبا وقال : يا بردعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق ، ونهر الدرجة والتعويق فقال له هشام : وقد تزايد ما به من الغضب يا صبى لقد حضرت فى يوم حضر فيـه أجلك ، وخاب فيه أملك ، وانصرم فيه عمرك ، وضاق فيه أمرك ، فقال الصبى والله يا هشام لئن كان فى المدة تأخير ، ولم يكن فى الاجل تقصير ، لا ضرنى من كلامك لا قليل ولا كثير ، فقال الحاجب بلغ من فعلك يا أخس العرب أن تخاطب امير المؤمنين كلة بكلمة ، فقال له مسرعا بفيك الجندل (الحجر) ولا ملك الويل والحبل ، أما سمعت ما قال الله تعالى :

« يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها » (١) .

فاذا كان الله يجادل جدالا فمن هو هشام حتى لا يخاطب خطابا ، قال : فعند ذلك

---

(١) سورة النحل آية ١١١

قام هشام واغتاظ عليه ، وقال : يا سياف على برأس هذا الغلام فقد اكثر من الكلام فيما لا يخطر على الاوهام ، قال فأخذ الصبي ونزل به فى نطع الدم ، وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف يا أمير المؤمنين عبدك المذل بنفسه المتقلب فى رمسه أضرب عنقه وأنا برىء من دمه ، قال : نعم ، فاستأذنه ثانية ، فأذن له ، ثم استأذنه ثالثة فهم ان يأذن له ، فضحك الغلام حتى بدت نواجذه فازداد تعجباً هشام منه وقال يا صبي أظنك معتبرها أترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وأنت تضحك هزؤاً بنفسك ، فقال : يا أمير المؤمنين ابيات شعر حضرت الساعة فاسمعها وقتلى لا يفوت ، فقال : هات . وأوجز فهذا أول ارقائك من الاخرة وآخره من الدنيا ، فانشأ يقول

انبئت أن البـــاز علق مرة عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور فى اظفاره والباز منهمك عليه يطير
ما فى ما يغنى لمثلك شبعة وان اكلت فانني لحقير
فتكلم البـاز المذل بنفسه عجبا وأفلت ذلك العصفور

فتبسم هشام ، وقال : وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وآله ، لو تلفظ الغلام بهذا فى اول وقت من أوقاته وطلب ما دون الخلافة لاعطيته ، يا خادم احش فاه درأ وجوهراً وأحسن جائزته وامض الى سبيله (١) .

---

(١) تحفة المجالس ونزهة المجالس ص ٦٩

الادب خير ميراث

قال الامام الصادق عليه السلام : إن خير ما ورث الاباء لابنائهم الادب ، لا المال ، فان المـــال يذهب ، والادب يبقى ، قال مسعدة : يعنى بالأدب العلم (١) .

إن أفضل ما يورثه الابن من والده هو الادب والفضيلة العلمية ، لأن الأدب خير وسيلة لسعادة المرء فى الدارين ، وأحسن حلية يلبسها الانسان ويمتاز بها بين أقرانه .

وورد فى هذا المعنى روايات كثيرة وكلمات حكمية من الائمة والحكماء والعلماء والادباء ونتعرض جملة منها :

قال الصادق عليه السلام : لا مال أعود من العقل ، ولا مصيبة أعظم من الجهل ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة ، ولا ورع كالكف ، ولا عبادة كالتفكر ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا قرين خير من حسن الخلق ، ولا ميراث خير من الادب (٢) .

عن الصادق عليه السلام أيضا : أربع خصال يسود بها المرء ، العفة ، والادب ، والجود ، والعقل (٣) .

عن المعصوم عليه السلام : خير ما ورث الآباء لابنائهم الأدب (٤) .

قال بزرجمهر : ما ورث الآباء الابناء شيئا خيراً من الادب ، لأن بالادب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه (٥) .

قالوا : حسن الخلق خير قرين ، والأدب خـــير ميراث ، والتوفيق خير قائـد (٦) .

(١-٢-٣-٤) نهج السعادة نقلا عن روضة الكافى

(٥-٦) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٢

فى المختار من قصار النهج : لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالادب (١) .

وفى المختار أيضا ، لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ، ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالادب «٢» .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : نعم القرين الرضا ، والعلم وراثة كريمة ، والآداب حلل مجددة ، والفكر مرآة صافية «٣» .

قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يزال العبد المؤمن ، يورث أهل بيته العلم والادب الصالح حتى يدخلهم الجنة جميعا ، حتى لا يفقد منهم صغيراً ولا كبيراً ، ولا خادما ولا جاراً ، ولا يزال العبد العاصى يورث اهل بيته الأدب السيء حتى يدخلهم النار جميعا حتى لا يفقد فيها من أهل بيته صغيرا ولا كبيراً ولا خادما ولا جاراً «٤» .

قال الحكيم جالينوس : المرء بفضيلته وبكماله ، لا بجماله . وبآدابه لا بثيابه .

وقال أيضا : ما ورثت الآباء أبنائها شيئا أفضل من الادب .

ونعم ما قاله الشاعر فى شعره :

خير ما ورث الرجال بنيهم أدب صالح وحسن ثناء
هو خير من الدنانير والاوراق فى يوم شدة أو رخاء
تلك تفنى والدين والأدب الصالح لا يفنيان حتى اللقاء
إن تأدبت يا بنى صغيرا كنت يوما تعد فى الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك الفيت كبيراً فى زمرة الغوغاء
ليس عطف القضيب إن كان رطبا وإذا كان يابسا بسواء

(١-٤) نهج السعادة ج ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٣) الاخلاق المرضية ص ٢٢٢

طلب الادب وتعلمه

قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام ، لولده الحسن عليه السلام : يا بنى إحرز حظك من الادب وفرغ له قلبك فانه أعظم من أن يخالطه دنس ، وأعلم إنك اذا افتقرت عشت به وإن تغربت كان لك كالصاحب الذى لا وحشة معه ، يا بنى الادب ، لقاح العقل ، وذكاء القلب وعنوان الفضل .

وأعلم انه لا مودة لاحد بماله ولا حاله ، بل الادب عماد الرجل وترجمان عقله ودليله على مكارم الأخلاق ، وما الانسان لولا الادب إلا بهيمة مهملة (١) .

ومن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لولده :

ما الفتى حسب إلا اذا كملت ... آدابه وحوى الاداب والحسبا

فاطلب فديتك علما واكتسب ادبا ... تظفر يداك به واستجمل الطلبا

من لم يؤدبه دين المصطفى أدبا ... محضا تحير فى الاحوال واضطربا (٢)

قال الامام أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام : ذك قلبك بالادب كما تذكى النار الحطب (٣) .

قال الشاعر الفارسى وقه دره

---

(١) ارشاد القلوب ج١ ص٢٢٥

(٢) ديوان المنسوب الى امير المؤمنين عليه السلام .

(٣) تحف العقول ص ٨٠

ادب آموز زان ادیب که او ادب از حضرت خدا آموخت
از کمی خوان سبق که در همه حال سبق از لوح کبریا آموخت

قال شبیب بن شیبة : إطلبوا الادب فانه مادة العقل ودلیل علی المروءة ، وصاحب فی الغربة ، ومونس فی الوحشة ، وحلیة فی المجلس ، ویجمع لکم القلوب المختلفة (١) .

قال عبد الملك بن مروان لبنیه : علیکم بطلب الادب ، فانکم إن احتجتم الیه کان لکم مالا . وإن استغنیتم عنه کان لکم جمالا (٢) .

قال الشاعر الفارسی الحافظ الشیرازی :

حافظا علم وادب ورز که در مجلس شاه هر که را نیست ادب لایق صحبت نبرد
بهر یغمای دل اند رصف خوبان زمان آنچه بیش از همه داری تو نگا را ادبست

قال مالك بن أنس لفتی من قریش : یا بن أخی تعلم الادب قبل أن تتعلم العلم .

روی : إن الخلیل بن أحمد قال لولده یا بنی تعلم الادب فانه یقویك ویسددك صغیرا ویقومك ویعظمك کبیرا «٣» .

روی الیعقوبی عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال : یا معشر الفتیان حصنوا أعراضکم بالادب ، ودینکم بالعلم «٤» .

قال أبو عمرو ابن العلاء : قیل لمنذر بن واصل : کیف شهوتك للادب ، فقال : أسمع بالحرف منه لم أسمعه فتود اعضائی أن لهـــا أسماعا تتنعم مثل تنعمت الآذان ،

(١-٢) العقد الفرید ج ٢ ص ٢٢٢
(٣) ارشاد القلوب ج١ ص ١٦١
(٤) نهج السعادة ج ١ ص ٢٦٦

قيل: وكيف طلبك له ، قال : طلب المرأة الفضلة ولدها وليس لها غيره، قيل وكيف حرصك عليه ، قال : حرص الجوع المنزع على بلوغ لذته فى المال «١» .

قال عبد الملك : اطلبوا معيشة لا يقدر سلطان جائر على غصبها ، قيل : وما هى ، قال : الادب .

عن الرضا عليه السلام ، قال : لابى هاشم الجعفرى ، يا أبا هاشم : العقل حباء من الله ، والادب كلفة فمن تكلف الادب قدر عليه ومن تكلف العقل لم يزدد بذلك إلا جهلا «٢» .

ونعم ما قاله الشاعر الفارسى ولله دره

أدب تا جيست از نور الهى ... بنه بر سر بروهر جاكه خواهى

كه او خضر ره اقبال وجاه است ... بر اورنگ سعادت بادشاه است

وقال آخر ونعم ما قال :

بيا موز علم وادب اى پسر ... زمادر نزايد كسى با هنر

بتحصيل دانش توكوشش نما ... كه دانا بحوشاه است ونادان بحوخر

قال الشاعر العربى ولله دره

وإذا الهموم تضيقتك ولم تجد ... أحداً ومل فؤادك الاحبابا

فاعمد الى الكتب التى قد ضمنت ... أوراقها الأشعار والآدابا

فهى التى تنفى الهموم ولم تجد ... أحداً له أدب يمل كتابا

«١» نهج السعادة ج ١ ص ٢٦٩

«٢» تحف العقول ص ٤٤٨

تأديب الاهـل والعيال

قال الله العزيز الحكيم : يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (١) .

(يا أيها الذين آمنوا قو انفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) أى أيها الذين صدقوا الله ورسوله : ليعلم بعضكم بعضا ما تتقوا به النار وتدفعونها عنكم ، إنه طاعة الله وإمتثال أوامره ، ولتعلموا أهليكم العمل بطاعته ما يقولون به أنفسهم منها ، واحملوهم على ذلك بالنصح والتأديب (٢) .

أخرج ابن المنذر والحاكم فى جماعة آخرين عن الامام امير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال فى الاية : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم (٣) .

المراد بالأهل ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة (٤) .

عن الامام امير المؤمنين عليه السلام : أدب عيالك تنفعهم .

قال آخر فى تفسير الاية الشريفة :

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم (بترك المعاصى وفعـل الطاعات) وأهليكم بالنصح والتأديب (٥) .

قال ابن عباس : أراد بذلك فقهوهم فى الدين وأدبوهم بالاداب الشرعية «٦» .

«٢-٣-٤» تفسير المراغى ج ٢٨ ص ١٦٢

«٥» تفسير الصافى ذيل الاية الشريفة

«٦» ارشاد القلوب ج١ ص ١٥٨

كان الامام امير المؤمنين عليه السلام : يؤدب أصحابه ، أى يعلمهم العلم ومحاسن الاخلاق (١) .

ولما نزلت قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا) قالوا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله كيف نقى أنفسنا وأهلينا ، قال : إعملوا الخير وذكروا به أهليكم ، فادبوهم على طاعة الله تعالى (٢) .

ومن جملة وصايا أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام : ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت فى إيلامه ، فان العاقل يتعظ بالادب ، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب (٣) .

قالت الحكماء : إذا كان الرجل طاهر الأثواب ، كثير الآداب ، حسن المذهب ، تأدب بادابه وصلح لصلاحه جميع أهله وولده قال الشاعر :

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويفسدهم رب الفساد إذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت فى الأهل والولد

قيل لعمر بن در : كيف بر إبنك بك ، قال : ما مشيت نهاراً قط إلا مشى خلفى ولا ليلا إلا مشى أمامى ، ولا رقى علية وأنا تحته (٤) .

---

(١) مجمع البحرين مادة « ادب » .

(٢) نهج السعادة ج١ ص ٢٦٦

(٣) نهج البلاغة ص ٩٢٦ ترجمة وشرح فيض الاسلام .

(٤) العقد الفريد ج١ ص ٣٦٤

الادب يرفع الخامل

قال الحكيم المعروف بزر جمهر : الجهل هو الموت الاكبر ، والعلم هو الحياة الشريفة ، من كثر أدبه شرف وإن وضيعا وساد وإن كان غريبا، وارتفع صيته وإن كان خاملا ، وكثر حوائج الناس اليه وإن كان فقيراً (١) .

قال الاصمعى : قال لى إعرابي ما حرفتك ، قلت : الادب ، قال : نعم الشيء فعليك به ، فانه ينزل المملوك فى حد الملوك .

قال الشاعر العربى وقد دره :

لكل شيء زينة فى الورى وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بادابه فينا وإن كان وضيع النسب

قال بعض الاعراب لولده : عليك بالادب ، فانه يرفع عبد المملوك حتى يجلسه فى مجالس الملوك . قيل بالفارسية :

ادب صاحب خويش رامير ساند بارج باند اخترى وسعادت
زباغ أدب هر كه چيند گلى را نهال مرورش ندير د طرارت
وسد با أدب را دمادم تكرئى شود بى ادب با يمال ملامت

مر بعض الملوك بغلام يسوق حماراً غير منبعث وقد عنف عليه فى السوق فقال :

---

(١) مجانى الادب ج٢ ص ١٢٣

يا غلام أرفق به . فقال الغلام : أيها الملك فى الرفق به مضرة عليه . قال : وما مضرته . قال : يطول طريقه ويشتد جوعه ، وفى العنف به إحسان اليه . قال : وما الاحسان اليه . قال : يخف حمله ويطول اكله . قال فاعجب الملك بكلامه وقال له : قد أمرت لك بالف درهم . فقال : رزق مقدور ، وواهب مأجور . قال : وقد أمرت باثبات اسمك فى جيشى فقال : كفيت مؤونة . ورزقت بها معونة ، قال لولا إنك حديث السن لاستوزرتك ، قال ان يعدم الفضل من رزق العقل ، قال فهل تصلح لذلك . قال : إنما يكون المدح والذم بعد التجربة . ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها ، قال : فاستوزره فوجده ذا رأى صائب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق «١» .

دخل المأمون يوما بيت الديوان فرأى غلاما جميلا على اذنه قلم فقال : من أنت يا غلام . قال : أنا الناشىء فى دولتك ، والمنقلب فى نعمتك ، والمؤمل لخدمتك الحسن ابن رجاء قال المأمون : بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول . إرفعوا هـــذا الغلام فوق مرتبته «٢» .

وقال الشاعر وقه دره :

لا تيأسن إذا ما كنت ذا أدب ... على خمولك أن ترقى الى الفلك

فبينما الذهب الابريز مختلط ... بالترب إذ صار اكليلا على الملك

دخل أبو العالية على ابن عباس ، فاقعده معه على السرير ، وأقعد رجالا من قريش تحته ، فرأى سوء نظرهم اليه وجهومة وجوههم ، فقال : ما لكم تنظرون إلى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا ، الادب يشرف الصغير على الكبير ، ويرفع المملوك على المولى ،

---

(١) مجانى الادب ج ٢ ص ١٥٠

(٢) « « « ص ١٥٤

ويقعد العبيد على الاسرة «٢» قال الشاعر :

مالى عقل وهمتى حسبى ما أنا مولى ولا أنا عربى

إذا انتمى منتم الى أحد فـأننى منتم إلى أدبى

إن بعض الملوك قصد التفرج على المجانين ، فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف ، وتلوح عليه شمائل الفطنة ، فدنا منه وسأله مسائل فاجابه عن جميعها بأحسن جواب . فتعجب منه عجبا شديداً ، ثم أن المجنون قال للملك : قد سألتنى عن أشياء فاجبتك ، وإنى سأسألك سؤالا واحداً ، قال : وما هو ، قال : متى يجد النائم لذة النوم ، ففكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه ، فقال المجنون : حالة النوم ليس له إحساس ، فقال الملك : قبل الدخول فى النوم ، فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده ، فقال الملك بعد النوم ، فقال المجنون : توجد لذته وقد انقضى . فتحير الملك وزاد إعجابه ، وقال لعمرى إن هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فارلى أن يكون نديمى فى مثل هذا اليوم وأمر أن ينصب له تخت بازاء شباك المجنون ، ثم استدعى بالشراب فحضر ، فتناول الكأس وشرب ثم ناول المجنون فقال أيها الملك أنت شربت هذا لتصير مثلى فأنا اشربه لاصير مثل من . فاتعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته «١» .

وأحب أن اذكر شعراً فارسيا يتضمن معنى لطيفا ويناسب ذكره ولله در الشاعر

بى ادب كرهى ، ندیده گروه يافت گنجنيه زرى در كوه

رفت در شهر خانه ها أفراخت جمله رخت ولباس خرد نوساخت

خويشتن را بزرگ وش نداست كه بزرگى بسيم وزر نداشت

---

(١) بحانى الأدب ج٢ ص ١٦٧

روزی از بهر قدر وعزت وجاه — رفت دامن کشان بمجلس شاه
خواجه چون دانش وتمیز نداشت — خوار گشت وکسش عزیز نداشت
چونکه اطوارش آمون کردند — سر شکستندش وبرون کردند
مرد کوهی بخانه آمد زود — متغیر چوگرگ خشم آلود
کرد گنجنه خرج وجامد فروخت — هنر ودانش وأدب آموخت
بار دیگر که شد بمجلس شاه — یافت در صدر صف نشتان راه
زین سبب هست ندد را ادبش — بهتر از صد خزینه وذهبش

حلی الرجال العلم والادب

قال أمير المؤمنين علی عليه السلام : حلی الرجال الادب ، وحلی النساء الذهب (١) .

وأحسن ما يتحلى به المرء نفسه هو العلم والادب ، إذ لا شيء أفضل منه حتى يتزين به الانسان ، ولقد عبر عن العلم والادب فی الاخبار وأقوال العلماء والحكماء والأدباء بالحلية وهذا التعبير ، تعبير جيد ، كما جاء عن داود النبي عليه السلام ، انه قال : لابنه سليمان عليه السلام ، إجعل العلم مالك ، والادب حليتك (٢) .

قال الشاعر ولله دره

أری العلم نوراً والتأدب حلية — فخذ منهما فی رغبة بنصيب

---

(١) نثر اللئالی، ص ٦

(٢) العقد الفريد ج١ ص ٢٦٦

وليس يتم العلم فى الناس للفتى إذا لم يكن فى علمه بأديب

قال أحد الادباء : العلم أجمل حلية ، وأفضل قنيـــة (أى ما اكتسب) والجهل مطية سوء من ركبها زل ، ومن صحبها ضل ، ومن الذل عشرة ذوى الضلال (٣) .

قال بعض الحكماء : لا تترك النحلى بحلية العلم ودمائة الاخلاق «٤» .

قال الشاعر ونعم ما قال :

العلم للمرء معوان على الزمن يقيه من حادثات الدهر والمحن

وحلة حوكها من سؤده وعلى وحلة ما لها واقه من ثمن

قال بعض الحكماء : أدب المرء خير من ذهبه ، من ساء أدبه ضاع نسبه ، الادب وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة ، من قعد به حسبه نهض به أدبه ، حلى النساء الذهب ، وحلى الرجال الأدب .

ومما نسب إلى امير المؤمنين على عليه السلام أنه قال :

ليس الجمال بأثواب تزينها بل الجمال جمال العلم والأدب

ليس اليتم الذى قد مات والده إن اليتيم يتيم العقل والحسب

وقال الشاعر الفارسى وقه دره

دل ز ديداردخ چون مه تود رطربست

ليبت اى لعبت شيرين بحقيقت رطب است

---

(١) جواهر الادب ج٢ ص ٨

(٢) الجواهر الروحية ج٢ ص ٣٥٩

بهر يغماى دل اندر صف خوبان زمان

آنجه بيش از همه دارى تو نگارا را ادبست

قال بعضهم : لا حلة أجل من حلة أهل العلم والادب ، لأن حلل الثياب تبلى وحلل الادب تبقى وحلل قد يغتصبها الغاصب ويسرقها السارق ، وحلل الاداب باقية مع جوهر النفس «١» .

وقال آخر

ما وهب الله لامرىء هبة أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى فان فقدا ففقده للحياة أجل بـــه

وأنشد أحد الادباء النفطويه لنفسه

إذا ما الارض جانبها الاعادى وطاب الماء فيها والهواء

وساعد من تحب بها وتهوى فتلك الارض طاب بها الثواء

يرى الاحباب ضنك العين وسعا ولا يسع البغيضين الفضاء

وعلم (عقل خرد) المرء أحسن حليته وزين المرء فى الدنيا الحياء

«١» تحفة المعالى ج١ ص ٥٤

قيمة المتأدب

قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : ما نظرت الى عورتى وسوأتى منذ ما تعلق نظرى الى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، احتراما له ، قلت لا يليق بصـــرا ينظر اليه ، ينظر الى سوأته .

قيمة الانسان أدبه الذى ينال به سعادة الدنيا والآخرة ، متى وصل الانسان الى غاية الإدب يغل قيمته وثمنه ، وجدير ان نتعرض جملا من أخبار المتأدبين لكى نعلم ما هو الادب ومن المتأدب .

روى ، أنه وقع بين الحسن عليه السلام وأخيه محمد بن الحنفية اللحاء (المنازعة) ومشى الناس بينهما ، فكتب محمد أما بعد ، فان أبى وأباك على بن أبيطالب ، لا تفضلنى فيه ، ولا أفضلك ، وأى امرأة من بنى حنفية ، وامك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلو ملئت الارض بمثل امى ، لكانت خيراً منها ، فاذا قرأت كتابى هذا فاقدم حتى ترضانى فانك احق بالفضل منى والسلام «١» .

إن عبد الله المبارك ، عالم جليل ، زاهد ، عابد ، جمع بين العلم والعمل ، ذكر ابن خلكان فى ترجمته ، عطس رجل عند عبد الله بن المبارك ، فلم يحمد الله عز وجل ، فقال له ابن المبارك أى شىء يقول العاطس اذا عطس ، قال الحمد لله ، فقال ابن المبارك يرحمك الله ، فتعجب الحاضرون من حسن ادبه «٢» .

«١» برهان دانش ص ٢١٣

«٢» « « ص ٨٥

عاد الخليفة المعتصم ، خاقان عند مرضه ، وكان لخاقان اذ ذاك ابن اسمه الفتح ، فقال المعتصم : داري احسن ام دار أبيك ، فقال ما دام امير المؤمنين في دار ابي فهي أحسن «١» .

وقال المعتصم : للفتح وعلى يده خاتم ياقوت أحمر في غاية الحسن ، أرأيت أحسن من هذا الخاتم ، فقال : نعم ، اليد التي فيها «٢» .

حكى أبو علي الرازي ، قال مررت بصبيان في طريق الشام يلعبون بالتراب ، وقد ارتفع الغبار فقلت : مهلا قد غبرتم ، فقال صبي منهم : يا شيخ أين تفر إذا هيل عليك التراب في القبر ، فمشى على فأفقت والصبي قاعد عند رأسي مع الصبيان يبكون ، فقلت له : أعندك حيلة من الفرار من التراب ، قال : أنا لا اعلم ولكن سل غيري . فقلت : ومن غيرك ، قال : عقلك «٣» .

سأل هرون الرشيد ، عن ابنه محمد الأمين ، وما جمع المسواك ، فقال : مساويك وسأل المأمون ، فقال : جمع المسواك ضد محاسنك ، واكرمه الرشيد لأدبه وطرد الامين من المجلس «٤» .

رأى الرشيد يوما في جانب إيوانه حزمة خيزران ، فقال للفضل بن الربيع حاجبه : ما تلك يا فضل ، قال : عروق الرماح ، ولم يقل خيزران لموافقته أم الرشيد ، لأنها كانت جارية «٥» .

(١-٢) مجاني الادب ج١ ص ٥٥

(٣) » » » ص ٧٨

(٤) بزم ايوان طبع قديم

(٥) اسرار البلاغة ص ٢٣٤

جاء ، إن المنصور أحضر يوما إنسانا ذكر له ، أنه وثب عـــلى عامله ببعض النواحي ، فقال له المنصور : ويحك ، أنت المتوثب على فلان العامل ، والله لانثرن من لحمك اكثر ما يبقى منه على عظمك ، وكان شيخا كبيراً ، فانشد بصوت ضعيف :

اتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

فقال المنصور يا ربيع ، ما يقول ، فقال ، يقول

العبد عبدكم والامر أمركم فهل عذابك عني اليوم مصروف

فقال قد عفونا عنه ، فلينصرف «١» .

جاء أيضا ، رأى المنصور يوما في بستانه شجرة من شجرة الخلاف فلم يدر ما هي فقال يا ربيع ما هذه الشجرة ، فقال الربيع أجاع ووفاق ، وكره أن يقال خلاف ، فاستحسنه المنصور واستحسن قوله «٢» .

نقل ، إن السلطان محمود الغزنوي عزم الى الصحراء للصيد مع جيش كثير فدفعة ظهر من الجو (طير السعد) قال الجيش بأجمعهم نذهب ونستفيد من فيئه ، إن الملك رأى جماعة يتسارعون في المشي حتى يقعوا نفوسهم في ظله ، ولكنهما أياز ما قام من مكانه ، فقال له الملك يا أياز ، أنت لماذا لم تذهب الى فيء طير السعد حتى تحصل لك السعادة ، فقال أياز ظل الملك الذي فوق رأسي احسن وأسعد من جميع الظلال ، فلما لاحظ الملك أدبه وحسن سيرته أعجبه ذلك فوقعت محبته في قلبه ، وفي زمان قليل جعله متصرفا الكلية امور مملكته «٣» . وقال الشاعر الفارسي رحمه الله درره

يكي خرده بر شاه غزنين گرفت كه حسني ندارد اياز اي شگفت

گلي را كه نه رنگ باشد نه بو حرامست سودای بلبل براو

«١-٢» الفخري ص ١٤٣

«٣» برهان دانش ص ١٤٧

بمحمود گفت این حکایت کسی | به پیچید زاندیشه برخود بسی
که عشق من ای خواجه برخوی اوست | نه برقد وبالای دلجوی اوست

كان هرون الرشيد يوما ينثر الذهب بين جواريه ، وكانت بينهن جارية سوداء ما حنت ظهرها حتى تأخذ الذهب ، فقال لها هرون : لم لم تنحنى لجمع الذهب فقالت : إن الانحناء فى حضور الخليفة ليس من الكمال والأدب ، فأعجبه أدبها ، وجعلها من خواص محارمه .

ولكنما اقربائه شنعوه على عمله هذا ، فأمر الرشيد بامتلاء ظروفه الغالية من الطعام فامر بكسر كل من بيده ظرف ، فما كسر أحد إلا غير تلك الجارية ، فسأل الرشيد عنهم لماذا ما كسرتم ، فقالوا إن الظروف لها قيمة زايدة الوصف فليس بجدير أن تكسر فما كسرنا ، فسأل عن الجارية ، فقالت : إمتثال أمر الخليفة اغلى من قيمة الاوانى والظروف فكسرته «١» .

حكى ان إبراهيم الادهم ، اشترى عبداً فقال له : أى شىء تأكل قال ما تطعمنى قال أى شىء تعمل قال ما تستعملنى قال : أى شىء لك إرادة قال اين تبقى ارادة العبد فى جنب ارادة سيده ثم راجع إبراهيم نفسه وقال يامسكين ما كنت لله فى عمرك ساعة مثل ما كان هذا لك

ولمحمد على صفوت ، قال بالفارسية فى هذا المعنى

این حکایت رازمن در گوش کن | وین شراب صاف وبی غش نوش کن
خواجه ادهم غلامی را خرید | روزها شد خواهشی ازوی ندید
گفت هر چه ارز و داری بگو | گفت از خود من ندارم گفتگو
گفت ادهم از چه میخواهی طعام | گفت گرمن خواهمش باد احرام
گفت چه خدمت بمن خواهی نمود | گفت جزرای تود ر فکرم نبود
از جگر آهی کشید آن شیخ راه | گفت بر چیزی نمیرزد اشك و آه
گر همین باشد طریق بندگی | زین سبب دارم بسی شرمندگی

«١» برهان دانش ص ١٤٩

نكت من الادب

قال ابن عباس : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسعك جهله ، وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثال «١» .

ولقد أظهر الدهر رجالا نوابغاً فى عالم الحياة ، فى كل من الشقوق العلمية والفنون الأدبية والفضائل النفسانية فمنهم من كان دقيقا فى الشعر وصناعته ولم يكن له من نظير ، ومنهم من كان عارفا برموز المطالب ودقايقها ، وإنشاء الله نبحث فى الموضوع مفصلا فى محله ، وهنا نذكر جملا منها ، ومن جملتها :

كان لشاعر عدو ، فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق إذا هو بعدوه ، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة ، فقال له : يا هذا ، أنا أعلم ان المنية قد حضرت ولكن سألتك الله تعالى إذا أنت قتلتني أن امض الى دارى ، وقف بالباب وقل :

ألا ، ايها البنتان إن أباكما

فقال : سمعا وطاعة ، ثم أنه قتله ، فلما فرغ من قتله أتى الى داره ، ووقف بالباب ، وقال :

ألا ، أيها البنتان إن اباكما

وكان للشاعر إبنتان فلما سمعتا قول الرجل (ألا يا ايها البنتان إن أباكما) أجابتاه بفم واحد (قتيل : خذا بالثار عن أباكما) ثم تعلقتا بالرجل ، ورفعتاه

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

إلى الحاكم ، فاستقرره فأقر بقتله فقتله (١) .

وهذه الحكاية رويت بنحو آخر ، وهى إن الشاعر قبل ما يقتل ، قال لقاتله : إن لى كتاب فى الشعر وهو ناقص ولقد اكملته بهذه الجملة من الشعر ، وهى :

بنتاى بنتاى إن اباكا

فجاء القاتل الى بيت الشاعر ، ودق الباب ، فحضرت إبنتا الشاعر وراء الباب فقرىء القاتل البيت لهما ، فبكتا واوصلتاه الى الحاكم وقالتا للحاكم هذا الرجل قاتل أبينا فقال الحاكم بأى دليل وشهود هو القاتل ، فقالتا بدليل قوله ، بنتاى بنتاى إن أباكا إذ لا يوافق هذا الفرد من البيت إلا ان نقول :

قد قتل والقاتل قد أتاكا

فأحضر الحاكم كل من كان عارفا بصناعة الشعر ، وقالوا بعد التأمل إنما يصلح قول الشاعر ما قالتاه ، إبنتاه فصدقهما الكل ، وحكم الحاكم بقتل القاتل فى الحال .

حكى عن بعض الشعراء ، أنه دخل على أحد الخلفاء فوجده جالسا وإلى جانبه جارية سوداء تدعى خالصة ، وعليها من الحلى وأنواع الجواهر واللآلىء مالا يوصف . فصار الشاعر يمتدحه وهو يسهو عن استماعه فلما خرج كتب على الباب :

لقد ضاع شعرى على بابكم كما ضاع در على خالصة

فقرأه بعض حاشية الخليفة وأخبره به ، فغضب لذلك وأمره باحضار الشاعر ، فلما وصل الى الباب مسح العينين اللتين فى لفظة ضاع ، واحضر بين يديه . فقال له : ما كتبت على الباب ، قال كتبت :

لقد ضاء شعرى على بابكم كما ضاء در على خالصة

---

(١) جواهر الادب ص ٤١٨

فاعجبه ذلك وأنعم عليه ، وخرج الشاعر وهو يقول : قد درك من شعر قلعت عيناه فأبصر (١) .

من أرق ما حكى ان المتنبي امتدح بعض أعداء صاحب عملكته ، فبلغه ذلك ، فتوعد المتنبي بالقتل . فخرج هارباً ثم اختفى مدة . فاخبر الملك أنه ببلدة كذا ، فقال الملك لكاتبه : اكتب للمتنبي كتاباً ولطف له العبارة ، واستعطف خاطره وأخبره إني رضيت عنه ، ومره بالرجوع الينا ، فاذا جاء الينا فعلنا بـــه ما نريد، وكان بين الكاتب والمتنبي مصادقة فى السر . فلم يسع الكاتب إلا الامتثال ، فكتب كتابا ولم يقدر أن يدس فيه شيئا خوفا من الملك ان يقرأه قبل ختمه . غير أنه لما انتهى إلى آخره وكتب إن شاء الله تعالى ، شدد النون [أن] ، وقرأه السلطان وختمه وبعث به الى المتنبي ، فلما وصل اليه ورأى تشديد النون إرتحل من تلك البلدة على الفور ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أشار الكاتب بتشديد النون إلى ما جاء فى القرآن (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين) (٢) فانظر الى بلوغ هذا الغرض بالطف عبارة (٣) .

ويحكى ان المتنبي كتب الجواب وزاد الفا فى آخر لفظة ان اشارة الى ما قيل : إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها (٤) .

نقل ، إن المأمون غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه فى الايقاع به وكان قد حضر ذلك المجلس صديق له فكتب له كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا موسى فلما قضه ووجد ذلك تعجب وبقى يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت : إنى أفهم معنى ذلك فقال:

---

(١) مجانى الادب ج٢ ص ١٦٣

(٢) سورة قصص آية ٢٠

(٣-٤) مجانى الأدب ج٢ ص ١٦٦

وما هر فقالت : إنه أراد قوله تعالى ، يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون ، فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون فى عدم الحضور فكان ذلك سبب سلامته «١» .

حكى ان أبا العلاء حضر مجلس الشريف المرتضى ، وكان الشريف ينتقص من شعر المتنبي والمعرى يمدحه ، حتى قال : لو لم يكن فى شعره إلا قصيدته التى يقول فيها :

لك يا منازل فى القلوب منازل

لكفى ، فأمر الشريف باخراجه من المجلس مسحوبا ، ثم قال : أتدرون ما عنى هذا الاعمى فى القصيدة المذكورة ، إنما أرمأ فيها الى قول المتنبي :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل

قلت وهذا مما يدلك على فرط ذكاء أبي العلاء المعرى وفرط ذكاء الشريف ، وفهمه ذلك فى الحال «٢» .

خرج رجل على سبيل الفرجة ، فقعد على الجسر ، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة الى الجانب الغربى ، فاستقبلها شاب ، فقـــال رحم الله على بن الجهم ، فقالت المرأة فى الحال رحم الله أبا العلاء المعرى ، وما وقفا ، ومرا مشرقة ومغربا ، قال الرجل فتبعت المرأة وقلت لها ان لم تقرلى ما قلتماه والا فضحتك وتعلقت بك فقالت ، قال لى الشاب رحم الله على بن الجهم أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادرى ولا أدرى

وأردت انا بترحمى على المعرى قوله

فيا دارها بالحزن ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال «٣»

«١» برهان دانش ص ٩٤

(٢) تعريف القدماء بابى العلاء ص ٢٩٩

(٣) « « « ص ٣٩

المصادر التي إستفدنا منها في تأليف هذا الكتاب الجزء الاول من (المعز لمن يروم العز)

من مختلف الكتب المؤلفة من التفسير، والحديث، والتراجم، والتاريخ والادب،

١ قرآن كريم كلام الله المجيد
٢ تفسير التبيان للشيخ الطوسي
٣ تفسير الصافي للفيض الكاشاني
٤ تفسير غرائب القرآن للنيسابوري
٥ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة
٦ تفسير بيان السعادة لمحمد الجنابذي
٧ تفسير ابن كثير لاسماعيل ابن كثير
٨ تفسير المراغي لاحمد مصطفى المراغي
٩ تفسير ابو الفتوح الرازي لابو الفتوح
١٠ تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي
١١ تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني
١٢ تفسير مقتنيات الدرر لعلي الحائري
١٣ تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري
١٤ تفسير مفاتيح الغيب الامام الفخر الرازي
١٥ تفسير الدر المنثور للسيوطي
١٦ اصول الكافي للكليني
١٧ بحار الانوار للعلامة المجلسي
١٨ منية المريد للشهيد الثاني
١٩ شرح جامع لاصول الكافي لمحمد صالح المازندراني
٢٠ سفينة البحار للشيخ عباس القمي
٢١ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبي
٢٢ الانوار النعمانية لنعمة الله الجزائري
٢٣ ارشاد القلوب لحسن الديلمي
٢٤ عيون اخبار الرضا للصدوق
٢٥ مجموعة ورام لورام الاشتري
٢٦ تحف العقول للحراني
٢٧ الاحتجاج للطبرسي
٢٨ الاربعين للبهائي
٢٩ لالىء الاخبار للنوبسركاني
٣٠ تحفة العالم لجعفر بحر العلوم
٣١ معالم الدين لابن الشهيد الثاني
٣٢ اثني عشرية لسيد محمد العاملي
٣٣ مصباح الشريعة المنسوب إلى الصادق ع
٣٤ كشف المحجة للسيد ابن طاووس
٣٥ غرر الحكم للامدي
٣٦ نثر اللئالي للشيخ الطبرسي
٣٧ هداية الموحدين للكوزه كناني
٣٨ المعين في أحاديث الاربعين

٣٩ الاخلاق المرضية لمحمد على القسام
٤٠ جامع السعادات للنراقى
٤١ النور المبين للسيد الجزائرى
٤٢ روضات الجنات لمحمدباقر الخونسارى
٤٣ وفيات الاعيان لابن خلكان
٤٤ الكنى والالقاب للشيخ عباس القمى
٤٥ معجم الادباء لياقوت الحموى
٤٦ تاريخ ابن خلكان لابن خلكان
٤٧ اخبار الحكماء
٤٨ جامع الاخبار المنسوب الى الصادق ع
٤٩ الفخرى لمحمد بن طباطبا
٥٠ تعريف القدماء بابى العلاء لجمع من العلماء
٥١ مجمع البحرين لفخر الدين الطريحى
٥٢ العقد الفريد لابن عبده
٥٣ المستطرف لشهاب الدين الابشيهى
٥٤ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد
٥٥ شرح نهج البلاغة لابن عبده
٥٦ شرح نهج البلاغة لفيض الاسلام
٥٧ الانوار البهية للعباس القمى
٥٨ صدكلمة قصار للعباس القمى
٥٩ جواهر الادب لسليم صادر
٦٠ جواهر الادب لاحمد الهاشمى بك
٦١ تحفة المجالس لجلال الدين السيوطى
٦٢ مجانى الادب للويس شيخواليسوعى
٦٣ المخلاة لبهاء الدين العاملى
٦٤ اسرار البلاغة « « «
٦٥ شرح وصية الاميرع لابنه
٦٦ الجواهر الروحية للقبانجى
٦٧ نهج السعادة لمحمد باقر المحمودى
٦٨ ذرايع البيان لمحمد رضا الطبسى
٦٩ درة التاج لقطب الدين الشيرازى
٧٠ الواعظ للربانى
٧١ موعظة السالكين للشاه عبد العظيمى
٧٢ مصباح الانظار
٧٣ اخلاق روحى لعطاء الله روحى
٧٤ اداب المتعلمين
٧٥ خزينة الجواهر للنهاوندى
٧٦ مقالات احمدية لاحمد آشتيانى
٧٧ برهان دانش لشمس الدين الموسوى
٧٨ مختصر كتاب العالم والمتعلم
٧٩ الدين فى قصص لاحمد القليوبى
٨٠ هدية الاحباب للعباس القمى

فهرست مواضيع الكتاب

إهداء الكتاب ، الى النبي الاكرم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ص ٢

مقدمة المؤلف ذكرت فيها أشياء ، الأول فضيلة أرض النجف الاشرف ، وانها صارت كلية لتفقه جميع أجيال المسلمين فى العالم ، والثانى تاريخ قدوم المؤلف بهذه الارض المقدسة وتحصيله ، والثالث ، الوسيلة الوحيدة لتبليغ الاحكام فى هذا اليوم هو القلم والبيان ، والرابع ، موضوع بحث هذا الكتاب وتسميته وأبيات فيها توجه الى الله تعالى ص ٣ - ٧

فضل العلم ، هذا العنوان يبحث عن فضل العلم ، ذكرت آية شريفة ووجوه الاستدلال فى الاية وتفسيرها ونكاة المندرجة فيها ، ونصيحة ابن طاروس لابنه وكلمات العلماء وأشعار عربية وفارسية فى فضل العلم ص ٨ - ١٦

شرف العلم ، هذا العنوان يبحث عن شرف العلم من الروايات والأحاديث وكلمات الحكماء وأشعار كثيرة ، عربية وفارسية ص ١٧ - ٢٣

العلم رزق القلوب ، هذا العنوان يبحث عن أن العلم رزق العقل والقلب ، وأن المال رزق البدن ، وإذا منع البدن عن رزقه يموت كذلك العقل إذا منع عن العلم والحكمة يموت وذكرت فى الموضوع روايات وأقوال الحكماء والعلماء ، وأشعار عربية وفارسية ص ٢٣ - ٢٦

الحكمة والمال متغايران ، هذا العنوان يثبت أن كل من صار عالما فليس له حظ من الدنيا ولذائذها ، وفى الموضوع أدلة من أقوال الحكماء والعلماء وأشعار راقية حكمية عربية وفارسية ، وروايات عن الائمة عليهم السلام ، وجملة من التاريخ وأشعار فى الصبر على النوائب ص ٢٦ - ٣١

أفضلية العلم عن غيره ، فى هذا العنوان ذكرت آية شريفة وروايات فى تفسيرها وأشعار عربية وفارسية مع قصص ص ٣١ - ٣٦

قيمة المرء بعلمه وعرفانه ، هذا العنوان يثبت أن قيمة كل امرىء ما يحسنه وكلمات بعض العلماء الأجلاء ، وروايات عن الائمة عليهم السلام ، وأشعار عربيه وفارسية ص ٣٦ - ٤٠ .

فقد العالم وقيمته ، هذا العنوان يثبت قيمة العالم من كلمات الائمة عليهم السلام ، وأشعار بعض العلماء عربية وفارسية راجعة فى الموضوع ص ٤٠ - ٥٧

موت العالم ، فى هذا العنوان ذكرت آية شريفة وكلمات بعض العلماء نظما ونثراً عربية وفارسية ص ٥٨ - ٦٠

يذهب العلم بذهاب العـــالم ، فى هذا العنوان ذكرت آية شريفة مع تفسيرها وأحاديث عن النبي (ص) وروايات عن الائمة عليهم السلام ، مع كلمات بعض العلماء ص ٦٠ - ٦٥

موت العالم ثلمة فى الدين ، جاء فى هذا العنوان روايات عن الائمة عليهم السلام مع شروحها عن بعض الاعلام ، وبعض نكات عرفانية ص ٦٥ - ٧١

فوق كل ذى علم عليم ، فى هذا العنوان ذكرت آية كريمة مع تفسيرها ورموزها وأسرارها ، وفيه قصة موسى مع خضر عليهما السلام مفصلا ، وأقوال بعض العلماء وقصة هرون والفقهاء راجعة بقطع اليد، وقصة شعبي والحجاج ويحيي بن يعمر وقصة جارية لهرون كان يعشقها ص ٧١ - ٨٠

خشية العالم ، فى هذا العنوان ذكرت آية شريفة وتفسيرها ونكاتها وأحاديث عن النبي (ص) وكلمات بعض علماء التفسير واستدلات منطقية عن الفخر الرازى ، وأشعار عربية وفارسية وروايات عن الائمة عليهم السلام ٨٠ - ٨٦

اكرام العالم وثمرته ، جاء فى العنوان أحاديث عن النبي (ص) وأشعار فارسية وقصص من العلماء والملوك الدالة على اكرام الملوك العلماء ص ٨٦ - ٩٢

إهانة العالم ونتيجته ، جاء فى هذا العنوان أحاديث عن النبي (ص) وأشعار عربية وفارسية وقصص تاريخية وروايات ص ٩٢ - ٩٧

العالم كبير والجاهل صغير ، جاء فى هذا العنوان روايات وحكايات تاريخية وأشعار كثيرة عربية وفارسية ص ٩٧ - ١٠٢

السعي فى طلب العلم والعلى ، ذكر فى هذا العنوان آية شريفة مع تفسيرها وأحاديث عن النبي (ص) وقصص عجيبة من العلماء وأشعار راقية عربية وفارسية ص ١٠٢ -١١٢

المرء مخبوء تحت لسانه ، ذكرت فى هذا العنوان آية شريفة مع تفسيرها وأشعار عربية وقصة تكلم عزيز مصر مع يوسف عليه السلام وأحاديث وروايات وأشعار فارسية وعربية وقصص تاريخية ص ١١٢ - ١١٨

وصف العلم ، جاء فى هذا العنوان كلمات عن الحكماء الاجلاء ، وأشعار عربية وفارسية وأقوال بعض العلماء وروايات ص ١١٨ - ١٢٦

شرف العالم على العابد ، ذكرت فى العنوان آية شريفة مع قصة دعوة يونس عليه السلام وقومه ، وحكاية عابد قومه وعالم قومه ص ١٢٦ - ١٣٦

العالم والعابد والفرق بينهما ، جاء فى هـــذا العنوان أحاديث وروايات وأشعار فارسية وقصة تاريخية ص ١٣٦ - ١٤١

قصص من العباد ، جاء فى هذا العنوان حديث عن النبي (ص) فى فضل العابد على غيره مع قصص كثيرة من العباد من الرواية والقصص ص ١٤٢ - ١٥١

العامل الجاهل وعواقبه السيئة ، جاء فى هذا العنوان رواية مع قصص تاريخية تدل

على أن العامل الجاهل عواقبه سيئة ص ١٥١ - ١٥٦

جلالة العالم وفضيلته ، جاء فى هذا العنوان حديث عن النبي (ص) وروايات عن الائمة عليهم السلام مع ذكر بعض أصحابهم من يزنطى وهشام بن الحكم وعمران ،وقصص من العلماء وأشعار عربية ص ١٥٦ - ١٦٦

قيمة العلم ، ذكر فى هذا العنوان آية شريفة مع تفسيرها وروايات وقصص كثيرة وأشعار عربية وفارسية ص ١٦٧ - ١٧٦

الأدب وفضيلته ، فى هذا العنوان جائت روايات وأقوال الحكماء والعلماء والادباء وأشعار عربية ص ١٧٦ - ١٨٣

التعلم فى الصغر ، جاء فى هذا العنوان أحاديث عن النبي (ص) وكلمات عن الحكماء والعلماء ، وروايات ، وأشعار عربية ص ١٨٤ - ١٨٧

الادب ينجى الانسان من المهالك ، ذكرت فى هذا العنوان آية شريفة وروايات وقصص عن بعض الملوك مع وزرائهم وكلمات عن بعض الحكماء وأشعار عربية وفارسية ص ١٨٨ - ١٩٦

قيمة الادب ، جاء فى هذا العنوان روايات عن الائمة عليهم السلام ، وكلمات عن الحكماء والعلماء وأشعار عربية وفارسية ص ١٩٦ - ٢٠٢

الادب الفطرى ، جاء فى هذا العنوان سؤالات سألها بعض الملوك عن الحكماء ووزرائهم وأشعار عربية وسؤالات سألها بعض الائمة عليهم السلام عن بعض الناس ص ٢٠٢ - ٢٠٥

الادب مع الله تعالى ، ذكرت فى هذا العنوان آية شريفة وروايات وقصص وأحاديث ص ٢٠٥ - ٢٠٨

التأدب فى الصغر ، جاء فى هذا العنوان أحاديث عن النبى (ص) وكلمات بعض الحكماء والعلماء وأشعار عربية وفارسية ص ٢٠٨ - ٢١٢

الادب خير الحسب، جاء فى هذا العنوان روايات وكلمات بعض رؤساء أهل يونان وحكايات بعض الاشخاص مع بعض الخلفاء وأشعار عربية وفارسية ص ٢١٣ - ٢٢٠

الادب خير ميراث ، جاء فى هذا العنوان روايات وكلمات حكمية عن بعض الحكما والعلماء والادباء وأشعار عربية وفارسية ص ٢٢٠ - ٢٢١

طلب الادب وتعلمه ، جاء فى هذا العنوان روايات وكلمات عن العلماء والادباء وأشعار عربية وفارسية ص ٢٢٢ - ٢٢٤

الادب يرفع الخامل ، جاء فى هذا العنوان كلمات عن الحكماء والعلماء وقصص بعض الملوك مع الادباء الخاملين وأشعار عربية وفارسية ص ٢٢٧ - ٢٣٠

حلى الرجال العلم والادب ، جاء فى هذا العنوان روايات وكلمات بعض الحكماء وأشعار عربية وفارسية ص ٢٣٠ - ٢٣٢

قيمة المتأدب ، جاء فى هذا العنوان كلمات عن الائمة عليهم السلام وقصص من المتأدبين وأشعار عربية وفارسية ص ٢٣٣ - ٢٣٦

نكت من الادب ، جاء فى هذا العنوان كلمات عن بعض العلماء والشعراء وفيها أسرار ولطائف أخرى ص ٢٣٧ - ٢٤٠ .

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0045342415

BP
193
.M7
v. 1